



شجرة غضاة أو الغضى؛ تقف وحيدة في نفود الجوف، بعد أن اقتطع الحطابون رفيقاتها!
تصوير: سلطان الزيد.

الجوبة

ملف ثقافي ربيع سنوي

يصدر عن مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية

المشرف العام

إبراهيم الحميد

المراسلات

توجّه باسم المشرف العام

هاتف: ٦٢٤٥٩٩٢ (٤) (+٩٦٦)

فاكس: ٦٢٤٧٧٨٠ (٤) (+٩٦٦)

ص. ب ٤٥٨ سكاكا

الجوف - المملكة العربية السعودية

aljoubah@gmail.com

www.aljoubah.com

ردمدم 2566 - ISSN 1319

سعر النسخة ٨ ريالات

تطلب من الشركة الوطنية للتوزيع

العدد ٢٣
ربيع ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



قواعد النشر

- ١ - أن تكون المادة أصيلة.
- ٢ - لم يسبق نشرها.
- ٣ - تراعي الجدية والموضوعية.
- ٤ - تخضع المواد للمراجعة والتحكيم قبل نشرها.
- ٥ - ترتيب المواد في العدد يخضع لاعتبارات فنية.
- ٦ - ترحب الجوبة بإسهامات المبدعين والباحثين والكتاب، على أن تكون المادة باللغة العربية.

الجوبة من الأسماء التي كانت تطلق على منطقة الجوف سابقاً

الناشر: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية

أسسها الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري (أمير منطقة الجوف من ١٣٦٢/٩/٥هـ - ١٤١٠/٧/١هـ الموافق ١٩٤٣/٩/٤م - ١٩٩٠/١/٢٧م) بهدف إدارة وتمويل المكتبة العامة التي أنشأها عام ١٣٨٣هـ المعروفة باسم دار الجوف للعلوم. وتتضمن برامج المؤسسة نشر الدراسات والإبداعات الأدبية، ودعم البحوث والرسائل العلمية، وإصدار مجلة دورية، وجائزة الأمير عبدالرحمن السديري للتفوق العلمي، كما أنشأت روضة ومدارس الرحمانية الأهلية للبنين والبنات، وجامع الرحمانية.

المحتويات

- الافتتاحية..... ٤
- ملف العدد:** الطيب صالح - محمد جميل أحمد ٦
- دراسات:** التعايش والاندماج بين الشاعر والقارئ عند سعد سعيد الرفاعي - د. نادية لطفي ناصر ٢٢
- روايات السفر (دراسة لنماذج مختارة) - سيد الوكيل ٣٤
- قصص قصيرة:** جميل... لأنه... بعيد! - حنان الرويلي ٤٥
- الباب في مهمة خاصة - فهد المصباح ٤٦
- قصص قصيرة جداً - محمد صوانه ٤٨
- قصص قصيرة جداً - عبيد المقبل ٥٠
- شتاء السارد - محمد النجيمي ٥١
- قصص قصيرة جداً - د. جميل حمداوي ٥٢
- وطن الخلود.. - فيصل الدغماني ٥٣
- نحن... غربة وطن! - المغيرة الهويدي ٥٤
- فصل من رواية:** الشمس التي رحلت - محمد عطيف ٥٥
- شعر:** الأرض المتخيلة - إبراهيم حسو ٦٠
- عاهدته - أحمد عكور ٦٢
- حبيبي.. وطني - السيد موسى البديري ٦٣
- دروب الكرى - سماره غازي الفرطوسي ٦٤
- رحلة - د. حافظ المغربي ٦٥
- قصيدتان - عبدالرحيم الخصار ٦٦
- على وشك الاختباء..! - عبدالله الزماي ٦٧
- من قصيدة (خفقات قلب) - دكتور عبدالرحيم مراشدة ٦٨
- هواجس - جاك صبري شماس ٦٩
- نقد:** قراءة في مجموعة هلال الحجري الشعرية «هذا الليل لي»
كتابة الليل.. ليل الكتابة - إبراهيم الحجري ٧٠
- النقد وتنقية الواقع الشعري العربي - حسين محي الدين سباهي ٧٥
- وقفا حيال غابة ذات مساء متجمد - ترجمة: خلف القرشي ... ٧٨
- مواجهات:** حوار مع القاص مفلح العدوان - محمد البشتاوي ... ٨٠
- حوار مع الشاعرة الدكتوراة ثريا العريض - محمد نجيم ٨٥
- حوار مع القاص السعودي عبدالرحمن الدرعان، محمود الرمحي ٩٠
- نوافذ:** البعد السوسولوجي للعلومة الثقافية - محمد قدس ... ٩٤
- الأعمال الأدبية بين الترجمة والتعريب - محمود خلف الله ٩٧
- ظاهرة التمرد والعصيان عند المراهقين - خوله مناصرة ١٠١
- «حلوة» الجوفي - فواز بن صالح الجعفر ١٠٣
- من روائع الأدب الأندلسي - نورا علي ١٠٥
- الشويحية - د. خليل إبراهيم المعقل ١٠٨
- فنون:** التصوير الفوتوغرافي.. علمٌ وفن - أيمن السطام ١١٠
- مسرح:** النص المسرحي العربي - مهند صلاحات ١١٢
- مال واقتصاد:** حقائق غائبة يكشفها الإقتصاد الإسلامي
في ضوء الأزمة المالية الراهنة - أحمد محمد نصار ١١٦
- قراءات:** عصام أبو زيد، د. علي هندواي، د. نواف الذويان ١١٨
- الأنشطة الثقافية بالمؤسسة** - عماد المغربي ١٢٨



الطيب صالح.. سرد من أفق آخر



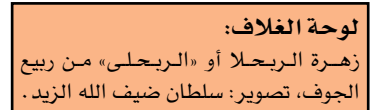
الدرعان: الكتابة كوصلة الرعد



الشويحية
أقدم موقع أثري غربي آسيا



ظاهرة التمرد والعصيان عند المراهقين



لوحة الغلاف:

زهرة الريحلا أو «الريحلى» من ربيع الجوف، تصوير: سلطان ضيف الله الزيد.

من دومة الجندل إلى دومة الطيب صالح

■ إبراهيم الحميد

على عكس كثيرٍ من معجبي الطيب صالح، رحمه الله، لم يكن مدخلي إلى عوالمه «موسم الهجرة إلى الشمال» بل «دومة ود حامد».

شدني إلى الرواية تعلقى بمدينتي التوأم، دومة الجندل، تلك المدينة التي لها في وجداني ووجدان كل ساكني هذه الأرض، عشق ووشائج تجذرت في الأرض، بعمق جذور نخيلها، وزيتونها، وكينها، وحوورها، وبقوة بأس جندلها الذي يُزِينُ قلعته الشهيرة منذ ثلاثة آلاف عام.

يتنقل قارئ «دومة ود حامد» بين حمير محجوب وحسين.. والنخلة التي يرغب في شرائها مقابل عشرين جنيتها. في نخلة على الجدول، إحدى القصص السبعة التي يشكلها الكتاب، مروراً بتفاصيل الحياة في القرية، ونبوءة الشيخ دوليب بالقحط، وتوقف الفيضان من النيل الذي كان مواراً في ماضي الأيام..

وتتابع القصص التي تأتي تباعاً: نخلة على الجدول؛ حفنة تمر؛ رسالة إلى إيلين؛ حتى يصل إلى «دومة ود حامد» - القصة المركزية التي تجلى فيها الطيب صالح سارداً - حتى نصل إلى «إذا جاءت»، «هكذا يا سادتي»، «مقدمات».

في «دومة ود حامد»، تتشابه الظروف مع حياة الناس في «دومة الجندل»، ولهذا أسرتني بالحياة حولها، فالفهم الذي يشغل أهالي «دومة الجندل»، هو نفسه الذي يشغل بطلنا في «دومة ود حامد»، حيث تتنازع رغبات الرحيل والهجرة، كما أن نشأة «دومة ود حامد» بأسطورية وغرائبية حكايتها التي بدأها ود حامد، تتشابه مع الظروف التي وُجِدَت في «دومة الجندل»: واحة وفيرة المياه وسط صحراء شاسعة، حتى يصل إلى ذروة النشوة التي استثارت كل أهالي «دومة الجندل»، حينما يقول البطل « والله لو كانت دومتكم هذي «دومة الجندل».. وكنتم المسلمين.. تقاثلون مع علي ومعاوية..» في إشارة إلى حادثة التحكيم الشهيرة التي وقعت بين الإمام علي بن أبي طالب، والخليفة معاوية بن أبي سفيان.

وحتى عندما يأتي من تستصرخ فيه الرغبات في التعلق بـ «دومة ود حامد»، تأتي

العبارات، وكأنها تتحدث عن «دومة الجندل»: «أنظر إليها، ضاربة بعروقها في الأرض، أنظر إلى جذعها المكتنز الممتلئ، كقامة المرأة البدينة، وإلى الجريد في أعلاها، كأنه عرف المهر الجامحة».. «حين تصعد الشمس وقت الضحى، يمتد ظل الدومة فوق الأرض المزروعة».

تشابهٌ عميقٌ جمَعَ بين تفاصيل الحياة، والمكان، والأرض، والماء، وبين «دومة الجندل».. ما أبهج في زهو المكان، وجعلني أسير في آفاق «دومة الجندل»، التي جعل منها الطيب صالح، تيمة لـ «دومة ود حامد».

لا تنتهي حكايات «دومة ود حامد»، حتى تبدأ من جديد بسردٍ غايةً في الإتقان و البساطة، مما يحير قارئ الطيب صالح، كيف تطوعت له هذه اللغة الشفيفة، التي عبر بها آفاق العالمية.. فوصل إلى قلوب عشاقه في كل مكان.

في خاتمة مجموعة «دومة ود حامد»، تأتي قصة (مقدمات).. مكونة من سبعة نصوص أو قصص قصيرة جدا، تصلح لأن يكون كل منها حكاية لوحدها، أو قصيدة تحكي حكايات إنسانية مختلفة، تعبر كل منها عن حالة قد تصادفنا في أي شارع، أو مكتب، أو حي، ولكن أسلوبه الساحر، جعل منها أيقونات تحولت في يده إلى أقمار، على شكل قصص قصيرة.

وجدتني أستعيد «دومة ود حامد» بعدما خصصنا ملف هذا العدد للراحل الكبير، ليكتب عنه بعض من عرفوه، أو عشقوا لغته.. وتلمذوا على يديه، وهنا لابد من توجيه الشكر وأجزله إلى الصديق الشاعر.. والناقد الجميل محمد جميل أحمد، على جهوده في إعداد هذا الملف، والذي يكتب مفتتحه في ذات الوقت (عوليس الأسود) مستعيدا جيمس جويس.. بمشاركة الأصدقاء خالد ربيع السيد.. تحت عنوان (الطيب صالح.. منادمة في الحكى عنه ومعها)، بانوراما سريعة عن محطات هامة لسيرة الراحل الكبير، من خلال رصد إبداعه، عبر الكثير من شهادات النقاد والمبدعين، و ظافر الجبيري، عن (الطيب صالح.. ألوان من الصراع)، كاشفا عن وجوه الصراع المتعددة في النص السردى للطيب صالح، ومستعرضا طبيعة ذلك الصراع بين المجموعات القصصية والروايات، والشاعر السوداني مأمون التلب، تحت عنوان (أطياف مصطفى سعيد: الحياة في مكان آخر).. عن سر جرثومة الكتابة وقناعها الخطير الذي طالما فسر مغزى عزوف الطيب صالح.. وهروبه من مأزقها، مستبدلا بها حياة في الواقع.. هي أكثر أمنا من حياة الكتابة.

وهذا الملف.. أقل ما يمكن أن يقدم إلى كاتب بقامة الطيب صالح.. وهو الرجل الذي عشق هذه الأرض، وظل يتردد عليها سنوات عديدة مكرما معززا، رحم الله الطيب صالح حيا في كتبه.. وميتا في لحدده.

سرد من أفق آخر :

الطيب صالح: منادمة في الحكى عنه ومعه بمناسبة رحيله

■ أعد الملف الشاعر: محمد جميل أحمد*
شارك فيه: خالد ربيع السيد^(١) - ظافر
الجبيري^(٢) - مأمون التلب^(٣).



ربما لم يتفق لكاتب أن وجد من الذبوع والشهرة في حياته رغم أعماله القليلة، مثلما اتفق للكاتب والروائي السوداني الطيب صالح؛ ولهذا، حين رحل كاتبنا الكبير في شباط فبراير الماضي عن عمر يناهز الثمانين عاما، كان قد عرف الكثير من ألوان التكريم والاحتفاء في الشرق والغرب. ويأتي رحيله الفاجع مناسبة أخرى للحديث عن الكثير الكثير مما يختزنه إبداعه السردى، الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، لا سيما روايته (موسم الهجرة إلى الشمال).

لكن الفريد فيما حدث للطيب صالح في تجربته الروائية، لم يحدث، لا لجوزيف كونراد (الذي تماهى تماما مع وطنه الجديد)، ولا لنجيب محفوظ (الذي لم يغادر مكانه أصلا) من ناحية، ولا للتجارب الروائية التي تأتي في وارد المقارنة بين الشرق والغرب، كرواية، قنديل أم هاشم ليحيى حقي، من ناحية أخرى.

فالإبداع السردى للطيب صالح لا تتبع فتنته من التعبير الجمالي للغة فحسب، بل

لقد خلق الراحل الكبير مجازا إنسانيا لتجربة إبداعية محايثة، وعابرة لخصوصيتها في الوقت نفسه. وقد أضمر عبر روايته حياتين، لم تنزل طبيعتهما الظلال الخفية للعلاقة المركبة بين الشرق والغرب، ضمن بنية حضارية ثابتة ومتجددة للغرب في تلك العلاقة، كما بين المنفى والوطن، وبين الأزمنة الحديثة والأزمنة القديمة؛ بمعنى آخر إن الزمن المحايث للأزمنة كلها سيبقى طيفا متجددا في حيثيات هذه الرواية.



بالمجازفة في ما لا طاقة له به إزاء آفاق غير متناهية.

لقد كان الصدام قويا وحرجا في فعل النفي المزدوج؛ كان أقوى من قدرة النفس البرية على احتمال طاقة الحضارة، وهي تهب كالعواصف العاتية بتناقضاتها على الذات وتمزيقها شرممق.

كان مصطفى سعيد بالنسبة للطبيب صالح شبعا في مكان ما من حياته؛ ولهذا فإن ضغط التناقضات الذي جعل من مصطفى سعيد خليفة خائبة ومعطوبة في الخيال السردي للطبيب صالح، ظل باستمرار الظل الوجودي الذي يعكس روحا شقية ومدفوعة، بحيرة عريضة جرفت معها الطبيب إلى مسار عكس بريقتها باستمرار، بين الذاكرة والزمن في اتجاهين متناقضين، وبطريقة لا تعين على تفكيك شفرتها المعقدة التي قذفت به في المتروبول اللندني.

ولعلنا لا نجازف في القول: إن الطبيب صالح حينما

أيضا من تلك العلاقات والوحدات التي حطمت البنية السردية، وجعلت من صناعة الدهشة طاقة متجددة من المعجزات الصغيرة في مخيلة القارئ، شرقيا كان هذا القارئ أم غربيا.

عوليس الأسود

ذات مرة شكا الطبيب صالح لصديق سوداني في لحظة بوح نادرة، عن ورطة حياته التي عاشها، وما إذا كانت الصدفة التي لعبت دورا كبيرا في تلك الحياة قناعا لمصير، ربما لم يكن في يوم من الأيام يرغب فيه في قرارة نفسه؟ ثمة حدود مضمّنية لتجربة الحياة حين تكون أشبه بعاصفة أو لعبة مرايا في مخيلة المبدع؛



محمد جميل أحمد

فهي إذ تتعذب من تقاطعات متناقضة بين الأنا والآخر، والظن واليقين، لا تلعب مع تلك المخيلة لعبة الوجه والقناع فحسب، بل تجرّها إلى إقحام مستمر في عين العاصفة وراء قناع لا يكف عن الالتصاق بالوجه، دون أن يكون بديلا عنه. هكذا تبتعد الحياة الأولى لتستعيد

وجودا في المخيلة. ويظل القناع إغواء يجرف أمامه الحقائق الأولى، وهي ترتطم بوجود مغاير في حيوات أخرى، إلى نهايات وحالات وتجارب

تبتعد عنها السماء الأولى في نقطة متلاشية في الأفق.

إنها حالة الاغتراب التي تقتلع الذات من أعماقها، وهي تواجه حياة تغري المصير الفردي للوعي



عجزه بتلك التناقضات التي وقع فيها مصطفى سعيد بالضرورة؛ كان هو المظهر الأسمى لمعنى الاقتلاع. ومن هنا أيضا يرتبط ما هو شخصي بما هو موضوعي بطريقة مركبة.

كانت الحيرة في قلب الحياة والمصير، وكان كل ذلك يمتح من إغواء متعالٍ يضمّر بريقا خلابا، تصاحبه قسوة عاتية، وبين البريق والقسوة كان مصير المواجهة المتكافئة أقل بكثير من إمكانات المصير الفردي. ونجد ذلك واضحا في وصف وجه مصطفى سعيد (نظرت إلى فمه وعينيه فأحسست بالمزيج الغريب من القوة والضعف في وجه الرجل).

ولهذا أيضا كانت (موسم الهجرة إلى الشمال) المكان الوحيد الذي يستقطب ذلك الشعور الذي يلحم انشطار النفس؛ إنه عمل المخيلة إذ توحى بالتماهي والخلاص عبر الإبداع، لكنها بصورة أخرى تكشف عن معنى استحالة ذلك التماهي في الواقع بين تينك الحياتين. إذ تعيد إنتاج المأزق وتصبح أكثر تعبيراً عنه.

فما حدث في المخيلة جرى نقيضه في الواقع، لكن رغبة الكاتب والتناقضات الهائلة التي هي أكبر بكثير من إمكان التحدي الفردي، تحيل باستمرار إلى خيال خلاق يمارس فتوحات وانتصارات فردية، ليعكس أكبر قدر من التناقض في الحياة الشخصية. إنه ضرب من التبديل الذي يعكس ضعف الكينونة الكلية عبر مجاز القوة في السلوك الفردي لبطل الرواية.

فمجازات الرواية التي تتصل دلالاتها بالكثير من تيمات العلاقة بين الشرق والغرب، والعرب وأوروبا، والإسلام والمسيحية، والحدائث وما قبلها؛ كانت تتجلى عبر تلك التعبيرات

عمر مصطفى سعيد تحت مياه النيل، عند قرية ود حامد بعد حياة صاخبة في المتروبول، إنما أراد أن يرمم الشرخ الذي شطر ذاته مرة وإلى الأبد من أثر تلك العاصفة القاسية. كان ذلك تعويضا مركبا في الخيال، لكنه كان مستحيلا في الواقع؛ ذلك أن استحالة الواقع فاضت على وجود كاتبنا الكبير، وشكلت مع الزمن ما يشبه عازلا زجاجيا شفافا، يعكس باستمرار ذلك الشبح الرهيب الذي هجره الطيب صالح، وإن ظل معه قرينا عصيا على الفراق، فلم يستطع مفارقتها إلا عندما جعل منه طيفا يمسك به حياته المشطورة بكل تقاطعاتها الرهيبة.

وإذا كانت (موسم الهجرة إلى الشمال) تعبيراً عن ذلك الشرخ الذي لا يلتئم إلا في حياة متخيلة؛ فإن سيرة الواقع في تلك الحياة كانت قد حسمت المعنى الأكثر حضوراً في تفاصيل لا متناهية، من أثر تلك العاصفة التي خدمت في حياة مصطفى سعيد، وهي الحياة التي تظهر منها الطيب صالح، عبر كتابة سردية استدعت كل التقاطعات الممكنة والمستحيلة، لكنها في الواقع كانت الحياة الوحيدة في المتروبول اللندني، وظل بريقها هو الأصل الذي طمس حيوات السماء الأولى وحوّلها إلى أطياف في الذاكرة البعيدة.

ما حدث للطيب صالح، بالطبع كان يجري في سياق تقاطعات غير متكافئة، وكانت طبيعة التحدي أكبر من المصير الشخصي له، بما يعني أن المصير الفردي في مواجهة المتروبول الذي اقتلع أزمنة السماء الأولى مرة وإلى الأبد، كان أعجز بكثير من قدرته على مواجهة تلك الطاقة العاتية والمزلزلة.

ولهذا فإن المصير الفردي حين يعوض

من كل تناقضاته وبريقه الذي تلمع فيه الرقة والقسوة كوجه مصطفى سعيد، حين شاهده الراوي لأول مرة في «ود حامد».

استعان الطيب صالح بطاقة حلمية/ صوفية لجسر التقاطعات الحادة والوقائع العجائبية لحياة مصطفى سعيد، ففضلا عن طبيعة البنية السردية العجيبة لهذه الرواية، القائمة على خلخلة وتحطيم علاقات السرد الثابتة والمطرده بين الزمان والمكان والموضوع، نجد أن تلك البنية وهي ترسم سردها عبر التقطيع والاسترجاع، إنما كانت تستجيب لعلاقة جدلية خلاقة بين طبيعة المصير المركب لسيرة مصطفى سعيد، وما يصاحبه من تداعيات رمزية قوية الدلالة وعمقية القابلية للتأويل، وبين

الحاجة القوية إلى تخليد ذلك المصير وفتح دلالات السرد على الكثير من الاحتمالات المحايثة له، والمتصلة على نحو معقد بمصائر متشابكة ومرتدة باستمرار إلى سياقات أخرى تأتي كضرورة في بنية المعنى.

فالمصائر التي ضفرتها عوالم الرواية لم تكن ذات طبيعة زمنية منطقتة، أو تعبيرا عن حالات تزول بزوال الحدث، لقد كانت تلك المصائر تتفاعل طرديا مع زمن الرواية المستقبلي، أي ذلك الزمن اللاحق والممتد والبدال على نبوءات الرواية ورؤاها التي جسدها كإحدى الكلاسيكيات العالمية.

التي جسد بها مصطفى سعيد رؤيته الفردية وإحساسه الملتبس بعالم الاستعمار والمتروبول الذي من حوله، لتكون بديلا عن حقائق أخرى أكبر من طاقته، ولا يمكن أن تستوي لتحدي الكينونة إزاء ذلك الإقتلاع.

والحال أن ما جرى للطيب صالح وهو يرصد مصائر فردية مقذوفة في محيط يستدعي الكثير من تمثّل الخيبات واجترار المرات، كان يحتاج إلى مخيلة مبدعة، فالمخيلة وحدها يمكنها أن تستقطب تناقضات أكبر من الواقع، وتحديات أقل من الحقيقة. أراد الطيب صالح أن يكتب عن مأزقه الشخصي فوجد نفسه منخرطا في مأزق تستدعي الكثير من التعقيدات والعلاقات المتشابكة بين الذاتي والموضوعي، والخاص والعالم.



بدا الوضع أشبه بمسار عوليس في الأوديسة، لكن طريق العودة عند الطيب صالح لم يكن كمسار معبد (جانوس)؛ العودة المستحيلة هنا لا يمكن أن تظفر بوجودها إلا في المخيلة، ولكنها إذ تتمثل في المخيلة، لا تتحول إلى عودة عادية، فمجاز الكتابة في النص أعقد بكثير حتى من علاقات الواقع وتعقيداته؛ ولذلك حين أراد الطيب صالح أن يعود إلى «ود حامد»، أعاد مصطفى سعيد بدلا عنه، وهذه العودة هي في تأويل ما، محض أمنية لجسرة هوة عميقة بين عالم غادره مرة وإلى الأبد، مع رغبة قوية مستحيلة للعيش فيه، وبين عالم لا يستطيع منه فكاكا، على الرغم

الطيب صالح ألوان من الصراع

■ ظافر الجبيري



ظافر الجبيري

قبل أيام تحدثت مع صديق عزيز وصل إلى بريطانيا منذ وقت وجيز؛ الصديق القادم من بلاد لا تجيز تدريس الفلسفة، كما قال ذاهب إلى بلاد (بترتراند رسل)

لدراستها مبتعثاً في فترة الابتعاث التي نعيشها. تحدثنا كثيراً عن البلاد التي وصلها للتو، وعن جامعاتها العريقة، وعن الأهمية القصوى التي يحتلها التعليم والتواصل المعرفي في ردم الهوة بين الشعوب وإشاعة الحوار والتواصل الإنساني بين الثقافات، وكان التأكيد الدائم على أن التعليم هو أقوى عرى هذا التواصل والمثاقفة بين الدول والحضارات، وعن حاجة «البلاد والعباد» لمثل هذا التخصص في زمن قادم نؤمل أن يكون أكثر انفتاحاً وتقبلاً للآخر، وأكثر تحفيزاً لإعادة الاعتبار لعلم العلوم: الفلسفة.

ما دعاني لهذه المقدمة، أن الحوار مع الصديق اختتم بعبارة خاطفة موجهة للصديق مذكراً ومحذراً ومداعباً بأن مبدع شخصية (مصطفى سعيد) قد رحل، ولذا لن تجد - يا صديقي - من يكتب عن بطولاتك وفتوحاتك (المشرقية) في بلاد (الفرنجة)!

انتهى حديثنا ضاحكين، لكن الضحكة لم تخف شعوراً بالفقد عاودني، وإن ظل حاضراً، منذ سماع نبأ رحيل المبدع الطيب صالح بعد ثمانين عاماً من السير على ظهر البسيطة مشرقاً ومغرباً،

حاملاً روحه الأصيلة وحبه لوطنه وللعالم!

نقلتني الدعابة إلى سنوات خلت عندما تلقّنا قصص (دومة ود حامد) والعمل الأشهر (موسم الهجرة إلى الشمال) وغيرهما من قصص وروايات أبدعتها يد الرجل وخطها قلمه، وغادر عالمنا الفاني مخلفاً وراءه رصيماً إبداعياً وراثاً أديباً وقلوباً حرى لفراقه.

التقيت الرجل لقاءً سريعاً عابراً في إحدى ليالي الجنادرية التي كان ضيفها الأثير، وكان محاطاً بمحبيه الكثر، وليته أقام في الرياض كما في الدوحة، إذأ لصار اسمه صالح الطيب بديلاً عن الطيب صالح، كما اختار أحد الأصدقاء تعديل الاسم لكونه بات وجها مألوفاً على المكان، ومطلوباً للمشاركة، وحاضراً في الموعد السنوي لأكثر من عشرين عاماً متتالية.

أعمال الطيب صالح تلامس الحياة السودانية، وشخصه متجذرة في الواقع اليومي النابض ببساطة الناس، وعمق المجتمع المتعدد المشارب القبليّة، والمستويات التعليمية، وإمكانات العيش المتفاوتة، وإن كانت أقرب إلى البساطة، بساطة نبض الحياة الريفية لقرية تقع شمالي السودان.

عبر هذه البيئة المحلية الموعلة في الخصوصية، استطاع الطيب الوصول إلى العالمية، ما يعرف نقدياً بالأصالة، أي الصدق بنوعيه الفني والواقعي، والانحياز إلى الإنسان في الدرجة الأولى، الانحياز إلى الحياة التي حَبَرها وتعشّقها وتنمّس تفاصيلها رجل ينطوي على هذه الروح العربية الأصيلة، والنفس المتسامية، والفكر المنفتح على كل التجارب والتيارات، ما جعل أعماله تسافر لكل البلاد عبر اللغات العالمية الحية.

لقد فتحت رواية (موسم الهجرة إلى الشمال)

في وصف عوالمها البرانية، وأبدع في سبر أغوارها العميقة؛ عوالم الرجال والنساء. عبر سطورهم تتمتع بعمق أسر، وبساطة لا حدود لها، ما حدا بأحدهم أن يشبه أحد الأشخاص بـ «كأنه خارج من إحدى قصص الطيب صالح...»، وكأنه يشير بهذا إلى التماهي الكبير بين



عبدالله إبراهيم

ما يعيشه الكاتب وبين ما يكتب عنه.

قرأنا الطيب صالح بالحب الذي يستحقه شخصه، وبالتوق الذي نراه جديراً به كمبدع، أنتج معظم أعماله في فترة الستينيات والسبعينيات التي كانت تمر بالكثير من الصراعات، ما جعل كاتبنا يعبر في نتاجه عن مكائين، ولو شئت لقلت فضاءين:

الأول: قصص وأعمال تدور أحداثها في قرى شمالي السودان - مسقط رأسه.

الثاني: تلك الأعمال التي تمثل صراع الهوية بين مسافر إلى بلاد الضباب بكل صخب حياتها، وبين عائد إلى ريف بسيط هادئ متقشف، كما صورت ذلك (موسم الهجرة إلى الشمال).

هذان الفضاءان أوجدا أجواءً ثرية تتخللها أشكال أخرى من الصراع، منها ما صورّه في قصة (نخلة على الجدول) داخل نفس الفلاح، ومنها ما صورّه الكاتب في (دومة ود حامد)، صراع داخلي تختزنه مشاعر أهل القرية عبر تفاصيل حياتهم اليومية؛ صراع

طوراً جديداً من العلاقة بين الشرق والغرب، كما فتحت عيون قرائه على تجربة ثرية، وأداء أدبي عال، كما أبرزت سرداً حديثاً، يجمع بين البساطة والعمق والبناء الكلاسيكي الأسر.

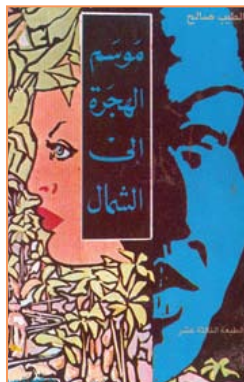
تكمّن روعة هذا العمل الأثير لذي غالبية قراء الطيب، في كونه يطرح

مشكلة الهوية بصورة غاية في العمق، أي مشكلة البطل مع العالم الخارجي، ومشكلته مع نفسه، أو علاقة (الأنا) بـ (الأخر) وعلاقة (الأنا) بنفسها، كما يعبر عن هذه الإشكالية الدكتور عبدالله إبراهيم.

في مجمل أعماله غاص الطيب صالح بروحه الصوفية في وجدان الإنسان عبر سبر أغوار التراث

والتاريخ والعادات والمعتقدات والأساطير.. وظف الأدب الشعبي والفصح، عزف على أوتار النفس الإنسانية، فتجاوبت مع أدبه النفوس في كل المعمورة.. وقد ظل الطيب صالح في الكثير من أعماله مبشراً بالمشترك الإنساني، وبدا في العديد من المواقف والإحالات السردية موزعاً بين قيم القرية وحدثة المدينة، بل إننا يمكن أن نعد روايته الثانية الأشهر من بين كل أعماله، تلك التي صدرت في العام ١٩٦٦م دعوة للمصالحة بين الشرق والغرب.

فيما يخص الشخصيات العديدة في مؤلفاته نجد أنه بسط ملامحها، وعرّى ضعفها وانكساراتها، أفاض



أشكال الصراع.. يبرز عبر الاجتثاث لكل من يحاول التلاعب بقلب البطل، وهنا يظهر القتل حلاً لاقتلاع السلوك الغربي تجاه الجسد والقلب والروح القادمة من إفريقيا، من السودان.. من الأرض المستعمرة سابقاً.. ومن هنا يبرز قرار مصطفى قتل (جين موريس) وهي المرأة التي أحبها. يبرز قراره وكأنه يصب في هذا الاتجاه؛ السيدة الإنجليزية التي قبلت الزواج منه بعد مكابرة، لتواصل سلوكها نحوه.. أحبته دون أن تقر بذلك، أحبت فيه العنف الإفريقي، كانت تشتهييه وتحترقه في الوقت نفسه، وتلاعبت به لفترة من الوقت، إلى أن يقرر قتلها... وهكذا فشلت علاقات مصطفى سعيد النسائية في أوروبا، فشلت إنسانياً، وانتهت بالقتل والسجن، لكونها كانت تقوم على الرغبات الجسدية، دون أي معنى إنساني.

وهل ننسى عبارة مصطفى سعيد أثناء محاكمته؟ العبارة التي لا تزال ترن في أذن كل من قرأ العمل، كما رنت في أرجاء المحكمة ذات صباح لندني، عندما وصف البطل نفسه بكل عمق وشفافية بأنه «رجل استوعب عقله الحضارة الغربية لكنها شطرت قلبه!»

بعد صمت روائي - قصصي أطلت (مختراته): «منسي» التي صدرت في التسعينيات من القرن الميلادي الفائت، وبعد انقطاع طويل عن الكتابة الروائية، قدم من خلالها شخصية محيرة مثيرة للجدل، تساءل القراء والنقاد كثيراً: أهي حقيقية أم متخيلة أم رمزية؟

تبدو الشخصية حقيقية في أبعادها الدينية والاجتماعية. وهي ليست سيرته الذاتية، إنها عمل خفيف مدهش أقرب إلى السيرة، قدمها بأسلوب سردي أقرب إلى المذكرات اليومية.

المؤلفات الأخيرة كانت حصيلة مقالات

تكشفت ملامحه إثر مساومة التاجر للفلاح على النخلة، وكيف لام الفلاح نفسه في النص الأول. وصراع بين التمسك بالقيم النمطية للحياة من قبل الناس، وبين محاولة الحكومة تطوير الريف وتغيير نمط حياة السكان، نجد كاتبنا - من خلال الراوي- ينحاز بهدوء، دونما مزيدة أو ادعاء إلى الطرف الراغب في التحديث مع بقاء طقوس الريف و«دومته في أحلام الناس». ابن الراوي الذي يدرس في البندر في مدرسة «... لم أحقه بها، لكنه هرب، سعى إليها» هنا يربط الكاتب بين التغيير المنتظر وبين غربة الروح؛ وسيكون التغيير ممكناً، بواسطة عنصر خارجي، يكمن في انتشار فئة المتعلمين!

وهنا يواصل الراوي القول:

«حين يخرج ابني من المدرسة، ويكثر بيننا الفتيان الغرباء الروح، فلعنا نقيم مكنة الماء والمشروع الزراعي، لعل الباخرة حينئذ تقف عندنا، تحت دومة ود. حامد»

إضافة إلى هاتين الصورتين من صور الصراع الهادئ عبر شراء التاجر للنخلة، وإقرار الفلاح بهزيمته، وانتظار أهالي القرية «للمشروع الزراعي، وطمبة الماء، ومحطة الباخرة» بهدوئه الذي وسم شخصيته، وبطرحة السلس، يقر الكاتب بإمكانية التغيير عبر إدخال عنصر جديد إلى الحياة، وإحلاله مكان نمط معيشي سابق، حتى ولو بدا موقف الكاتب - الراوي - هادئاً ميالاً إلى ترك التغيير، يسير بسلاسة على طريقة التحولات المتدرجة في المدن والمجتمعات الأوربية التي استوعب الكاتب تجاربها عن قرب!

ليس الصراع هادئاً دوماً، فما إن نتعرف على تفاصيل حياة مصطفى سعيد في بلاد الغرب، و(سخونة الإرث الشرقي - الإفريقي) الذي جاء محملاً به حتى يتكشف لنا شكل أقوى وأعنف من

لكتاب ترجمت أعماله إلى أكثر من عشرين لغة عالمية، ورشح مراراً لجائزة نوبل.

صمّت الأعوام الأخيرة.. أهو التواضع الذي جعله ذات مرة يقول وعبر أحد حواراته: «أمي أكثر إبداعاً مني؟» أم هو التشبع المفضي إلى الكسل؟ أم إن مردّد ذلك إلى الشهرة المفضية إلى التشبع والرغبة في الاسترخاء الذي يشبه التقاعد المبكر للموظف؟

الآن الرجل أفرغ مشروعه فيما أصدر من أعمال يأتي على رأسها رواية (موسم الهجرة إلى الشمال)؛ ربما يكون فعل ذلك، ثم تفرغ لتأملاته الصامتة، وترك الخلق يسهرون جراء قراءاتهم لأعماله ويختصمون.. أنصت مراقباً الناس والأحداث من حوله شرقاً وغرباً، متأملاً إلى أي مدى وصل الصراع بين الشرق والغرب مع بزوغ الألفية الجديدة التي أخذ الصراع فيها أشكالاً أعنف واشد أثراً. لا شك أنه رحل متحسراً على انحسار ما بشر به عبر نتاجه وحواراته من تسامح وتعايش لكل الرؤى والأفكار وأنماط الحياة بين البشر والشعوب.

الطيب صالح..

مناذمة في الحكمة عنه ومع

■ خالد ربيع السيد



خالد ربيع السيد

الكتابة عن الطيب صالح بعد رحيله، تعني إلى حد كبير الحفر في تفاصيل ربما خاض فيها نقاد ودارسون ومتذوقون كثر، منذ بداية شهرته بعد نشر روايته

التفجيرية «موسم الهجرة إلى الشمال» في العام ١٩٦٦م، وقد تعني اجتراح موضوعات بحثية

مصدرها مقالته في الصفحة الأخيرة في مجلة (المجلة)، جُمعت بموافقة منه فقط، وظهرت في تسعة أجزاء، عن أعلام أدبية، ومدن عرفها شرقاً وغرباً، وعن السودان، وعن المثبي، وذكريات وخواطر، وعن مهرجاني الجنادرية في السعودية، وأصيلة في المغرب، كانا من أكثر المهرجانات التي يدعى لها الطيب، وهذا يظهر من كتابه (مقالاته) عن هاتين الناقدتين اللتين فتحتا بوابات مثمرة للتواصل والحوار مع الذات ومع الآخر.

لماذا لم يستغل ابن السودان البار شهرته واسمه، كما فعل ويفعل غيره، ويكتب ويواصل الكتابة ويقبض ثمن أعمال ما تزال تحت يده، ويدفع بها للنشر، وستسوق عبر اسم كاتبها وكفى؟ لماذا لا يظل حاضراً قابضاً، ويبقى الكاتب الذي يكتب دون توقف؟ تساؤلات مبررة، خصوصاً وقد صمّت الرجل طويلاً؟

صمّت منشغلاً بأعمال إدارية عربية أو دولية، أو متجولاً بين المدن والعواصم، محفوفاً بمحبة الداعين، ومحاطاً بحفاوة المسؤولين والقائمين على العديد من الفعاليات والمهرجانات العربية؛ وللحقيقة، فقد كانت محبة أصدقائه تسبقه أينما حل أو نزل، فضلاً عما تبته في النفس شخصيته الأسرة وروحهُ المتسامحة.

«كاتب كسول» كما وصفه الناشر رياض الريس، «لكنه كسل جميل»، يعقب الرئيس، «يتهرب به من الكتابة ومتاعبها».

هذا ما تؤكد سيرته عموماً، فيظهر بوضوح تام من خلال سيرته أن الرجل يحب القراءة أكثر من الكتابة!

مهما يكن فقد ظل الطيب محمد صالح أحمد البشير يكتب المقالات، ويشارك في المهرجانات، ويتلقى الجوائز وكافة أشكال الحفاوة والتكريم



كتاب طلحة جبريل (على الدرب: مع الطيب صالح ملامح من سيرة ذاتية) - بسيطة، كتبتها ببساطة شديدة جداً.. كانت القصة تعبيراً عن حنين للبيئة، ومحاولة لاستحضار تلك البيئة.. بعدها انقطع الطيب عن الكتابة مدة سبع سنوات، ثم أنتج تباعاً «حفنة تمر»، و«دومة ود حامد».. عن قصته الأولى يروي الأديب الدبلوماسي علي أبو عاقلة قائلاً: «إن الطيب صالح قال له ذات يوم إنه كتب قصة قصيرة، ويريد رأيه فيها، فأعجبهته القصة، وطلب من الطيب صالح نشرها، لكنه رفض فكرة النشر، وحاول نزع المُسودة من يده، ولكن أبو عاقلة رفض إعادة القصة إليه إلا إذا وافق على نشرها، وبعد ثلاثة أيام جاءه الطيب صالح ضاحكاً، وقال: «يا سيدي خلاص أنا موافق، لكن منو اللي بينشرها لنا؟».

وفي العام نفسه، عام ١٩٦١م، حسب رواية رجاء النقاش، نشرت مجلة أصوات اللندنية «دومة ود حامد»، ثم ترجم دينيس جونسون ديفيس النص العربي إلى الإنجليزية، ونشره في مجلة إنكونتر (Encounter) الأدبية، وكانت حادثة نشرها في هذه المرحلة الباكورة من عُمر الطيب، ومع كُتّاب مرموقين أمثال الكاتب الأمريكي نورمان ميلر، بمثابة ميلاد حقيقي للطيب. وعندما شجعه «ديفيس» على مواصلة الكتابة قال له الطيب صالح في دعابته المعهودة: «يعني أتحول إلى كاتب؟.. هذه نكتة، لقد كتبتُ ما عندي.. وخلص يا أخي.».

عاش قريباً من أصدقائه، رقيقاً بضعيفهم، يحكي قصصهم ويتندر بلطائفهم، يروي عن صديقه وزميله في هيئة الإذاعة البريطانية منسي بسطاوروس فيقول «كنت بمثابة الأب له، رغم أننا كنا من سن واحدة، ربما لأن الآخرين

تفضي إلى التوغل فيما طرح من قبل، بسبب اعتقاد خاطئ أن الكُتّاب لن يغادروا من متردم، لكن بأي حال من الأحوال لا يعني ذلك عجز النقد والكتابة الإستنباطية والتحليلية في استكشاف مناطق غير مطروقة في أدبه الثري، بل يتأكد مع الوقت أن جاذبية أدبه ثلاث روايات ومجموعة قصصية وسلسلة مختارات من مقالات (تسعة كتب) وقابليته للبحث المتجدد لا تنتهي، بما يرسخ من طاقته التوليدية للتأويلات والقراءات المتلاحقة. لكن ثمة متعة قرائية خاصة، وتأملية ضافية، تتحقق لمن تتبع محاورات الطيب وحكايا أصدقائه عنه وحكاياه عن أصدقائه.

عن أول معرفته بالكتابة؟



طلحة جبريل

لم يحقق الطيب حلمه بالإشتغال في الزراعة «فلاحاً»، لأنه اكتشف - كما كان يقول - أن ذلك «مجرد حلم رومانسي»، «فأنا لا أصلح لشيء سوى

الكتابة». هكذا عرف عن نفسه بعدما كتب «نخلة على الجدول» كأول عمل أدبي كتبه عام ١٩٥٣م، سنة رحيله إلى عاصمة الضباب لندن، والقصة في مجملها - كما يصفها بنفسه كما ورد في

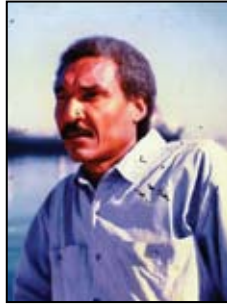
ماذا فعلت «موسم الهجرة إلى الشمال» بالأدبية العربية؟

يجيب عن طرف من هذا السؤال عباس بيضون فيقول كانت حدثاً مدوياً في الرواية العربية وقلما كان لرواية سواها هذا الحظ. ويرجح ذلك عبده وزان بقوله: كانت بمثابة الحدث الروائي العربي الذي كان منتظراً، لكنه بدلاً أن يأتي من القاهرة، أو بغداد، أو بيروت، جاء من الخرطوم الرمز.

إذاً استطاع الطيب في هذه الرواية أن يقدم مشروعاً روائياً جديداً، يحمل الكثير من علامات التحديث، شكلاً، وتقنيةً، وأحداثاً، وشخصيات. فضلاً عن أن إشكالية الرواية المحورية كانت تقوم على جدلية الصراع بين الشرق والغرب، أو بين الجنوب والشمال. وكانت ثمة أدبيات تناولت هذه الإشكالية من زوايا مختلفة، تأتي في مقدمتها رواية الكاتب البولندي جوزيف كونراد (قلب الظلام) الصادرة عام ١٩٠٢م، والتي أشار إليها الطيب صالح في ثنايا روايته، واستأنس ببعض مفرداتها، لأنها تمثل ضرباً من ضروب الاستعمار الأوروبي وأنماطه الاستغلالية في إفريقيا؛ وتلت هذه القراءة الخارجية قراءة داخلية تصدى لها الكاتب النيجري شنوا أشيبا في روايته (تساقط الأشياء) الصادرة عام ١٩٥٨م، والتي حاول أشيبا من خلالها أن يعطي قراءة داخلية

كانوا يعاملونه بفضاظة.

بقيت قرية كرمكول في وجدانه، قريته التي ولد بها سنة ١٩٢٩م، كانت تسكنه القرية أينما ذهب، يتذكرها عندما سافر إلى إنكلترا لمواصلة دراسته للشئون الدولية، ومن وحيها، كتب مجموعته القصصية «ود حامد» ورواية «عرس الزين»، إلا أنه أحجم عن نشر الأخيرة ولم يطلقها إلا عام ١٩٦٤م، حيث نُشرت الرواية ملحقةً بمجلة الخرطوم الثقافية، ولكن لم يحفل الناس بها كثيراً، ثم أُرِدِف ذلك بعمله الخالد «موسم الهجرة إلى الشمال» الذي نشرته مجلة حوار البيروتية عام ١٩٦٦م. وهنا يقول الشاعر الدبلوماسي السوداني سيد أحمد الحاردي إنه كان في زيارة إلى القاهرة واشترى خمس نسخ من مجلة حوار البيروتية، وأعطى منها نسخة لرجاء النقاش الذي قرأ رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» بعين فاحصة ناقدة، وكتب عنها مقالاً بعنوان: «الطيب صالح عبقرى الرواية العربية». وعلى إثر تلك المقالة لقب الطيب بعبقري الرواية العربية. وأيضاً بحسب جابر عصفور وآخرين إن ذلك المقال هو الذي وضع الطيب صالح على قمة الروائيين العرب منذ عام ١٩٦٨م، وجعل الناس يعودون الكرة لقراءة أدبياته السابقة، ويتشوقون لمطالعة إسهاماته اللاحقة.



علي أبو عاقلة



رجاء النقاش



جابر عصفور



عباس بيضون

بحلوها ومرها .

عند هذا المنعطف تبرز أهميتها، التي يصفها الكاتب فخري صالح بأنها الرواية الوحيدة التي استطاعت أن تطرح أسئلة معقدة عن تجارب الشعوب المستعمرة، ومستقبل العلاقات بين الشمال والجنوب أو الغرب والشرق، وبذلك أثارت «الكثير من الجدل والأسئلة التي جعلتها هدفاً للتحليل والتساؤل حول الرسالة التي تحملها، وطبيعة العلاقة بين بنيتها الروائية ومحمول هذه البنية.



رياض نجيب الرئيس



رشا الأمير

عن العودة من المهجر وعشق الأرض

منصور خالد لا يطلق عليه صفة المهاجر، أو اللاجئ، أو المنفي، «لأن الأوطان ليست ظواهر جغرافية، فالأوطان ترحل في قلوب أصحابها..» ويؤكد صدق هذه الفرضية قول الطيب نفسه رداً على السؤال الذي طرحه عليه خالد الأعيسر في حوار تلفزيوني شهير: «ألم يحن وقت هجرة الطيب صالح جنوباً للاستمتاع بدفء العشيّة والأهل، بعيداً عن بلاد تموت من البرد حيطانها كما وصفتها؟ فجاء رد الطيب عليه رداً حزيناً، أبكى المجيب أولاً، قبل أن يبكي مستمعيه: «أنا دائماً أقول حين أواجه بهذا السؤال إنني أحمل السودان بين أضلاعي.. ولست في حاجة إلى أن أعود إليه لأنني عايش فيه... في فترات كنت أزور السودان كثيراً، وكان الناس الذين أعزهم في السودان أحياء.. فقلّوا، الموت ما قصّر، أخذ كثيرين من الأعداء، لكنني أحب جداً أن

لما هو سائد في مخيلة المستعمر الأوروبي عن إفريقيا، منطلقاً من فرضية مفادها أن المجتمعات الإفريقية مجتمعات ذات حضارة، وليست بدائية صرفة، أو متخلفة، تخلفاً لا يلامس أطراف آدميتها، كما يصورها المستعمر الأوروبي، ليفرض عليها قيمة المستوردة، ويفرغ موروثاتها المحلية من محتواها.

وهكذا، تم اختيارها ضمن مائة أثر أدبي متميز في العام ٢٠٠٢م، فقد انتقاها مائة أديب وشاعر، يمثلون ثقافات متنوعة، بينهم أربعة

من «النوليين»، وهم وولي سونيكا (نيجريا)، ونادين غولدمر (جنوب إفريقيا)، وف.س. نايبول (ترينداد)، وشيموس هيني (إيرلندا). وعلى ضوء ذلك يثمن منصور خالد ذلك الاختيار بأنه اختيار نخبة «ذات حس وزكاته»، لأنها استطاعت أن تتقي هذه الرواية ضمن مائة أثر أدبي منذ أن عرف الإنسان الكتابة.

في السياق ذاته جاءت «موسم الهجرة» لتعكس إفرافات «نظرية ما بعد الاستعمار»، تلك النظرية التي وضع لبناتها فرانز فانون، وتناول بعض جوانبها متأثراً بقراءة إدوارد سعيد لموسم الهجرة في كتابه «الاستشراق»، ووثق طرفاً من مشاهد تلك النظرية وحيثياتها بيل اشكرت وآخرون في كتابهم المعروف بـ «الإمبراطورية ترد كتابةً». وتجب الإشارة إلى أن مصطفى سعيد بطل الرواية ولد في العام الذي قضى فيه لورد كيتشنر على الدولة المهدية (١٨٩٨م) ومات غرقاً في النيل عام ١٩٥٦م؛ أي عام إستقلال السودان، فحياته تمثل كل التجربة الاستعمارية



بلسان الراوي: أتمكن من زيارة السودان على فترات قصيرة، الآن لا أستطيع أن أسافر، هذه العلة التي أعاني منها، لأنني أنا مرتبط بغسيل الكلى ثلاث مرات في الأسبوع، ولا أستطيع أن أسافر، لكن عندي أمل قوي إن شاء الله قبل ما نودع هذه الدنيا، نزر البلد، ونشم هواها، ونشم تربتها، ونرى ما بقي من الأصحاب».

الكثير، وغاب عني الكثير، ولكن تلك قصة أخرى. المهم إنني عدتُ، وبني شوق عظيم إلى أهلي في تلك القرية الصغيرة عند منحني النيل. سبعة أعوام وأنا أحنُّ إليهم وأحلم بهم، ولما جئتهم كانت لحظة عجيبة، أن وجدتي حقيقة قائمة بينهم، فرحوا بي وضجوا حولي، ولم يمض وقت طويل حتى أحسستُ كأن ثلجاً يذوب في دخيلتي، فكأنني مقرر طلعت عليه الشمس، ذلك دفء الحياة والعشيرة، فقدته زماناً في بلاد تموت من البرد حياتنا».

والمشهد التالي يحكي عن موقف للراوي الذي لم يكن قشة في مهب الريح، بل إنسان له مواقفه المرتبطة بجرس الأرض التي ينتمي إليها، وعزة أهله الطيبين، وفي هذا يقول على لسان أحد شخصياته الروائية: «وقت طفح الكيل، مشيت لأصحاب الشأن، قلت ليهم خلاص. مش عاوز.. رافض.. أدوني حقوقي، عاوز أروح لي أهلي، دار جدي وأبوي.. أزرع وأحرث زي بقية خلق الله، أشرب الموية من القلة، وأكل الكسرة بالويكة الخضرا من الجروف، وأرقد على قفاي بالليل في حوش الديوان.. أعاين السما فوق صافية زي العجب، والقمر يلهج زي صحن الفضة.. قلت ليهم عاوز أعود للماضي، أيام

بمثل هذا البيان ظل الطيب متجزراً في خصوصيته السودانية مع أنه عاش في عاصمة الإمبراطورية العظمى، وتزوج منها جولي ماكلين (اسكتلندية) عام ١٩٦٥م، وأنجب منها زينب وسميرة وسارة، وظل يعتقد جازماً «أن الشخص الذي يطلق عليه لفظ كاتب أو مبدع، يوجد طفل قابع في أعماقه، والإبداع نفسه فيه البحث عن الطفولة الضائعة».

ويقول «حين كبرتُ ودخلتُ في تعقيدات الحياة كان عالم الطفولة بالنسبة لي فردوساً عشتُ خلاله متحرراً من الهموم، أسرح وأمرح كما شاء لي الله، وأعتقد أنه كان عالماً جميلاً... وذلك هو العالم الوحيد الذي أحببته دون تحفظ، وأحسست فيه بسعادة كاملة، وما حدث لي لاحقاً كان كله مشوباً بالتوتر».

يقول في زيارته الأخيرة إلى السودان عام ٢٠٠٥م: «وعندما حلقت الطائرة فوق مروي، وشفّت النيل والمزارع والنخيل، حدث لي شعور عظيم.. ويبدو أن ذلك الشعور كان أشبه بما حدث له قبل خمسة عقود عندما زار قرية ود حامد (كرمكول) الرمز، وسطر تلك المشاعر الجياشة في فاتحة «موسم الهجرة إلى الشمال»

كان الناس ناس، والزمان زمان».

وكيفية انعكاس النصوص على عيني.

أطياف مصطفى سعيد: الحياة في

رسالة:

مقلب آخر

■ مأمون التلب



مأمون التلب

«لستُ معصوماً من جرثومة العدوى التي يتنزى بها جسمُ الكون»، (الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال).

من الغريب جداً أنني اعتقدت في معرفتي بك، يا أيها الطيب، وربما ترسخ اعتقادي بسبب من نجاح بعض محاولات التفسير والتأويل التي تملكك إلى العالم كاملاً، ولم أتنبه لكل المحاولات الصعبة والملتوية والمُضللة التي بدَّلَتْهَا لتؤكِّد أنك لست جزءاً من ماء النهر، وأن الإنسان يموت كما يُولد، دون إرادته، لذلك لن يُقبض على سرِّه. ليس هنالك من إنسانٍ عميقٍ وآخر سطحي، ليس من معقِّدٍ وبسيط، ليس من فنانٍ وملتقٍ، ليس من شمالٍ وجنوب. لا وجود لكل ذلك: الوجود يتفجَّر من لحظة التمرد التي أدخَلت مصطفى سعيد إلى شعابها عدة مرات: مرة وهو يقابل التمرد وجهاً لوجه ليُدلِّ على يده، مرةً وهو يحرك مصائر كل الذين من حوله ليدخلوا لحظات تمردهم بمعونته، ويظلُّوا أسرى سلطته. ومرةً بأن يكون هو التمرد والبوصلة التي تقود العالم، في لحظة اختيار الموت، واختيار الحياة في ذات الوقت بعد أن يحتلَّ كيان الراوي وجسده. قل لي أيها الطيب: ألم تحنَّ على الرجل؟ ألم يؤنِّبك ضميرك على ما أقدمت عليه؟

الحكاية: جرثومة الذات

رجلٍ أسمرٍ أبيضٍ أحمرٍ أسودٍ، وجهٍ مطليٍّ بألوان العدمِ كلها، ومشكِّلٍ بما ناء عن حمل جسده. هذه الكتلة اللحمية، البشرية، عرفت، بعد أعوامٍ من البحث والغزو والقتال، واجب ترك

لا أريد بهذه الكتابة أن أحلل رواية الطيب صالح نقدياً؛ أبتعد، تحديداً، عن محاولات اكتشاف علاقات الذات والعالم الخارجي، أعني خروج الذات إلى العالم. سأتجه إلى العكس، أي دخول العالم إلى الذات، ومن ثم خروج العالم في وجه الضحية التي ستشوه ملامحها بذلك النفس الملوَّث بأحلام الجرثومة وكوابيسها التي لوَّثت الدم تماماً؛ أعني الجرثومة التي ما انفك كاتبنا الكبير عن ذكرها، في كتبه ورواياته وقصصه، بكثيرٍ من الحبِّ والكراهية، العنف والرحمة، كأنه وضع هدف حياته النهائي بأن يتتبع أثر هذه الجرثومة في الحياة والكتابة. لكنه فضَّل، في النهاية، أن وجودها في الحياة غنيٍّ ومؤثِّرٍ بطريقةٍ إيجابيةٍ ورحيمةٍ على الروح والعقل أكثر من وجودها داخل الكتابة؛ فهي داخل الكتابة تبدو كسمٍّ يرحَّ أنحاء الجسد منذ الأزل.

من ناحيةٍ أخرى تبحث هذه الكتابة حول فرضية البوصلة، التي ستوضح للقارئ بعد القراءة. إنها محاولة وقحة قليلاً للحياة مع النص، وتأويله كما أملت عليَّ حالاتي الداخلية

الجراثومة التي ستقود العالم بعد أن تصبح بوصلته.

بهذا يكتمل البناء الذي أشرت إليه في البداية، وهو: بحث قطب البوصلة المشير باتجاه الشمال عن بقية أقطابه؛ لتكتمل حياة هذا الشخص الواحد، والمقسم إلى أربعة أشخاص: حسنة من حيث جاء النهر؛ من الشرق لتتجه صوب الراوي وتتحطم على سواحل اختياراته الخائبة، ومصطفى النهر القادم من الجنوب ليتحطم على الجليد القاسي الذي احتمل كل شيء ليصل إلى غايته. جين مورس كانت الوحيدة التي استطاعت أن تختار، وأن تصبح جزءاً من مياه النهر.

دائماً ما نسمع أن الطيب صالح تخلى عن الكتابة، وأنه يكتب فقط تحت ضغط أصدقائه، وفي العديد من المناسبات والحوارات ذكر إنه اندفع إلى الحياة بعد كتابة رواياته التي هزّت العالم. أو كما قال للروائية أسماء عثمان الشيخ: (أنصحك أن تجوبي هذي المطارات والعوالم والناس طالما سنحت الفرصة. واقربي الحياة من هناك، فهي ليست، كلها، بين غلافي كتاب؛ هناك أغنى، صدقيني).

ذلك أن الحياة في موسم الهجرة، تصبح، بكل شرّها وخيرها، مادة لجيوش الظلام، وكان معناها بهذا الاعتبار واضحاً بالنسبة لمصطفى سعيد: الحب يحوي بداخله الحقد كميّون أساسي، أو غريزة التدمير، كما يقول فرويد، التي يتمتع بها المُحب؛ إنه يسعى لتدمير حبيبه في ذات الوقت الذي يسعى فيه

حياتها لإرادة نهرٍ لم تملك بدأً من الاستسلام له. فالنهر، في نهاية المطاف، سيّجه شمالاً، وأعماقه ستتجه جنوباً، وضفتاه ستتمرداً دوماً على هذا الاتجاه الواحد، وتحرف ليتجه النهر غرباً قادماً من الشرق، أو العكس. في لحظة التمرد الكونية هذه، متمثلةً في تمرد مجرى النهر، غرقت هذه الكتلة لتصبح بوصلة العالم التي تشير دوماً باتجاه الشمال، غرقت في المنتصف تماماً، لأنها لن تكون بوصلةً إلا في اللحظة التي تتمرد فيها الضفاف داخل لحظة الموت المحاصر بالاختيار والقدر؛ هناك كانت البلدة التي نادت بوصلة العالم لتأتي إليها، لتكتشف أقطابها الأربعة: رجلان وامرأتان يحتربون باستمرار.

لقد كانت (حُسنه بت محمود) تقليديّة جداً، ولكن وجودها الآخر، متمثلاً في جين مورس، كان متمرداً تماماً؛ فيما بدت جين مورس (الشخصية التي ليست لها أي روابط عائلية وكأنها «شهرزاد مشردة») أي لقد كانت جين مورس هي قرينة حُسنه، في حياة مصطفى سعيد السابقة، تلك التي سعت بكل قوة إلى ما توصلت إليه: أن يقتلها مصطفى سعيد.

كذلك مصطفى سعيد، الذي لا تربطه جذورٌ بأي شخص كـ «جين مورس» تماماً (حتى ارتباطه مع أمه كان ارتباطاً وظيفياً، وكانت الأم قد فهمت ذلك تماماً، أدت دورها كحواية تُخرج مصطفى وتحرره) كذلك استطاع، بكل قواه الظلامية الجميلة والقاتمة، أن يخلق الراوي الذي بلا اسم. مصطفى سعيد هو روح

لإحيائه، نقرأ: (العالم فجأةً انقلب رأساً على عقب، الحب؟ الحب لا يفعل هذا؛ إنه الحقد. أنا حاقِد وطالب ثأر وغريمي في الداخل ولا بدّ من مواجهته، ومع ذلك لم تزل في عقلي بقية تدرك سخريّة الموقف. إنني أبتدئ من حيث انتهى مصطفى سعيد، إلا أنه اختار في نهاية الأمر، وأنا لم أختَر شيئاً. قرص الشمس ظلّ ساكناً فوق الأفق الغربي زمناً ثم اختفى على عجل. وجيوش الظلام المعسكرة أبداً غير بعيد وثبت في لحظةٍ واحتلت الدنيا).

أنكر مصطفى سعيد افتراض الراوي (أنه اختار) بقوله (تحددت علاقتي بالنهر أنني طاف فوق الماء، ولكنني لست جزءاً منه، فكرت أنني إذا متّ في تلك اللحظة أكون قد مُتُّ كما وُلدت، دون إرادتي). أعرف أن الجملة الأخيرة لم يذكرها مصطفى سعيد، ولكنني أوضّح هنا أن الراوي، في اللحظة التي يطفو فيها على سطح النهر، ليس الراوي، وإنما مصطفى سعيد وقد أعيد بعثه لينطق بمقولاتٍ أخرى وجديدة.

لقد تشابهت (حياة) «موسم الهجرة إلى الشمال» مع (موت) «الرجل القبرصي» تشابهاً في كونهما يمتلكان حق اختيار مصائر الشخصيات. ولكي أكون دقيقاً، فهذه الشخصيات قد أصيبت كلها بعدوى الجرثومة التي انتقلت من واحدٍ لآخر، وسوف يكون للحب والموت - حليفاً جيوش الظلام - قدرةً على اختيار مصائرها (الشخصيات).

الذي لن يصاب بالجرثومة، أو يرفضها، فسوف تُحدّد مصائره توافه الأمور، وسيفوت المتع الفردوسية للحياة داخل الكتابة.

من هنا، نستطيع أن نلاحظ استسلام مصطفى سعيد التام، طوال حياته، لسحر أقدار الجرثومة، متأكداً وواثقاً من قيادتها مهما كان الاتجاه، هذه الثقة هي التي كشفت له المستور (مثلما كُشِفَ المستور لمحييميد في قصة «الرجل القبرصي» ورأى الموت؛ يقول الرجل القبرصي) ليس كل إنسان مدركاً، أنت يا صاحب السعادة تدرك موضعك في الزمان والمكان). إدراك الموضع في الزمان والمكان: هو الجرثومة التي تأتي بأشكالها العديدة. لم يختر مصطفى موته، بل اختارته الجرثومة التي وسوست في أذنه بأن يتّجه إلى تلك القرية، وعند ذلك المنحنى النهريّ الذي يميّز القرية، المنحنى الذي يتمرد على اتجاه النهر الأبدى: الشمال.

لقد كان مصطفى مُنفذاً خاضعاً لمخطط الجرثومة التي تريد، في اللحظة، أن تصبح بوصلة الكون، ومركزه. لذلك سعى مصطفى، ببحثه عن آخر ليخضعه لسلطته التي منحته إياها الجرثومة، وأن يدفع بالراوي دفعاً لكتابة حياته: أن يعيش الجرثومة داخل الكتابة (الاختيار الذي رفضه الطيب صالح) بعد أن اختار مصطفى أن يعيش الجرثومة في حياته (الاختيار الذي اختاره الطيب صالح).

غريمي في الداخل:

قال الراوي: غريمي في الداخل. لكن أين؟ هنا وصل الراوي إلى النقطة التي رسم خريطتها أمير جيوش الظلام، مصطفى، الخاضعة لسلطات الجرثومة الكبرى: الغرفة الشمالية المغلقة في الجنوب، ولم يدخلها سوى الأمير صاحب الكنوز: قصة حياته في كتابٍ خالي الصفحات، والتطرّف

الموت والحياة؟ ماذا حدث للقافلة والقبيلة؟ أين راحت زغاريد عشرات الأعراس وفيضانات النيل وهبوب الرياح صيفاً وشتاءً من الشمال والجنوب؟ الحب؟ الحب لا يفعل هذا. إنه الحقد. ها أنا ذا أقف الآن في دار مصطفى سعيد، أمام باب «الحديد»، باب الغرفة المستطيلة المثلثة السقف الخضراء النوافذ. المفتاح في جيبتي وغريمي في الداخل، على وجهه سعادة شيطانية لا شك؟ أنا الوصي، والعاشق، والغريم).

هذه الغرفة المظلمة بداخله، أشعلها مصطفى سعيد، كما أشعل مناطق مظلمة كثيرة داخل نساء كثيرات. يقول عن إيزابيلا سيمور: (كانت متزوجة من جراح ناجح، أما لبنيتين وابن. قضت أحد عشر عاماً في حياة زوجية سعيدة، تذهب إلى الكنيسة صباح كل أحد بانتظام، وتساهم في جمعيات البرّ. ثم قابلته اكتشفت في أعماقها مناطق مظلمة كانت مغلقةً من قبل) باب الحديد المغلق مرة أخرى. ويا لسخرية مصطفى سعيد من الحياة الناجحة والسعيدة.

لقد غزا مصطفى سعيد العالم، وليس الشمال فقط، بجرثومته، ويريد أن تظلّ صرختها مدوّية عبر الزمان والمكان، وإلى الأبد، باستخدامه للراوي، وكاتب الرواية الطيب صالح، لتنفيذ هذا المخطط. لقد اكتشف الراوي وجود الآخر: لقد نظر في المرأة فرأى مصطفى سعيد.

الذي ميّز شخصيات الطيب صالح، الذي ذكرته في البداية، أقصى الشمال وأقصى الجنوب، أقصى الشرق وأقصى الغرب، وفي نهاية كلّ جهةٍ موتٌ مختار، لهذا قام مصطفى سعيد، السهم الشمالي للبوصله، بكتابة هذا الإهداء على كتابه الذي لم يكتب: (إلى الذين يرون بعينٍ واحدة، ويتكلمون بلسانٍ واحد، ويرون الأشياء إما سوداء أو بيضاء، إما شرقية أو غربية).

دخل الراوي إلى داخل ذاته، الغرفة، الجزء المظلم منه، القديم، الممتلئ بالمعارف والفنون، الشمال الذي لم يعرف بوجوده داخله إلا في تلك اللحظة، نسي كلّ شيءٍ؛ تاريخه، حضارته، ذكرياته، وطنه، اتجاهات العالم الجغرافية السطحية، تناقضات الشرق والغرب والشمال والجنوب، القضايا، نسي عالمه الخارجي ودلف إلى عالمه الداخلي: ذاته. الشمال ليس حضارة الغرب، ولا برودته، إنه شمال الذات التي تتبع عندها الجرثومة.

نقرأ دخول الراوي إلى ذاته في هذا المقطع: (خسرت الحرب لأنني لم أعلم ولم أختبر. ووقفت زمناً طويلاً أمام باب الحديد «الغرفة» أنا الآن وحدي، لا مهرب لا ملاذ، لا ضمان. عالمي كان عريضاً في الخارج، الآن قد تقلّص وارتدّ على أعقابهِ حتى صرت العالم أنا، ولا عالم غيري. أين إذاً الجذور الضاربة في القدم؟ أين ذكريات

* كاتب من السودان.

(١) كاتب من السعودية.

(٢) كاتب من السعودية.

(٣) كاتب من السودان.

التعايش والاندماج بين الشاعر والقارئ عند سعد سعيد الرفاعي

■ د. نادية لطفي ناصر*

من الوهلة الأولى لقراءة شعر سعد الرفاعي، تلاحظ المصالحة بين الشاعر والقارئ على كل مستوياته التي عدتها نظريات التلقي، إذ قسمت القارئ إلى قارئ ضمني وقارئ واقعي ومروي عليه. إن هذه المصالحة لا تعني التسليم والسقوط، بل تعني انكماش احتمالات الدلالة من قبل القارئ واتحاده مع قصد الشاعر وفكره... بل مشاعره أيضاً. ومن خلال تتبع هذه المصالحة، اتبع منهجا تكامليا إضافة إلى نظرية القراءة، إذ إن النص هو الذي حدد قراءته؛ كما أن هذه المناهج التي تحدد المنهج التكاملي تعد إضافة للنص فقط، ومنارات ومعالم.. ولكن إذا قيدت حرية البحث فهي تفسد وتضر⁽¹⁾.



وقد تناولت من خلال هذه الدراسة شعر الشاعر من حيث الزمان والمكان؛ أما المكان.. فالتأثر المعروف بين الشعراء بصفة عامة والمكان.. أضيف إلى ذلك خصوصية المكان الذي نشأ فيه الشاعر وتردد عليه. وكان الزمان للنزعة الاجتماعية الغالبة على الشاعر، وتأثره بالأحداث الآنية الكائنة في هذا الزمان المعاصر. ثم بعد ذلك برهنت على فكرة المصالحة أو الاندماج بين الشاعر الكاتب لهذه القصائد من حيث الفكرة والدلالة، والقارئ المدرك لهذه الدلالات.. أو بصياغة أخرى حسب نظرية التلقي.. الشاعر الضمني والقارئ الضمني. كما تناولت الصورة الفنية عند الشاعر



المجيد، وبقوة الأمة الإسلامية العظيمة، ليستمد منها الوقود، ليستطيع أن يواصل تحديات العالم المعاصر.

إن الموروث الثقافي يتحول إلى خطاب اجتماعي وثقافي، وربما سياسي أيضاً، يشهره الشاعر ضمن أسلحته الأخرى في وجه القوى التي تهدد انتماءه^(٢).

فشاعرنا يتعلق تارة بأستار الكعبة.. وتارة بالروضة الشريفة.. وأخرى بما وعى وحفظ من عشرات الكتب، ليعينه على أهوال العالم المعاصر، كما يستغيث بكل هؤلاء. إن المكان عند سعد الرفاعي له مكانة عالية قوية وعظيمة، كما أنه ركيزة الشاعر في الاتكاء على رموزه وإسقاطات منه على هذا الزمان والمكان.

يقول في قصيدة «الهوى الأبدي» التي صدرها بتفسير للقصيدة: «قلتها لحظة مغادرتي المدينة المنورة إثر انتهاء دراستي التكميلية لدرجة البكالوريوس^(٣).

أنت الهوى الأبدي يسكن خافقي

ويخط في سير الوفاء عهدا

أنت الرؤى البيضاء ترسم للمنى

دربا يفيض من الخلود خلودا

أو تذكرين لقاءنا في بدئه

إذ جئت أهرع للقاء سعيدا

وسماتها المميزة في شعر شاعر الدراسة، وعرجت على سمات أسلوب الشاعر، إضافة إلى توضيح للنزعة أو الاتجاه الذي ينتمي إليه الشاعر.

وأدعو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الدراسة لفئة مضيئة لقراءة شعر الشاعر السعودي سعد سعيد الرفاعي.. الذي تميز شعره بالقيم، سواء على المستوى الاجتماعي أو السياسي.

الشاعر زمانا ومكانا

ولد الشاعر في ينبع، محافظة في المملكة العربية السعودية.. تتوسط المسافة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وتميل قريبا إلى مدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، تقع بينها وبين المدينة المنورة محافظة بدر.. حيث شهداء بدر.

نعم إن المكان مفعم بالقداسة وعبق الإسلام الأول.. سميت ينبع لأنها كانت تحتوى على ينباع للماء..

ربما هذه ينباع نضبت الآن، ولكن الموروث الثقافي في هذا المكان قوي ومشاع دائما أبدا في نفوس المسلمين عامة، والشعراء خاصة، والأخص عن شاعرنا صاحب الدراسة سعد الرفاعي.

لقد انعكس الموروث الثقافي بشكل كبير ومضخم أو مركز في شعر سعد الرفاعي، حيث تلاحظ الارتباط القوي للشاعر بالمكان ينبع، والمكان الأقوى المدينة على وجه الخصوص.

إن الشاعر يلجأ إلى موروثه الثقافي كجسر زمني ومكاني أيضا، يصله بذلك الماضي

- حيك - الوداع - تأوها - أحاسيس - دمع
- العيون (...).

إذاً.. فحقل (الحب) عبر تعبيراً قويا عن
صدق عاطفة الشاعر، وأظهر مدى حبه لهذا
المكان العظيم المقدس.

كما تميزت القصيدة بالتشخيص من المادي
الجمادي إلى الإنساني؛ فالقصيدة كلها استعارة
مكنية كبرى، فهي صورة كلية شبهت (المدينة
المنورة) بالمحبوبة.. وحذفت المحبوبة
الإنسانية.. وعبر بصفاتها من الحب والحوار
والفراق وما إلى ذلك.

تعانق في القصيدة الفعلان الماضي
والمضارع، أكد الشاعر على استمرار حبه
(المضارع) وأكد به بالماضي.. فحبه مستمر
وخالد ودائم وبق.

إن هذا الإطار الذي يلف القصيدة الخاص
بالصورة الكلية مدمج بصور جزئية تشبه
التطريز، أو الأريسات الصغيرة الواضحة
البسيطة التي تموج بالعاطفة القوية تجاه هذا
المكان المعظم ومنها:

(ينأى الوداع - يسكن خافقي - ترسم
للمعنى دربا - تعانقت فينا الأمانى - تعطلت لغة
الحروف - فسرت الأحاديث.. رعشة في القلب)
(ترسم للوجود - شهد الوداع -
قصيدتي نبضت بحبك - حلقت
بحروقها - فرح يكحل ناظري).

إنها استعارات مكنية صور بها
الشاعر إحساسه ورؤيته للمكان
الجميل والمقدس «المدينة



حتى أعانق مقلتيك بنظرة

تحكي عن الشوق المنير قصيدا

فتعانقت فينا الأمانى التي

تهوى الوداع ولا تريد محيدا

وتعطلت لغة الحروف وأصبحت

لغة الشفاه على الوداع ورودا

يا طيبة النور المشع قصيدتي

نبضت بحبك غردت تمجيدا

أزف الوداع فحلقت بحروفها

تصف الوداع تأوها وسعودا

تبرهن القصيدة بمعانيها القوية والرقيقة
معا على قوة وغزارة ذلك الحب الأبدي للمدينة
المنورة في قلب الشاعر، إنها ليست مكانا ماديا
جماديا، بل هي قلب ينبض وروح وحياء، إنها
تجسدت في عين الشاعر حتى صارت محبوبته،
ولكن ترفعت عن البشر فصارت خالدة أبدية
أبدا.

إنه يحاورها ويذكرها بالماضي الجميل وينوح
لفراقها القريب. إن جمال المدينة المنورة وبهاءها
ورقتها جعلت كلمات الشاعر المعبرة عنها، فيها
شيء من رقتها وبهائها، إن تعلق الشاعر بالمكان
يظهر جليا في هذه القصيدة التي تتمتع بقوة
العاطفة وصدقها ورقة ألفاظها، فمعظم ألفاظها
تحكي عن حقل لفضة الحب وكل ما
يتعلق بهذه اللفظة مثل:

(هواك - الهوى - الوداع -
خافقي - المنى - لقاء - أعانق
مقلتيك - الشوق - الأمانى -
الشفاه - القلب - شهد الوداع
- الهمس - المحب طيف - نبض

مدينة الحب عضوا إن قافيتي
 لم تسعف اليوم جفت أحرفي بظمي
 عباءة النثر تكسو صوت قافيتي
 وأعذب الشعر يبقى سابحا بدمي
 بدأ الشاعر القصيدة بعدم طواعية الشعر
 له أعواما طويلة، يحاول أن يخضع الحروف
 والقوافي فلا يستطيع أن ينشد ما يليق ببهاء
 المكان والموضوع، ثم ينادي على مدينة النور،
 ويذكر بعض صفاتها العظيمة، وبعض سماتها
 المقدسة.

ونرى الاتفاق التام بين الشاعر الضمني وبين
 القارئ الضمني والواقعي كما سنرى فيما بعد،
 وكذلك يوجد الاتفاق الوجداني التام بين القارئ
 المسلم والشاعر.

إن الشاعر يعيش في صراع نفسي بين هذا
 المكان المقدس وإيحاءاته التي تربي عليها،
 ونشأ فيها من مبادئ عليا وسير المسلمين
 الأوائل، وبين هذا الزمان الذي انقلبت فيه
 الأوضاع.. وتغيرت فيه الأحوال.. وتحول كل
 شيء.. المبادئ في كثير من الأحيان صارت
 رجعية.. وسار المذهب العالمي هو السائد،
 وهو النفعية أو البرجماتية التي تملك الكثير
 من الناس. والشاعر بحبه للمكان وقلقه به
 يحاول ألا يقف على شفا جرف هار، فينهار
 به كما انهار بالكثيرين.. يعني أنه يتعلق
 بالمكان المقدس (مكة والمدينة)، ليس بالشكل
 الحقيقي للمكان، بل بمعنى المكان وإشاراتة
 إلى صدر الإسلام، وقوة المسلمين وسيادتهم
 للعالم.. ومن هنا جاء التركيز على القيم عند
 الشاعر.

المنورة». فقد شخص المدينة وجعلها محبوبته
 التي يحاورها وتحاوره، ويذكرها بالماضي
 الجميل وبداية لقاءه بها، وقد تمازجت نظراتها
 شوقا وحباً.. كما تعانقت أحلامنا.. فهي تبادلته
 الحب والشوق.. وتتذكر معه الذكريات الجميلة.
 أما عناصر الصورة الكلية فتتضح في:

الصوت في (أحكي)

اللون في (بيضاء)

الحركة في (أهرع - أعانق - يخط)

ولم يعن الشاعر بالمدينة المنورة فقط، بل
 ذكر مكة المكرمة وجدة وينبع والقاهرة وبغداد،
 وهذا يدل على تأثره بالمكان بشكل ظاهر..
 وهو معهود عند الشعراء.

وكل هذه المدن لها من الثراء التراثي ما لها.
 كما يعاني الشاعر من المفارقة بين الزمنين
 من الناحية الأخلاقية والاجتماعية. فيقول في
 قصيدة (مدينة النور)⁽⁴⁾

(مدينة النور) يا إشراقة سطعت

شموسها بضياء الحق في القمم

(مدينة الطهر) يا ريحانة عبقت

وحلقت في سماء الكون بالقمم

وسافرت بعبير الخير تنشره

سحائباً تغمر الأكوان بالنعم

ترابك الطهر كل الطهر زينته

من السمو وشاح باسق الشمم

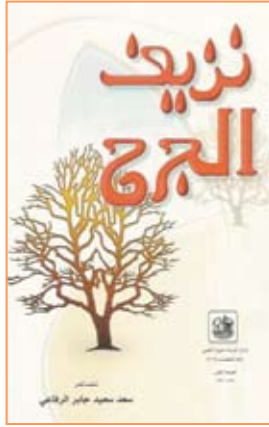
خطى الرسول عليه الأمس ملحمة

فشيد الدين صرحا راسخ الدعم

فشيدت فوق جفن الشمس أمتنا

دعائم المجد ما شيدت على وهم

الإسلامية.. رمزا لقوتها
وعنفوانها هارون الرشيد، والعلم
والنهضة والعزم، والتراث الديني،
والعصر الذهبي للإسلام.. كل
ذلك تمثل في رمز بغداد.



فهو يتغنى من خلالها بالمجد
والتاريخ المشرق لأمة الإسلام..
ويدعوها للعودة، والرجوع للمجد
والنهضة.. يستفز الأمة لأن تعود
وتتنفض من هذا العالم المظلم
الروح.. أو الغائب الروح الذي يقوده الشر والظلم
والعنصرية.

لذا يتعلق الشاعر بالزمان والمكان معا.

تعايش القارئ والشاعر في الفكر والأسلوب

إن اتكاء الشاعر على المكان وقداسته،
والتراث الديني المقدس لهذا المكان، يعد
جسرا بين الشاعر والقارئ، يتيح له عملية الفهم
ووضوح الدلالة، حتى نلاحظ أحيانا حالة التوحد
الشديدة بين القارئ والكاتب، وفي أحيان أخرى
لا يكذب المتلقي ذهنه في الوصول إلى المعنى، ما
يعطي إحساسا ما بالملل والتقليدية الشديدة..
فالشاعر حين كتب القصيدة تخيل قارئاً ما،
وأجهد نفسه في تسيير الدلالة بل ما يحيط
بأخبار حول القصيدة من أجل القارئ.. وهي
تسمى في نظرية القراءة القارئ الضمني.

فالقارئ الضمني كما يرى الناقد (ميشال
ريفاتير): يقدم تحليلاً للنص بحثاً عن معنى
يزيد أو يقل عن المعاني الصحيحة، فهو ما يراه
الشاعر الضمني الذي يكتب له^(١).

فالمكان يمدّه بالزاد والقوة
ليواجه الزمان الحالي المتغير،
وكذلك يلجأ الشاعر للتعلق
بكل ما هو تراثي في الشكل
العمودي والمفردات التراثية
والتراكب.. وإن حاول الخروج
إلى شكل التفعيلة والتراكيب
المبتكرة المعاصرة.. يكون
الخروج بشكل مباشر.

يشير الشاعر إلى ما آل
إليه المسلمون في العصر الحالي.. فيقول في
قصيدة (صرخة في وجه الطغاة):

يا أمة الإسلام صوتك مفزع

وعلى الشفاه لكم يحار سؤال

أتظن تنشد نصرة من هيئة

وسلاحنا يحتاجه الإهمال؟

حتام نرجو هيئة الأمم التي

بفنائها عدل القرار محال

حتام نرجو هيئة خوانة

في نهجها سامي الشموخ يطال^(٢)

كما يقول في قصيدة «أمّتي»:

أيها الباغون إن أمة

مجدها ما كان يوماً أسودا

هذه (بغداد) والمجد الذي

أنعش التاريخ حتى غردا

هذه (بغداد هارون) التي

بددت بالعلم ليلا سرمدا

أمّتي هيا أفيقي وانهضي

جددي العزم وأدني الموعد^(٣)

وهنا تغنى الشاعر (ببغداد) رمز الأمة

منها ما يتوافق وإحساسه ونفسيته.

يقول الشاعر في قصيدة الزهور الذابذة:

(عندما نحتمي بالشجرة فإننا لا نقصد
الشجرة ذاتها بقدر ما نقصد الشجرة الرمز، رمز
العطاء.. والوفاء.. رمز الحياة وكم هو جميل أن
نسعى لخضرة الأرض.. ولكن الأجل من ذلك أن
نسعى لاختضار المشاعر ورقة الأحاسيس).

ذبلت بأفياء القلوب زهور

تصحرت شمس بها وشعور

ذبلت وما عادت تضوع عطرها

عبقا ولا فيها الجمال بثير

لولا التصحر ما شهدنا عاجزا

يسقي الجراح وقلبه مكسور

ليس الحياة بأن تخضر أرضنا

وقلوبنا بالاصفرار تجور^(١٠)

في هذه القصيدة نلاحظ أن الشاعر يخاطب
المروي عليه في المقدمة النثرية، ويوضح له
الدلالة، وكذلك يخاطبه من خلال الضمير وهو
- نا - الفاعلين في (شهدنا).

أما الراوي فإن الشاعر هنا لا يركز كعادته
عليه، بل يتجاهله.. وذلك لأنه يذكر حكما يتحنى
فيها عن الذات والخصوصية متجها إلى الآخر
والعام.

أما القارئ الضمني فهو يشغل نفس الشاعر
بشكل كبير، وحادثه في المقدمة.. وهو في ذهنه
دائما، وهو يكتب محاولا إيفهامه، ويفك له شفرة
القصيدة - إن جاز التعبير - ويشرح له معنى
الرموز.. وعلى ذلك.. القارئ الواقعي الحالي
يجد سهولة كبيرة في فهم نص سعد الرفاعي..
الشاعر السعودي الينبعي.. ومن ثم التعايش

وهو القارئ الذي يخلقه النص نفسه.. أو
في ذهن الشاعر.. وهو شبكة من أبنية استجابة
تعزونا إلى القراءة بطرائق ذهنية بعينها أثناء
عملية القراءة، ولكن هذه لا بد أن تتلون حتما بلون
مخزون التجربة الموجودة عند هذا القارئ^(٨).

وقراءة الأفراد خاضعة للتوجهات الفكرية
والأيديولوجية العامة لكل عصر على حدة،^(٩)

والفكرة البارزة عند سعد الرفاعي هي تطابق
القارئ الضمني مع القارئ الحقيقي أو الواقعي
الذي يقرأ بالفعل، والقارئ الضمني هو القارئ
الذي يتخيله الشاعر ويستوعب فكره وعقيدته،
وذلك وفق إجراءات نظرية التلقي. إذأ، فالفكرة
التي اختطها الشاعر الضمني في كتابة القصيدة،
هي نفسها الفكرة التي أبلغها للقارئ الضمني
بتفسيراته وشرحه، وهي كذلك الفكرة التي
وصلت للقارئ الواقعي المتعدد؛ بمعنى أن القارئ
الواقعي.. ذلك القارئ الذي قد يكون أكاديميا أو
طالباً أو متقفاً أو عاملاً أو غير ذلك.. ويتضح
ذلك من خلال الشواهد والتحليلات لنماذج شعر
الشاعر السعودي المعاصر، الذي اختط لنفسه
اتجاها اجتماعيا امتزج بالرومانسية في بعض
الأحيان كما سيأتي:

يفكر الشاعر كثيرا في المتلقي أو يشغله
القارئ الضمني ويخشى ألا يفهم قصده الحقيقي،
فيضع في العديد من قصائده مقدمة شعرية
توضح المعنى الذي يرجع إليه الشاعر، والقصيد
من القصيدة أو مناسبة القصيدة، وبعد هذا
حجرا على ذهن القارئ وحداً من خياله، فكان من
الأفضل ألا يفسر شيئا للقارئ ويترك القراءات
العديدة والدلالات تتردد على ذهن القارئ، فيختار

معها، وذلك لتحقيق اللذة العقلية لمستوى معين من القراء الواقعيين، الذين يجدون أو يشعرون بالخصومة بينهم وبين القصيدة المعاصرة، التي تمتلئ بالشفرات والرموز والأيقونات، التي لا تصل إليها هذه الفئة من القراء.. ومن هنا، يعي القارئ الواقعي تماما قصد الشاعر بلا أي تعدد للاحتتمالات أو الافتراضات.

يقول في قصيدة مداعبة:

تداعبني الأمانى في حصاري

لتخنق عنوة رحب اصطباري

تمر كنسمة تلهو بقلبي

يعمق لهوها يأس انكسارى

تجئ لتدعي وصلى بليل

وتصدح بالتجافي في نهاري^(١١)

تلاحظ سيطرة الذات على هذه الأبيات، والتوقع داخلها، والعيش داخل أجزائها وآلامها.. وذلك بالتأكيد على الراوي.. وذلك من خلال الضمائر في تاء الفاعل - وياء المتكلم في (قلبي - انكساري - نهاري - اصطباري...)

إنه الراوي يتحدث عن آلامه وأمانيه، آلامه في سجن النفس الذي قود جهدها وألبسها ثوب اليأس والانكسار.. وأمانيه في الانطلاق والحرية.. إن أحلامه تلمع أمامه كلمع آل تترأى له في وقت.. وما إن يتلمسها حتى تنقضى مسرعة..

إن مسار الحركة في القصيدة دائري منغلق.. تتغلق فيه المشاعر والأفكار ككوكب يدور حول نفسه.. ولكن تعاقب الليل والنهار فيها يعادل تعاقب اليأس والأمل..

كما تظهر سمات النهج الرومانسي في القصيدة من حزن ويأس وانغلاق نفس ورقة في التعبير..

واهتمام بالغ بالذات.

يقول في قصيدة (خيار)

خيار.. خيار

وأى خيار؟

ويطفو على شفتي السؤال

علام أحرار؟

ويصخب فكري بألف خيار

تعيش زمانا

يموت الخيار على شفتيه

تراءى..

لنا اليأس في مقلتيه

عن البذل يصرف وجها

بكلتا يديه

..واني ريبب لهذا الزمان

رضعت المآسى

بمنزع نفسي

لأنمو برا بهذا الزمان^(١٢).

التأكيد هنا أيضا على الذات من خلال الاهتمام بالراوي.. كما تظهر سمات الاتجاه الرومانسي في الحيرة والألم وشكوى الزمان ويظهر الراوي في (إني - أنمو - لنا - شفتي - أحرار - فكري - نعيش)

فهنا لا يهتم بالقارئ الضمني الذي يتخيله الشاعر في نفسه، فلا يذكر مقدمة ولا هامشا ولا ضميرا، ولكن تراكيبه وألفاظه ودلالاته التي جنحت نحو الاتجاه الرومانسي.. فيتضح القارئ الضمني بشكل ضمني من خلال تخير الألفاظ والتراكيب والدلالات التي لا تتعدد فيها الاحتمالات.

وبذلك اتحد هنا القارئ الضمني مع القارئ الواقعي، إذ إن الدلالة التي تترأى للقارئ الواقعي أياما.. سواء أكان طالبا أو مدرسا أو طبيبا أو

أأبرأ منك إذا أغراك وهم
لينحر خافقي ألم التجني
.. أراك تتيه في بحر الضياع
فيدمع خافقي ويضج حزني
أيا زهر الأمانى في رياضي
ووردة حاضري هلا تجبني
قبيل ذبول زهرك في حياتي
فيذبل من ذبولك زهر غصني
فتخلع زائف الأثواب حرا
وتنسف بالإدارة سور سجنى
وترسم من رحيق الصدق عهدا
بأن تسمو خطاك عن التذني
لننسج من شמוש العزم ثوبا
يعيد لخافقي ألق التمني^(١٥)
نلاحظ تزامم الصور الجزئية.. وهي استعارة
مكنية مثل:

(بحر الضياع)، (أغراك وهم)، (ينحر خافقي
ألم)، (زهر الأمانى)، (وردة حاضري)، (تسقى
بالإدارة سور سجنى)، (رحيق الصدق)، (ترسم
عهدا)، (تسج من شמוש العزم شعرا).. نلاحظ
في هذه الصورة أنها غير متوالدة بل مفردة
ومعهودة.. يميل فيها إلى سهولة التركيب للصورة..
وقرب القرينة من ذهن القارئ.

يقول في قصيدة (نهاية حلم قديم)
على وجنتيها تراءى القمر
تراءى الجمال بأبهى الصور
لحلم توسدني واستقر
لحلم قديم ترى معي
فتيا شبابا عتي الكبر

موظفا أو متتورا فقط.. فسوف يعي دلالة شكوى
الزمان وحيرة الشاعر، ورغبته في الإصلاح
الاجتماعي، وذلك هو ما قصده الشاعر حينما
كتب قصيدته.. وقصد أن يفهم ذلك القارئ
الضمني.

الصورة

ليست الصورة الشعرية حلى زائفة، بل إنها
جوهر في الشعر، فهي التي تحرر الشعر، وتحرر
الطاقة الشعرية الكامنة في العالم والتي يحتفظ
بها النثر أسيرة لديه^(١٦).

كما أنها صورة حسية في كلمات استعارية إلى
درجة ما، في سياقها نغمة خفيفة من العاطفة
الإنسانية، ولكنها أيضا شحنة منطلقة إلى القارئ
عاطفيا، شعرية خالصة أو انفعالية^(١٧).

والصورة الفنية عند سعد الرفاعي لها سمات
خاصة وهي:

أولا: تميل إلى الصورة الجزئية المفردة غير
المسلسلة.

ثانيا: صورة سهلة في تركيبها وإبداعها، قد
يعهد لها القارئ.

ثالثا: يميل إلى الاشتقاق أو الاقتباس فيها من
التراث.

رابعا: يبتكر في بعض صورته، ولا تقدم الصورة
الكلية عنده.

خامسا: حينما يتناول الفكرة الاجتماعية أو
الوطنية، ينقل الصورة، سواء كانت
جزئية أم مركبة.

يقول في قصيدة «إلى بعض بعضي»:

وبداخله العديد من الصور المبدعة التي تكون
بعض صفات القصة من البداية، ثم تطور الحدث
(رحلت - وأسأل - ركبت - فسرت)، ثم العقدة
(سئمت)، ثم هبوط الحدث والانفراج أو الحل في
(وجدتك - أجيبني - قالت)، ونلاحظ أن صورة
الحلم ترد كثيرا عند سعد الرفاعي.. ولهذا دلالته،
حيث أنه يفضل الحلم عن الواقع الذي يرفضه
ليرى فيه ما يريد أن يراه من عزة وقوة وطموح
إلى العلا.. وهذا ما لم يره في الواقع.

الأسلوب

ويتميز أسلوبه بالسهولة، وأحيانا يميل إلى الأصالة
في التركيب واللفظ.. فيقول في قصيدة (رباه):
إله الكون يا ملك البرايا
وباعت خلقه بعد المنايا
أتيتك خائفا همي عظيم
وذل الذنب يعصف بالحنايا
أتيتك بانكسار الذنب أحيو
فذل النفس أورثها الرزايا
تسلك زيفها رغم احتراس
وذلل في غوايتها المطايا^(١٧)
تلاحظ السهولة في استخراج الدلالة
والتركيب.. وهي تراكيب معهودة لدى القارئ.. كما
تميل للتراثية في بعض الألفاظ مثل (المطايا)،
ويميل التركيب أيضا إلى التراثية وعدم الجنوح
إلى الغموض كعادة الشعر المعاصر.

ويقول في قصيدة (عجبا)
ما بين سمعيه الفراغ مغرد
يشدو الصدى متماديا في صفحه
يا واهب الأقوال سمعا ناشطا
ودفنت فكرك تحت ناشط جمعه

رحلت أفتش عن داره
بقاصي البلاد ونائي الجزر
وأسأل من أجله طائرا
يجوب الصحاري وأرض المدر
ركبت البحار على زورق
من الأمنيات أخوض الخطر
فسرت وما عاد في ساحتي
من الأمنيات بقايا أثر
سئمت التنقل في رحلتي
ومن طولها مل مني السفر

فجئت إلى البحر أودعت فيه
جراحي وكفنت بعض الكدر
وجدتك حلما على شطه
كأجمل حلم رآه بشر
فسمرت عيني من دهشة
وحامت ظنوني حول البصر
فند السؤال على شفتي
ليغتال صمتي حين جهر
أجئت من البحر يا منيتي
أم البحر سر بلقيا القمر؟!
أجيبني لأمعن من نظرتي
وأني صحيح القوى والنظر
فألقت على لهفتي نظرة
فزاد اللظى ثورة واستعر
وقالت: أنا الحلم يا سائلي
وذاك حبيبي فكن في حذر^(١٨)

تمثل هذه الصور الجمّة المتزامنة صورة كلية
مبدعة ومعبرة، أبدع فيها الشاعر، وعبر عن أحاسيسه
بإطار رائع، وصور بداخله معبرة ومبدعة.
إطار الصورة هو الحلم.. ونسج من خلاله

أنسيت إنَّ العقل أفرد نعمةً
فاح التحرر من أزاهر نبعه؟^(١٨)

ألفاظ الحلم - الغناء الدالة على الأمل..
ويتضح ذلك أيضا من العنوان: (مدينة النور).
النور مفردة تدل على اليقين الداخلي للشاعر
لإشراق الحق في خضم هذا الظلام والألم
الواقعي.

واتضح من خلال قراءة شعر الشاعر انتماؤه أو
اهتمامه بالاتجاه الوجداني الذي ظهر في الشعر
السعودي الحديث.. وهو الاتجاه الذي يعالج
الشاعر من خلاله العادات والتقاليد ذما أو مدحا..
أو يعالج فيه مظاهر الفساد ويقبحها.. ويلومهم
على ما يأتون من فاسد الأخلاق والعادات.. أو
يمدح العادات الحسنة ويشي بها على أصحابها..
ويحض المجتمع على الأخذ بها^(٢٠).

يقول الشاعر في قصيدة «عجبا»
عجبا لمن ترك العنان لسمعه
ألغى الإرادة كي يذل بطوعه
واستودع الأذنين كل حكاية
عبثية تلهو بمحزن وضعه
تغتاله سود الحكايات التي
نسجت لشرع عاجلا في قطعه
يا واهب الأقوال سمعا ناشطا
ودفنت فكري تحت ناشط شمعه
أنسيت أن العقل أفرد نعمة
فاح التحرر من أزاهر نبعه
عقد التفرد روض كل مفكر
والقصر إمعة يسير بسمعه^(٢١).

تظهر الدلالة جلية في الأبيات الاجتماعية التي
ترفض صفة ما في المجتمع رذيلة.. فهذا الذي
يسمع للأخرين ويضيع وقته ويغيب عقله.. يناشد
المجتمع أن يتخلى عن الصفات الرذيلة ويتحلى

يلاحظ أن الشاعر في أكثر من موضع
في شعره يهتم بأسلوب النداء: (يا واهب)،
والاستفهام: (أنسيت).. واهتمامه بالنداء يدل
على لجوئه للآخر وإحساسه بالوحدة في هذا
الواقع المرير، أما الاستفهام.. فيعبر به عن
إحساسه وإدراكه لصدقة الواقعي، وأسلوبه
بشكل عام سهل متدفق، كتدفق عواطفه التي
تطفئ على الكلمة والفكرة والتركيب في مواضع
عديدة من شعره.

كما تسيطر عند الشاعر بعض الألفاظ التي
لها دلالة على شخصية الشاعر وفكره مثل:

(الغناء - الحلم - الأمل).. وغيرها وهي تدل
على تفاؤل الشاعر وبقينه بالأمل.

يقول في مدينة النور:
تأوه الحرف حتى ضج بالألم
وغرد الصمت في إشراقه القلم
أسامر الليل في أحضان قافية
فتنزوي عند صحوا الفجر كالحلم
أواه يا حرفي الموءود تقلقني
قصيدة في رحاب الحب لم تقم
قصيدة أينعت في القلب مقمرة
فأين لسان مبدع الكلم
ليخرج الفجر من أعماقه ألقا
تألق الفجر في محلولك الظلم^(١٩)

تلاحظ في هذه الأبيات ألفاظا تمتلئ بتفاؤلا
مثل: (إشراقه - أسامر - صحو - الفجر -
الحلم - الحب - أينعت - مقمرة - الفجر -
تألق).. كما تتمتع بإبداع الصورة ورقتها ووجود

بالمكرمات. التي يبتغيها الشاعر في تصوير عذابات الأمة مثل ألفاظ (تبيد - عناء - هما - هب - الدم - لص - أسياف - العداء - يميمت - أعراض - نار الحرب) ينتشر في القصيدة حقول الموت - الخيانة - استنهاض العزائم في تراكيب قوية ودلالة يتحد فيها الشاعر والقارئ اتحادا يتمناه الشاعر للأمة العربية.

فربما يكون هذا الاتحاد.. والقرب بين الشاعر والقارئ.. واهتمام الشاعر الزائد والملحوظ بالقارئ.. سبب ذلك أمنية في نفس الشاعر لا شعورية باتحاد الأمة الإسلامية جميعها، بدليل تركيز الشاعر على الاتجاه الاجتماعي والوطني.

كذلك ربما بشعور الشاعر بالوحدة والغربة.. وميله إلى الأناج بالآخر الوطن والمجتمع والحببية والولد - القارئ والقارئ الواقعي.

اللغة الخطابية عالية عند الشاعر في شعره الوطني والمناسبات بخاصة.. وهي ليست قليلة في مجموع شعره.. وكذلك التقرير والبعد عن التصوير الفني.

كما يتضح من خلال استقراء شعره أن هذا الاتحاد بين الشاعر والقارئ الواقعي.. سواء أكان في ذهن الشاعر أو القارئ الواقعي.. قد يتيح الظهور المباشر على مستوى اللفظ.. وكذلك على مستوى الصورة.. وكثيرا ما يقع الشاعر في هذا.

وفي النهاية أذكر أن الشاعر تمتع بالعديد من الصفات المميزة لبصمته الأدبية، منها: تميزه في التعبير عن المكان وتعلقه به، وصدمة الواقع، واللجوء للحلم والآخر، مع التفاؤل

كما اتضح ميل الشاعر إلى الاتجاه الوطني الذي ظهر في الشعر السعودي الحديث.. يقول محمد بن حسين: لأن وطننا العزيز سلم من الاستعمار خلا شعر شعرائنا مما يشتمل على مدافعة الاستعمار واستنهاض العزائم ضده.. وإنما كان دوران شعرهم حول المشروعات العمرانية والثقافية والاقتصادية.. وفي المناسبات الوطنية^(٢٢).

ولم تقتصر هذه النزعة الاجتماعية الإصلاحية والوطنية على الشعر فقط، بل جند الروائيون أيضا أقلامهم في الدفاع عنها^(٢٣).

يقول الشاعر في قصيدة «نداء الوطن»
هتف الدم الوطني في أبنائه
مستنهضا همما تهب، وناصر
يا أيها الوغد الذي أكبرته
إني أراك اليوم لصا صاعرا
أين البصيرة من فعالك هذه
هل غاب فكرك أو توقف حائرا
حتى تتيح دم العروبة نعته

وتسل أسياف العداء مفاخرا
وتميت طفلا لم يتم فظامه
وتبيد كهلا بالعناء محاصرا
وتبيح أعراض النساء مخالفا
دينا له ضحى النبي وهاجرا
وتغير بالجيش الذي أغويته
لتبيد شعبا كم أتاك مؤازرا^(٢٤)

وتجد في هذه الأبيات ميل الشاعر إلى الاتجاه الوطني، وحمل هموم الأمة جميعها والوطن. في أسلوب واضح وألفاظ قوية مناسبة للدلالة

و الأمل واليقين في عودة المجد العربي، مع بعض الشرح من الشاعر لمناسبة النص، مع المتعة الفنية بإبداعات الشاعر في صورته وتراكيبه وألفاظه.

المراجع

- ١- د حميد لحمداني، القراءة وتوليد الدلالة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
- ٢- رمان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ت جابر عصفور، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط٢، ١٩٩٥م.
- ٣- د سعد البازعي، شفوية الكتابة، استعادة الموروث الشعبي في الشعر السعودي الحديث، مهرجان القراءة للشعر العربي ٢٠-٢٤ أكتوبر، القسم الأول، ١٩٩٣م.
- ٤- سعد سعيد الرفاعي، ديوان العشق ينبع، مطبوعات نادي المدينة المنورة الأدبي.
- ٥- سعد سعيد الرفاعي، ديوان نزيه الجرح، نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٦- د. سعد ظلام، مناهج البحث الأدبي، دراسة تحليلية
- ٧- د. صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م.
- ٨- د. محمد حسن عبدالله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.
- ٩- د. محمد بن سعد بن حسين، الأدب الحديث تاريخ ودراسات، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١٠- د. محمد صالح الشنطي، في الأدب السعودي فنونه واتجاهاته
- ١١- J.A. CUDDONIL itrary termsand Diterary ATtheory . four tn Edutation the penguin. piction Ary

* أستاذ الأدب والنقد المساعد بجامعة طيبة فرع ينبع.

- (١) د ظلام: مناهج البحث الأدبي، دراسة تحليلية تطبيقية، مصر، مكتبة نهضة الشرق ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، ص ٢٣١.
- (٢) سعد البازعي: «شفوية الكتابة» استعادة الموروث الشعبي في الشعر السعودي الحديث، مهرجان القراءة للشعر العربي ٢٠/٢٤ الأول أكتوبر ١٩٩٣ص ١٢.
- (٣) سعيد سعد الرفاعي: «ديوان العشق ينبع» مطبوعات نادي المدينة المنورة الأدبي، ص ١٢:١٢.
- (٤) سعد سعيد الرفاعي: مرجع سابق، ص ٤٨:٤٧.
- (٥) سعيد الرفاعي: «ديوان نزيه الجرح»، نادي المدينة المنورة الأدبي، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، ص ٣٧.
- (٦) سعيد الرفاعي: «ديوان العشق ينبع، ص ٢٧٩، ص ٨٠.
- (٧) J.A. CUDDONIL itrary termsand Diterary ATtheory four tn Edutation the penguin. piction Ary. p 727.
- (٨) رمان سلدي: «النظرية الأدبية»، ترجمة جابر عصفور، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط٢، ١٩٩٥م، ص ٢٠٧.
- (٩) حميد الحمداني: «القراءو تزييد الدلالة، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ص ٢٩.
- (١٠) سعد الرفاعي: «ديوان نزيه الجرح»، ص ٥٣.
- (١١) سعد الرفاعي: «مرجع سابق» ص ٥٥.
- (١٢) سعد الرفاعي: «ديوان نزيه الجرح»، ص ٣١: ٢٢.
- (١٣) د. صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م ص ٣٥٦.
- (١٤) د. محمد حسن عبدالله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص ١١، ١٢.
- (١٥) سعد سعيد الرفاعي، ديوان العشق ينبع، ص ٣٧.
- (١٦) سعد سعيد الرفاعي، ديوان نزيه الجرح، ص ٣٦.
- (١٧) سعد سعيد الرفاعي، ديوان العشق ينبع، ص ٥٥.
- (١٨) السابق، ص ٥٤.
- (١٩) السابق، ص ٤٧.
- (٢٠) د. محمد بن سعد بن حسين، الأدب الحديث تاريخ ودراسات، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ ٨٨ص.
- (٢١) سعد سعيد الرفاعي، ديوان العشق ينبع ص ٥٤.
- (٢٢) د. محمد بن سعد بن حسين، الأدب الحديث تاريخ ودراسات ص ٩٣.
- (٢٣) د. محمد صالح الشنطي، في الأدب السعودي فنونه واتجاهاته ونماذج منه، ص ٥٠٣.
- (٢٤) سعد سعيد الرفاعي، ديوان نزيه الجرح، ص ١٦.

روايات السفر (دراسة لنماذج مختارة)

■ سيد الوكيل*



حظيت تجربة السفر بحضور لافت في الرواية العربية، وهو حضور يبدو أكثر إلحاحاً في الرواية المصرية، بقدر نصيب المصريين في خوض تجربة الهجرة المؤقتة إلى الشرق العربي منذ السبعينيات، بحثاً عن فرص العمل المجزي في مجتمعات لاقت حظاً وافراً من الثروة ومشاريع التنمية. ولاشك أن الرصد الأدبي لتجربة السفر في الرواية، كان الأكثر حضوراً بين الأنواع الأدبية، بقدر ما يتيح

بناء الرواية واتساع نطاقها الزماني والمكاني؛ غير أنه يمكن ملاحظة أن هذا الحضور تنامي بسرعة كبيرة منذ نهاية الثمانينيات من القرن العشرين، متزامناً مع إرهاصات التجديد في الرواية العربية التي عبرت عن نفسها بقوة - بداية من التسعينيات في القرن ذاته - بما يدلنا على أن رواية السفر شكلت جانباً من روافد التجديد الذي عرفته الرواية، أو على الأقل أسهمت فيه، وبحيث يمكن القول إن السفر أصبح موضوعاً روائياً متفرداً وجديداً على الرواية العربية، يذكرنا بموضوع الرحلة في القصيدة العربية القديمة، الذي انتهى إلى تحديد مقوماته الجمالية واللغوية، فضلاً عن التقاليد البنائية وما أنتجتها من صور وتراكيب ظلت قرينة التجربة الشعرية حتى تخلصت من عمودها .

هل يمكننا العثور على مقومات جمالية مميزة لتجربة السفر في الرواية الجديدة؟ أم أنها تماهت في السياقات العامة لملامح الفن الروائي الذي يخضع لتأثيرات فلسفية وثقافية كبرى تشتغل على البعد الجمالي والأسلوبي، دون الالتفات إلى التأثيرات الموضوعية، وكأن الموضوع (المضمون) مادة محايدة، يمكن

لدحض دوافع الاغتراب، على نحو ما جسدهت رواية «الأسبوع الأخير» لهالة كوثراني، فضلاً عن استضافة أساليب وتقنيات سردية توهم بحضور المؤلف في النص، وما يستدعيه ذلك من نزوعات توثيقية عبر أبنية مثل: اليوميات والتسجيلات والرسائل والاعترافات. وقد جسدت رواية «أشجار قليلة عند المنحنى» لنعمات البحيري، نموذجاً للطابع السير ذاتي لرواية السفر. وهنا يمكن الإشارة إلى أن اقتحام المرأة لرواية السفر على نحو ما نجد عند (حنان الشيخ نعمات البحيري عزة بدر هالة كوثراني وغيرهن) مثل إضافة لتلك التجربة من حيث سطوع الحس النسوي، ليضفي على تجربة الاغتراب المكاني بعداً جديداً يتمثل في الاغتراب الذاتي.

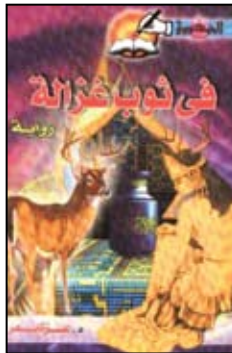
لكن المؤكد، أن التناول الأدبي لموضوعة السفر في الرواية، أعمق زمناً من هذه الفترة التي نتوقف عندها في هذا البحث؛ فلدينا تجارب إلى أولى بارزة، تناولت السفر إلى أوروبا على نحو ما يمثل لها بـ «عصفور من الشرق» لتوفيق الحكيم، و«قنديل أم هاشم» ليحيى حقي، مروراً بـ «موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح، وغيرها من الروايات. ومع ذلك.. لا يمكننا اعتبار رواية السفر التي نتحدث عنها اليوم، امتداداً طبيعياً لمثل هذه التجارب الأولى.

فالروايات الأولى، التي سجلت تجارب السفر إلى أوروبا، كانت مشغولة بصورة الآخر كوسيلة

معالجتها في نُسق جمالية مختلفة؟

وفى هذا السياق، يمكن ملاحظة أن أكثر الكتابات التي تناولت موضوعة السفر إن لم يكن كلها عبرت في الوقت نفسه عن تجارب حية وحقيقية عاشها كتابها، نتيجة لارتحالات قاموا بها مدفوعين بظروف: بعضها سياسية، على نحو ما نجد في رواية هالة كوثراني (الأسبوع الأخير)، حيث وجد جيل ما بعد الحرب اللبنانية نفسه محطماً نتيجة لسيناريوهات سياسية معقدة، وأكثرها اقتصادية تمثلت في طفرات التحديث وإزدهار سوق العمل حول مناطق الثروة النفطية، في مقابل اضمحلال راح يأكل مناطق أخرى مثل وادي النيل وبلاد الشام، ما أدى إلى ما يشبه الهجرات الجماعية من مناطق الفقر إلى مناطق الثراء، غيرت كثيراً من التركيب الثقافي والاجتماعي في تأثيرات متبادلة شديدة الفاعلية، على نحو ما رصدتها عزة بدر في رواية: «في ثوب غزالة».

ولعل هذا الرصيد من التجربة الواقعية لرواية السفر، يضعها جنباً إلى جنب مع رواية السيرة الذاتية التي شهدت هي الأخرى حضوراً متميزاً في الفترة ذاتها، ومن ثم يمكن ملاحظة بعض التأثيرات المتبادلة بينهما، كتلك التي نجدها في الاعتماد على السرد من ضمير المتكلم، واقتترانه بدواعي النوستالجيا والاسترجاعات الزمنية، ومقاربة المسافة الفاصلة بين الذات والموضوع، كمحاولة



صورة المثقف المأزوم كما نراه في رواية «الحب في المنفى» لبهاء طاهر؛ فبطل بهاء طاهر في الحب في المنفى هو المثقف المأزوم نفسه، الذي أصبح حضوره علامة مميزة في كتابات بهاء طاهر.

أما رواية «شهرزاد على بحيرة جنيف» لجميل عطية إبراهيم، فتشكل نقطة مفصلية في تاريخ رواية السفر إلى أوروبا، كما أنها تكاد تكون مميزة بين روايات السفر بهذه الصفة (تجربة السفر إلى أوروبا)، فهي تخط لنفسها طريقاً جديراً بالاهتمام والنظر، على ضوء مفاهيم الكونية ومعطيات العولمة. وظني أن هذه الرواية التي بدت للبعض مجرد تأملات ساخرة لقضايا ساخنة، تحتوى كثيراً من مظاهر التجديد التي نزعنا إليها رواية ما بعد الحداثة.

في حين ركزت الروايات التي سجلت تجربة السفر إلى دول المشرق العربي، على طابع النوستالجيا، فضلاً عن تشبيهات هيئة ومقارنات يسيرة لطوابع ثقافية بين البيئات المختلفة، مع نبرة تميز أو تفوق تمجد موقف الذات الساردة وتعلي من قيمة بيئتها الحضارية والثقافية، على نحو ما نجد عند إبراهيم عبدالمجيد في روايته المهمة «البلدة الأخرى»، والتي تتميز بحضور واضح للذات الساردة، يقترب بها إلى السيرة الذاتية. وكأن إبراهيم عبدالمجيد لم يكن مشغولاً بتجربة السفر نفسها، بقدر انشغاله بتجربته هو مع السفر بما يمنح الذات الساردة درجة كبيرة من الوعي بموقفها، وحساسية عالية بالمأزق الحضاري الذي تنزلق إليه المنطقة العربية في تركيزات هادفة على المغايرت السلوكية والثقافية التي تهدد الذات، كما تظهر تجربة السفر على نحو بارز عند

لإدراكها لذاتها، كأن تجسد رغبتها في البحث نقطة التقاء مع الآخر من حيث هو نموذج للحداثة والتفوق الحضاري والمعاصرة لتؤسس من خلالها فهماً جديداً لهوية متوازنة بين تطمينات الأصالة، ومغامرات المعاصرة التي تطلع إليها المجتمع العربي في ذلك الوقت، على نحو ما نجد عند توفيق الحكيم ويحيى حقي.

وفي مرحلة تالية، عبرت رواية السفر عن رغبتها في فضح صورة الآخر المستبد، وكشف صور الاستعلاء التي مارسها الغرب، كما نجد عند الطيب صالح في «موسم الهجرة إلى الشمال»، والتي عدت بداية ناضجة لرواية ما بعد الاستعمار. فضلاً عن تنويعات هذه الصورة التي تناولت طابع الاغتراب، وجسدت ملامح العلاقة المتوترة بين الشرق والغرب، كما نجد في الكثير من الروايات المغاربية التي سجلت تجربة السفر، أو الهجرة إلى الشمال الأوروبي، وما تزال تجد أصداء من الفتنة لدى الكثير من كتابها. وفي هذا السياق، يمكن الإشارة إلى أن رواية السفر المغاربية، قد أسهمت إلى حد بعيد في تشكيل نسق جمالي خاص بها، ويميزها عن رواية السفر إلى المشرق العربي على نحو ما نرصد لها هنا. وذلك التمايز يظهر على نحو خاص في موقف الذات الساردة، وتنامي مشاعر الاغتراب بمعناه الحضاري والثقافي الذي يتجسد في مأزق اللغة.

وهذا الخط، يمكن ملاحظته بنسب متفاوتة في كل الروايات التي سجلت لتجربة السفر إلى أوروبا، ولكننا نراه أكثر اشتباكاً بالقضايا السياسية، وأكثر تعبيراً عن أزمة المثقف العربي ذاته لا الثقافة العربية بحيث يجسد

محمد عبدالسلام العمري، الذي تناول تجربة السفر إلى السعودية في أكثر من عمل.

غير أن هذا الحضور الكثيف للروايات التي تناولت تجارب السفر إلى الشرق العربي يفضي إلى تنوع جدير بالنظر، وهو تنوع يقوض نظرتنا التصنيفية لها كمجرد رواية عن تجربة السفر وإن بدت في ظاهرها ذات مقومات موضوعية متشابهة نتيجة لاشتغالها على التفاصيل الصغيرة التي تسجل لمعطيات الحياة اليومية، فضلاً عن الانعكاسات النفسية التي تجسدها.

وليست لدينا بيبيلوجرافيا واضحة عن الروايات التي تناولت تجارب السفر إلى الدول العربية، غير أننا نلناها واسعة الانتشار والتعدد، سواء في طرائق تناولها للتجربة نفسها، أو بحسب البيئات التي تناولتها، وإن تركزت في منطقة النفط (دول الخليج والسعودية والعراق). وتحضرنا في هذا الصدد رواية لافتة على نحو بازغ، للروائي فتحي امبابي «مراعى القتل».

التي حصل بها على جائزة الدولة التشجيعية، وكانت تتناول تجربة الرحلة إلى ليبيا، وما تعرضت له مجموعة الشباب المصري الذين أنهما حياة الجندية بعد عقد اتفاقية السلام حاولوا عبور الحدود في متاهة صحراوية بلا حدود.

على أي حال، فإن نمو هذا الخط (رواية السفر) في الرواية العربية صار أكثر وضوحاً، وتشكل بمنعطفات جمالية وفنية عديدة في رحلته الطويلة؛ ما يعني أن تتبع هذا الخط يعمل مثل بطاقة جينية توقفنا على الكثير من ملامح الرواية وتطورها، والمكتسبات التقنية والجمالية التي جسدها الروايات الأخيرة منها.

وفي سياق مجاور تكاد ترهص رواية «بغداد لا أحد» لجمال عبدالمعتمد، عن المأزق السياسي الذي أفضى إلى نفق مظلم تعيشه العراق الآن. والجدير بالذكر أن الرواية كتبت في أعقاب الغزو

وهنا، سوف نكتفي بقراءة روايتين اشتغلنا على تجربة السفر إلى المشرق العربي، حيث تميزت مجتمعات هذا الجزء الحيوي من العالم باصطخابات حادة وعنيفة، جعلته في بؤرة العالم وهيئته، ليكون ميدانا تحسم على أرضه صورة العالم الجديد، سواء على المستوى الاجتماعي - كما يتمثل في نزعات التحديث والإصلاح السياسي والاجتماعي من جهة - أو على مستوى التغيرات والظفرات الثقافية التي أحدثتها



د. عزة بدر

أنماط الاستهلاك، وتباين دور الثروة في تشكيل

الوعي بكل من الذات والآخر من جهة أخرى؛ فضلا عن الاستهدافات الدولية التي جعلت من هذه المنطقة ميدانا للعمليات السياسية والعسكرية، على نحو ما نرى في العراق وإيران. ولا غرو أن رياح التغيير التي تهب على الذات العربية الآن هي رياح شرقية بالدرجة الأولى؛ إنها في الضرورة رياح حارة عاصفة، تختلف في طبائعها وأهدافها عن تلك النسائم الرطبة التي نفختها مصر، منذ انفرادها بزيادة مشروع الحداثة العربية في عصر محمد علي، وحتى انحسار هذا الدور إثر هزيمة ١٩٦٧م.

ويبدو أن هذا المعنى الأخير يظل ملمحا مطروقا في كثير من الروايات المصرية التي عالجت موضوعة السفر إلى الشرق العربي، حيث تظهر النسائم المصرية القديمة كموقف طللي يبكي على الزمن الجميل، بشيء من النوستالجيا المشفوعة بالألم. وفي المقابل نجد اندفاعات مضادة نحو الرفض أو الهجوم غير المبرر على المجتمعات النفطية ورياحها الحارة؛ لكننا - بالتأكيد - سنجد أعمالا تتجاوز هذا الموقف النفسي، وتوسع من نظرتها، بحيث يمكنها رؤية المشهد العربي كاملا من خلال تجربة السفر؛ فثم روايات رأت في السفر للشرق العربي حلما بالخللاص، لكنه في الوقت نفسه محفوقاً بالمنغصات، حتى يكاد يتحول إلى كابوس، على نحو ما نجد في رواية هالة كوثراني «الأسبوع الأخير». وثم روايات اعتبرت تجربة السفر فرصة لإعادة اكتشاف الذات، والتطهر من الخطايا القديمة، على نحو ما نجد في رواية عزة بدر «في ثوب غزالة»، وقد قصدنا في النموذجين السابقين، أن نتوقف قليلاً عند رؤية المرأة لتجربة السفر من حيث هي اغتراب

مضاف إلى اغترابها القديم.

السفر في الذات

رواية «الأسبوع الأخير» للكاتبة اللبنانية هالة كوثراني. رواية تتجح بصفاء نادر في إجلاء التوترات المتباينة بين بطلة الرواية ومدينتها بيروت. يحدث هذا على نحو مكثف يجعل الرواية مشحونة بالتفاصيل المضطربة في العلاقة بين الإنسان والمكان، عندما تتوحد ذاتهما على نحو مصيري ومؤلم، كزوجين لم يعد التواصل بينهما ممكناً، ولم يعد الانفصال وارداً، إنه مجرد تعبير استعاري يعكس حالة التوتر الدائم، وكأن ثمة حرباً باردة تدور بين الإنسان والمكان طوال الوقت، مأزق الحياة الدافع للبحث عن شكل جديد في العلاقة بين بطلة الرواية ومدينتها بيروت. هكذا تكتب هالة كوثراني روايتها، وهي تسترجع الأسبوع الأخير في بيروت قبل الرحيل إلى دبي، لتجعل منها شحنة شعرية، محتشدة بالتوترات والمخاوف والتفاصيل المضطربة، هذه التفاصيل التي تحدد دواعي الارتباط بالمكان على نحو مصيري، لكن هذا الارتباط لا يعني أن العلاقة متالبية، ومتناغمة على نحو رومانسي، بعكس ما يظهر في كثير من روايات المكان التي تعكس نوازع النوستالجيا العربية، بل يكتنفها الكثير من الشد والجذب والشوق والهجر، وتستغرق بذكريات بعضها حميم وعميق، وبعضها سطحي وعابر، وبعضها الآخر موحع ومؤلم. لكن كل هذا، هو ما يجعل الارتباط بالمكان مصيري وقدري على نحو يظل يطاردنا ويعيش فينا، حتى ونحن بعيدون عنه.

بطلة الرواية تقرر فجأة أن تترك بيروت لتبدأ من جديد الحياة في مكان آخر.. في دبي، عندما شعرت أن حياتها في بيروت قد

علاقة الذات الساردة ببيروت، فإن استشرافاتها للرحلة إلى الخليج لا تمثل يوتوبيا، أو حلما بالخلاص على طريقة الأجداد الذين هجروا لبنان إلى الأمريكيتين. إن وعي الأحفاد بالواقع أكثر حدة، وهم أكثر قدرة على مكاشفة الواقع، بحيث يدركون أن جنة الله ليست على الأرض، فبطلة الرواية مؤرقة بالمخاوف والتصورات التي نقلها آخرون عن تجربة السفر إلى بيئة تختلف كلياً إلى حد التباين مع بيروت.

مشكلة بطلة الرواية، هي وعيها العميق بهذا الارتباط المصيري الذي يربط بين سيرتها الذاتية وسيرة المكان، فهي تدرك في الوقت ذاته، الذي تعد نفسها للرحيل، أن لحظة خروجها من المكان، هي اللحظة ذاتها التي تتخلى فيها عن الإيمان بذاتها، أي أنها واعية بأنها ستبدأ رحلة اغتراب جديدة عن ذاتها.

إن حركة السرد في الرواية مشدودة طوال الوقت، ومتوترة، يتجاذبها شعوران، كل منهما يمتلك من القوة ليجذب الذات الساردة إليه. وهكذا، فالرواية تتحرك على مستويين، يتناوبان لحظات من التوازي أو التقاطع أو الاشتباك والتداخل.

ولعل أحد التعبيرات التقنية لهذه الثنائية، أن الرواية لا تعتمد في رسم أبعادها الزمنية على استرجاعات ذاكرتية مجردة، يمكن أن تمحي من الذاكرة، أو يتطرق إليها الشك، بل تظهر بين الحين والآخر بعض الصور الفوتوجرافية القديمة، التي تثبت الزمن في لحظات خاصة ومشبكة بقوة مع الذات الساردة، فهذه الحرب التي ما تزال تحتفظ ببعض صورها، تأتي مشبكة بسنوات الطفولة.. الطفولة التي ينبغي أن تكون سعيدة وبريئة، ولكنها لم تكن أبداً

توقفت، وأنها لم تعد قادرة على تحمل الأوجاع التي سببتها لبيروت حروب أبيها وجيله. علينا ملاحظة هذا الموقف الضدي من جيل الآباء الذي أشعل حروبا داخلية لم يخمد أوراها بعد، ومن ثم نراه متمثلاً في حرب أخرى بين الإنسان والمكان. كما علينا ملاحظة هذا الربط العفوي بين أوجاع المدينة وأوجاع الذات، وكأن كلاً منهما مرادف للآخر.

الآن على بطلة الرواية أن تمضي أسبوعاً أخيراً في بيروت قبل أن تغادر، إنه زمن الرواية كلها، لكنه وفقاً للاسترجاعات يغطي أعوامها الثلاثة والثلاثين. وهذه الاسترجاعات، تمنح بطلة الرواية فرصة لربط سيرتها الذاتية بسيرة المكان، ما يعني أن المكان ليس موضوعاً للسرد، بقدر ما هو تمثيل جمالي للذات الساردة، أو معادل موضوعي لها؛ فإذا كانت سيرة المكان محتشدة بكثير من الأخطاء ونوبات الفشل في التحقق على نحو مثالي أو رومانسي؛ فإن سيرة الرواية نفسها تسير بالتوازي مع سيرة بيروت؛ فنهاها محتشدة بالعديد من الصور المأساوية، مثل:

إخفاقات التواصل مع خطيبها، موت الأبية والأصدقاء، مثل موت صديقتها (ليلي) الذي ترك فيها جرحاً لا يندمل مع الزمن، فضلاً عن الأزمات الاقتصادية الخائفة التي خلفتها سنوات الحرب. وهكذا، تتعدد دواعي السفر وأسبابه وتلج في الظهور على سطح الوجدان الفوار في هذا الأسبوع الأخير، وقبل ركوب الطائرة لمرّة أخيرة، لأبعد نقطة ممكنة عن هذا المكان.

وإذا كانت نوازع النوستالجيا تتأكد عبر روابط ماضوية متضاربة حد التناقض في

الساردة على نفسها هو البدء من جديد .

حسن .. ستفصل بطلة الرواية عن خطيبها، وتنهى اللعبة التي تواطأ عليها الجميع، وستستقيل من عملها المتواضع غير نادمة، وستسهر مع الأصدقاء لتودعهم، ولكي تخلص روحها تماماً ولا تصبح عالقة في المكان، ستموت صديقتها ليلى المريضة طوال زمن الرواية، ستموت قبل أن يجيء الأسبوع الأخير لتتمكن من مغادرة بيروت بقلب مستريح، وسوف تلتقط الصور الأخيرة، وتملاً عينها وقلبها بكل التفاصيل التي سوف تكون ذخيرتها في الغربة، ثم: «يجب أن أكتب كي تتجح خطتي في اختراع مكان لي .. مكان أستطيع أن أقول إنه مكاني، وإنني انتمى إليه».

صحيح أن الرواية تنتهي في سطورها الأخيرة بصعود البطلة سلم الطائرة، ثم شعورها بخفة مباغتة عندما تطير وتحلق فوق بيروت؛ لكن المفارقات الزمنية التي تجيدها هالة كوثراني، والمتقابلات الشعورية التي تتسجها بمهارة عبر لغة شديدة الإيجاء، والبناء الترجمي الغنائي الذي يجعل من الرواية أنشودة تراجيدية في علاقة الإنسان بالمكان، كل هذه المهارات والإمكانات الجمالية لرواية تكتب كما تتنفس، وضعتنا أمام نص مفتوح الدلالة متعدد المعاني، حتى يمكن قراءة النص عبر أكثر من مسار: الحرب، والفقء، وإرادة الحياة، والاعتراب. والكتابة بوصفها وطناً للذات.

إن الكتابة بوصفها وطناً للذات هو معنى يشيع في الدراسات النسوية، ليشير إلى المأزق الذي عاشته المرأة عندما عملت الثقافة طوال الوقت إلى تهميشها وتعميق اغترابها عن ذاتها؛ لهذا، فإن الكتابة هي طريقة لاستعادة الذات

خالصة على هذا النحو المثالي، هكذا تتجاوز صورة العصفور وصورة الدم في لحظة واحدة: «بعدما طالبت بكاميرا وحصلت عليها، صورت شرفة المطبخ في بيتنا، حيث وقفت لأتلصص على موت المقاتل ودمه الذي لَوَّن خزانات المياه.. صورت الشرفة والعصفور في قفصه في المطبخ».

سنرى أن للصورة تشكلات متعددة وناضجة في هذه الرواية، إنه نضج يتطور مع الشخصية ومع حركة السرد التي تعنى كثيراً بالمشهديات البصرية، التي تومض متجاوزة تراتبية الزمان، إنها تومض في الذاكرة عادة، تستضيئ بالمكان (بيروت) وتضيء معها جوانب مظلمة في الذات الساردة، فآلية التداخي الحر هو منطلق السرد في الرواية، حتى لتبدو الرواية كلها شحنة سردية واحدة بلا فواصل من أى نوع، لا تقنية ولا شكلية ولا نفسية، إنها حالة واحدة سديمية من الإقامة، وكأنها علقت في الزمان والمكان. تقول: «ولدت في بيروت، وأقول إننى أتوق الآن إلى مغادرتها. وبعد أن أتوق، أحاول أن اغادرها، ثم أصارع نفسي من أجل أن أغادرها، لكننى أبقي في غرفتي، والأسبوع الأخير يتحول إلى الشهر الأخير، والأسابيع الأخيرة متشابهة. وليلى لم تمت بعد، لكنها ستموت. وبيروت ستغير، وبين بيروت وبيروت لا تتغير غرفتي ولا أغير أنا فيها».

سيفيدنا المقطع الأخير لغويًا في التعرف على الطاقة الشعورية التي تحتشد بها الذات الساردة، إنها ذات خارجة لتوها من تجربة حرب، ومتهجة لتوها إلى حرب أخرى وهكذا. بين بيروت وبيروت.. وبين حرب وحرب، لا شيء يتغير، إن التغيير الملموس الذي تطرحه الذات

من كتابة تجربة السفر قليل ومحدود، ومع ذلك، يمكن أن نرصد عدداً من الأعمال الروائية لكاتبات من النساء أكسبن هذه التجربة طعماً جديداً ومميزاً، بل وبدت أعمالهن أكثر اقتراباً من واقع المجتمعات التي تتاولنها، وأكثر قدرة على فهم ثقافتها وتقاليدها وملابس حياتها اليومية مما كتبه الرجال؛ ربما لأن الطبيعة تجعل المرأة أكثر اهتماماً بالتفاصيل وأكثر قدرة على ملاحظة مفردات الحياة اليومية وأكثر عناية بالحراك الاجتماعي والطبائع الإنسانية. ومن ناحية أخرى، فإن العالم المغلق للمرأة العربية، وهو العالم الأكثر قدرة على تجسيد التأثيرات الثقافية للمجتمع، يصعب اختراقه والاقتراب منه بالنسبة للرجال، فيما يمكن للمرأة الكاتبة دخوله.

فبطلة رواية (فى ثوب غزالة) لعزة بدر، فتاة مصرية متعلمة تحظى بقدر كبير من الثقافة، كان عليها وفق سياقات اقتصادية ومجتمعية مستحدثة أن تزف من مطار القاهرة لتلحق بزوجها الشاب الذي يعمل فى السعودية، إن صورة المرأة التابع تطل علينا منذ البداية، وهى إشارة لاغتراب تاريخي عانته المرأة فى المنظومة الثقافية، غير أن هذا الاغتراب القائم أصلاً، لا يعفيها من مواجهة أشكال الاغتراب الجديدة التي لحقت بمجتمعها، ونعني بها ظاهرة الهجرة إلى دول النفط، وهو اغتراب مسئول عنه الرجل بوصفه مسئولاً عن الوضعية الاقتصادية للمرأة التابع، وفق سياسات الحكم الجنسي على نحو ما جسدهت (نورا) بطلة «بيت الدمية» لأبس، أما بطلة (فى ثوب غزالة) فكانت قد بدأت رحلة اغتراب اجتماعي مركبة، عندما يتحتم عليها أن تخلع ثوب الفتاة، لترتدي ثوباً أكثر تعقيداً، هو ثوب

وتشبيتها فى التاريخ؛ ومن ناحية أخرى هى طريقة لتقويض التاريخانية الذكورية، وفضح ممارسات الرجال (صانعو الحروب).

وإذا كانت السطور الأخيرة تنتهي بخفة الرحيل والخلاص من علاقة معقدة مع بيروت، فإن السطور الأولى لا تخلو من هواجس الاغتراب، ولواعج الحنين، وكأننا تقول إن مفارقة لبنان ليست سوى سبيلاً لعودة أخيرة، وفرصة للبدء من جديد..

«فى الغربة نموت أيضاً، نعيش لصباح ينتهي سريعاً، ونحتمل أوقات الظهيرة قبل أن يأتي الانهيار مساء، حين نشتاق إلى أهلنا، وشوارع تغيرت ولم نغيرها فى الصور، فى الذاكرة، وفى البطاقات البريدية المنقرضة».

فى الرواية طابع سير ذاتي، يجعلنا نرى توحداً بين بطلة الرواية وكاتبتها، ولعل هذا الطابع السير ذاتي يشير إلى الروح النسوية التي كتبت بها الرواية، سواء من حيث احتشادها بتفاصيل الحياة اليومية، أو من حيث قدرتها على قراءة الذات فى الوقت نفسه الذي تقرأ فيه الواقع.

وفى الرواية نجد هاجساً بحرب جديدة، من غير أن تتدخل جراح الحروب السابقة، فبين حرب وحرب تظل بيروت عالقة فى سماء من (نار وبواريد)، هذا هو الشعور الذى صدرته لنا نهاية الرواية بمشهد الطائرة وهى تحلق بركابها فى سماء بيروت، وكأننا يعكس فى أحد معانيه، مجموعة من المصائر المعلقة التى تحدد هوية المكان.

التفاعل السيسيوثقافي

بطبيعة الحال، فإن نصيب المرأة المبدعة

سيعينها على الوقوف على العلامات الفارقة في تجربة المرأة بين هنا وهناك، ونتيجة لذلك أنها تتفهم خصوصية كل تجربة، ما يعني استعدادها لقبول هذا الاختلاف واحترامه.

ف نجد لدى بطللة (فى ثوب غزالة) سعياً إلى تفهم الخصوصيات الثقافية للمجتمع الذى عليها أن تعيش فيه على الرغم من إدراكها لخصوصية تجربتها، تقول معبرة عن رغبتها فى امتلاك معرفة كاملة بهذا المجتمع: «على أى حال...هنا، أو فى بلاد واق الواق، لا بد أن أعيش، سأصنع عالمي.. لن يردنى عن المعرفة سبب، لن يردنى حجاب».

لقد تفتق ذهنها عن حيلة لاختراق حواجز الاغتراب والعزلة التى ضربتها تقاليد المجتمع السعودي من ناحية، وباركها زوجها بحجة أنه يخشى عليها من السعوديين الرجال بما يعكس تبادل المخاوف، إذ كان عليها أن تستهلك الوقت البطيء لحين عودة زوجها من عمله مكثوداً غير قادر على فتح عينيه.

كانت حيلتها أن تتطلق إلى مكتبة الجامعة القريبة لتحصل على بعض المراجع التى تعينها على استكمال بحثها، وهناك نجحت فى التعرف على طالبات وموظفات سعوديات، وبهذه الطريقة، نجحت فى الوقت نفسه الذى تكسر فيه عزلتها أن تزرع نفسها شجرة مصرية فى قلب المجتمع النسوى السعودى، مستفيدة من دراستها لعلم الاجتماع.

لهذا فهى تبدو منسجمة مع ذاتها، حين تحتفى برصد مظاهر ثقافية سعودية عديدة، تلمسها داخل بيوت السعوديات عندما تشاركهن فى حفلاتهن ومناسباتهن. وتتقف عن قرب على مشاكلهن حتى العاطفية منها. ومع الوقت تصبح

الزوجة والأم، بكل أبعاده الاجتماعية والثقافية. غير أن السفر دفعها إلى أن تبدأ هذه التجربة فى مجتمع لا تشعر أنها جزء من ثقافته، ما يعنى تغيراً فى مسرح الأحداث الذى ستبدأ عليه حياتها الجديدة، ومن ثم تغيير كل قواعد اللعبة؛ فالفتاة التى تتحول إلى زوجة وأم، تقوم بهذا الدور الاجتماعي عبر موروث ثقافي وخبرات مخزونة، يباركها المجتمع ويدعمها لتقوم به على أكمل وجه. وعندما تجد بطللة «فى ثوب غزالة» نفسها فى عزلة عن أى محيط اجتماعي يعينها على حياتها الجديدة، تدخل حالة من العزلة، والرفض لوجودها هنا، حتى أن جسدها يرفض الحمل، بما يعنى اغتراباً جديداً عن جسدها كأنتى. لكن مشاعر الأمومة والأثوثة تدفعها إلى أن تبدأ فى مراجعة تجربتها كذات عالقة فى التاريخ، ثم كامرأة مصرية، وتقارنها بتجربة المرأة السعودية، كما لو كانت تبحث لنفسها عن مبرر أو سبب يفسر ما هى فيه : «النساء هنا لم تصل إليهن ثورة ١٩١٩م، لم يتخرجن من مدرسة السنية، لم يجتمعن فى بيت الأمة، لم يهتفن فى المظاهرات، ما حملن بذور ثورة تصبح شجرة...».

إنها تدرك ذاتها تاريخياً على نحو يميزها عن النساء السعوديات، لكونها حاملة لتاريخ لا بأس به من الحداثة، يعضد الصورة النمطية التى كونتها عن المرأة السعودية التى ظنتها كما لو كانت امرأة حبيسة الخباء.إنها حاملة لبذور ثورة، يمكنها أن تصبح شجرة على حد تعبيرها لو قامت على رعايتها، ومن ثم تدرك أن خلاصها كامن فى المعنى الثقافي، إذ عليها أولاً، أن تستكمل دراستها للماجستير التى كانت قد قطعتها بسبب السفر، ولأنها باحثة فى التاريخ الاجتماعي على وجه التحديد، فإن هذا

النساء فى مجتمعاتهن تكمن فى المعنى الثقافى لكل مجتمع. لهذا تصر بطلة الرواية، على أن تندمج فى النسيج الثقافى للمرأة السعودية. ومن ناحية أخرى، تصبح أكثر يقيناً، بأن تجربة التحرر الثقافى التى بدأتها المرأة المصرية من مدرسة السنية هى البذرة الأولى للشجرة، أو الخطوة الأولى الصحيحة نحو طريق طويل لتحرير المرأة من نوازع الاغتراب التاريخى، ومن ثم تحرير ذاتها كأنتى.

إن حادث محرقة النساء، نقطة تحول هامة، ليس فقط فى البناء الدرامى للأحداث، بل فى البناء الثقافى لبطلة الرواية، ففى نفس الوقت، ومن خلال الرسائل التى تتبادلها مع أستاذها والمشرى على رسالتها العلمية (د. نزيه)، تكتشف خواء وزيف هذا الرجل المثقف الكبير، الذى يمثل فى نفس الوقت رمزاً للسموق الأكاديمى والعقل العلمى المؤسس على أفكار بريجماية، تعد تمثيلاً ذكورياً فجاً لخطاب الحداثة الملتبس بمعانى الاستعلائية الأوربية، بوصفه نموذجاً للترتيب الهرارى للعالم على أساس من مركزية ثقافية تبدأ بأوروبا، ثم تنطوى على مركزية النوع التى تبدأ بالرجل الأبيض.

إن هذا المعنى المركب، يظهر فى علاقة الدكتور نزيه، ب (كلود) المشرفة الإدارية على المنحة الأمريكية التى حصل عليها الدكتور نزيه لإقامة مركز أبحاثه الاجتماعية والثقافية، فبرغم أن نزيه هو مدير المركز، وكلود مجرد سكرتيرة له، إلا أنها تمارس استعلاءً جنسياً فى علاقتهما السرية، أى أن (كلود) تضع الرجل الشرقى فى الهامش ليصبح مجرد فحل يرضى نهما. إنها صورة الاستعلاء الجنسى فى النظرة الغربية للشرق على نحو ما جسدها

صديقة لكثيرات من السعوديات، بل وتتدخل لحل مشكلة عاطفية بين زوجين انفصلا، ويتعين عليها أن تلتقى بالزوج فى مكان عام لتقل له وجهة نظر طليقتة، لكن الزوج يبدأ فى مغازلتها هى من منطلق شائع أن المرأة المصرية التى جاءت من مجتمع أكثر انفتاحاً لا بد أن تكون سهلة المنال. هكذا تدرك أن الذهنية الذكورية هى التى تحدد صورة المرأة سواء فى مجتمعها أو المجتمع السعودى. والرجل يتعامل معها على أساس من تلك الصورة التى تدخل فى موروثاته الثقافية دونما اعتبار لما تكون عليه حقيقة المرأة. هكذا تفهم بطلتنا، أن المرأة هنا، كما هى فى كل المجتمعات العربية، تعاني من وجودها المستمر تحت اختبارات ذكورية قاسية، ومن ثم يبدو انحيازها للمرأة السعودية، هو انحياز لذاتها فى نفس الوقت.

لكن حدثاً فارقاً يقع ليجسد ذروة القمع الذكورى الواقع على النساء، عندما شب حريق فى بيت الطالبات السعوديات، راح ضحيته عدد من صديقاتها اللاتي منعن من الهروب من الجحيم سافرات الوجوه وبملايس النوم، إن القصة مستوحاة من حكاية شعبية مصرية عن نساء احترق حمامهن واللاتي خجلن الخروج من الحمام عاريات احترقن، وصرن مضرباً لمثل شعبى مصرى يقول: «اللى احترقوا ماتوا». وهكذا يتشابه تاريخ المرأة بين المجتمعين: المصرى والسعودى.

هذا الحدث، وإن أدخلها فى حالة من الرعب والاكتئاب، إلا أنه يزيد من عمق إحساسها بمأساة المرأة العربية عموماً والسعودية خصوصاً؛ ومن ثم تدرك أن اغتراب المرأة الحقيقى هو اغتراب ثقافى، كما أن الفروق بين وضعيات

إلى الاستقرار، وكأننا إزاء بشاره بميلاد جديد. كما تكتمل حلقة اندماجها مع المرأة السعودية، كعلامة على توحد المصير النسوي في الثقافة العربية، من خلال مشهد دال، وهو المشهد الذى منح الرواية اسمها، حيث أعدت صديقاتها السعوديات حفلاً خاصاً، يستدعى من تراث سعودي، محتشد بطقوس وتقاليد سعودية خالصة، وفيه ألبسها ثوب الغزالة، وعلى دقات موسيقى وغناء سعودي، راحت ترقص بينهن وتغني، رقصات وأغان سعودية وجدت فيها عذوبة وجمالاً لم تكن تتوقعه، ليصبح هذا المشهد المرسوم ببراعة، تدشينا لتحالف نسوي ينهض على ثقافة جديدة، تحترم خصوصية المرأة، وإعلاناً صريحاً لتجاوز كل حواجز الاغتراب المكاني والنفسي لدى بطلة الرواية، فالغزالة هي المعنى البري للمرأة العربية، والتمثيل الجمالى لها على نحو ما جسدهته الثقافة العربية عبر تراثها الشعري. بوصفها ذلك الكيان الجميل المغوى بالقنص.

كما تتوقف الرواية عند أنماط لنساء ورجال سعوديين، تتوقف أيضاً عند أنماط لنساء ورجال مصريين تعرفت عليهم فى السعودية. تصهرهم تجربة السفر وتضعهم على المحك فتتكشف ملامحهم عن ممارسات بعضها مخجل وبعضها مضيء. بعضها يعانى انسحاباً للداخل، وبعضها يقدم على انطلاقات غير محسوبة بما يعنى أن تجربة السفر هنا ليست مجرد رحلة فى المكان بقدر ماهي تجربة لاختبار الذات أيضاً.

الطيب صالح فى موسم الهجرة إلى الشمال، بما يكسب العلاقة بين كلود والدكتور نزيه بعداً سياسياً.

أما التحول الثانى الذى حدث لبطلة (فى ثوب غزالة)، فهو رغبتها فى اختبار التجربة الدينية عن قرب والالتحام بها، ويأتى هذا كرد فعل لعلمانية الدكتور نزيه المفروطة من ناحية، فرسالة لها كانت تحمل سخرية من نزوعها الدينى، ومن ناحية أخرى، فإن حادثة بيت الطالبات التى أودت بحياة بعض صديقاتها أدخلتها فى حالة من الهلع والاكئاب النفسى تجاه التشدد الدينى، ومن ثم تخوض تجربة الحج بنفسها لتفهم التجربة الدينية على نحو أعمق، وهناك رأت تلاشى الفوارق الاجتماعية والجنسية، ورات المرأة جنباً إلى جنب مع الرجل، فيعكس ذلك معنيين:

الأول تطهير روحها من الاغتراب عبر رحلة غمرتها بالسلام، عندما ذابت بين حشود النساء والرجال المسلمين فى الطواف حول الكعبة.

والمعنى الثانى: تطهير الثقافة الدينية نفسها من تهمة تهميش المرأة. بعد أن أشعلت النار فى بيت الطالبات. إن النار تظهر فى أحد مستوياتها رمزاً للتطهير، وكأننا نحتاج إلى ثورة تصحيح تاريخية نحرق فيها كل أنظمة القهر. التى أبرزها فى هذه الرواية قهر الرجل للمرأة.

ولا غرابة بعد التطهير أن يكتمل حمل بطلة الرواية بعد أن عادت علاقتها بزوجها

* كاتب وناقد من مصر.

١. هالة كوثرانى: الأسبوع الأخير (رواية) دار الساقي بيروت ٢٠٠٥م.

٢. عزة بدر: فى ثوب غزالة (رواية) كتاب الجمهورية القاهرة ٢٠٠٦م.

جميل... لأنه... بعيد!

■ حنان الرويلي*

كان بدرآ يحتجب خلف سحب العباءات أعيننا..
السوداء تارة.. وخلف سحب ملابس الممرضات
البيضاء تارة أخرى..
لكرت زميلتي هدى التي وجدتها قرب عيادة
طبيب الأسنان، وقلت لها: أتصدقيني؟!
أتمنى أن أتحول الآن إلى قطعة حلوى..!
سألتي متعجبة: ولماذا يا مجنونته؟
قلت لها: أريد أن أكون قطعة حلوى.. حتى
تقطعني ملامح ذلك الرجل الوسيم إلى قطع
صغبيبيبييرة.. يلتهمني بعدها كطفل فرح في يوم
عيد..
ضحكت وقالت: وسيتبعك بكأس لبن يتجشأ
بعده.. ثم ينام.. وهو يشخر وينخر، لتتمني
آنذاك لو أنك صماء ولست قطعة حلوى..
نهرتها من مغبة تشويه أحلامي التي لو قدر
لها أن تهبط من سماء خيالي.. لسكنته بتفاصيله،
كما تسكن الروح الجسد..
قالت ساخرة: إنها أحلامنا... تزينهم في
جميل.... لأنه بعيد.. !!

* قصة من السعودية.

الباب في مهمة خاصة

■ فهد المصباح

الكل في المدرسة يدرك مدى ذكائها، رغم حداثة سنها، طفلة في العاشرة، وهبها الله النبوغ وقراءة الأفكار، لكنهم لا يتوقعونها بهذا الفقر المدقع، فسجايها عطت كل بؤس طبع أسرتها، تود لو يحس أحد بحالها دون أن تفصح، فطلبات الدراسة أرهقت والدها الذي لا يتوانى عن توفيرها مضحيا بكل ما يملك.

تمتلك الكثير من الأجوبة، لكنها اليوم المدرسة - تتوقف عند مدخل بيتهم لترى تسأل أباهما بإلحاح عن باب بيتهم، فيخبرها آثاره وتخيّل شكله، فكتبت عنه سطورا أنه عند النجار ليصلحه، وتنتظر... ولا يأتي ضمننتها خلجات عشق غريب، يشرح مكانة الباب، ما جعل أباهما يعمد إلى سد الفتحة والباز، إنه الحرز والستر، إنه واجهة للمنزل.. بداية النظام ونهايته، إنه الاحترام لحق الآخرين، ينوب عنهم في غيابهم، ويحرسهم في ليلهم، دون ملل أو كلل، ثابت في مكانه كجندي مخيلتها، فصارت يوميا - وقبل ذهابها إلى



أن تأخذه حين يحضر النجار لاقتلعه.

عادت إلى البيت وهي تبكي، وتذرف دموعاً لا تريد أن يراها أحد، فهي تدرك عوز والدها وتضحيتها، لكن لا بأس.. ستعيد الباب كما وعدوها بذلك.. وستفرح به والدها وأهلها.

أقبل والدها عليها.. فقرأت في وجهه عوزاً يرتسم في تجاعيده، وقبل أن تبلغه بعودة الباب، أخبرها أن النجار يفضل إصلاح الباب مع النواخذ دفعة واحدة، وأقل كلفة.

فصمت واتجهت إلى غرفتها، واستسلمت إلى سريرها تبكي.. إلى أن غلبها النوم، فرأت نجاراً يعالج قلع نواخذ تصرخ مستغيثة.. تلوح بذرفها نحو السماء، فتستمطرها باباً، يوقظ صريه ذاكرتها الصغيرة، فتندفع نحوه كفراشات حقل من الزهور.

مخلص، إنه الفم الذي يلتهمهم في قدومهم، ويفرغهم عند رحيلهم، إنه يشارك الأب في الحروف نفسها.

كانت كلمات المقال خارجة من قلب انتزع بابه بنكهة شوق محمرة، فنال المقال إعجاب الأبهة فقدمته لإدارة المدرسة، التي رشحته للمسابقة الكبرى لمدارس المنطقة، وفاز بالمركز الأول دون منافس.

وصل إلى المدرسة خطاب شكر، مشفوعاً بدرع عن مسابقة المقالة، ومكافأة مالية للطفلة صاحبة المقال، تسلم لها في الحفل السنوي.

جاء احتفال التكريم في مبنى كبير، أنشأه الأهالي من تبرعاتهم العينية والنقدية، وهناك رأته.. مغير المعالم بدهان براق، فوققت عنده تشمه، تتفحصه، فيتأكد لها أنه هو هو باب بيتهم الغائب. اقتربت منه أكثر، والتصقت به خاطفة منه قبلة سريعة لم يتنبه لها أحد، ثم مضت.

كانت المديرية والمدارس يتجولن في أقسام المركز مع الضيوف والطالبات المتفوقات، وهي تقسم على الملاء أن الطفلة لا تفيها حقها هذه الجائزة البسيطة، بل لو أخذت ما في المبني كله لما وفاها حقها، لكنها.. اختارت الباب، فنظروا إليها بدهشة، ولئن كان تصرف العباقره غريباً.. لكنه لا يصل إلى هذا الحد؛ فالباب مجرد خشب لا يفيها حقها، ولكنها تصر عليه.

ومر الحفل بسلاسة ومرح، واستلمت مكافأتها وشهادة التفوق، وعينها على الباب الذي وعدوها

* قاص من السعودية.

قصص قصيرة جداً

■ محمد صوانه*

بقاء..!

مكثَ يفازلُ أحضانَ السحابِ..
يرنو إلى انفلاتٍ سرمدٍ شَبَّ عليه..
هَمَسَ على مقربةٍ من حراسِ أسرابِ الطيورِ
المهاجرة نحو الجنوبِ..

جمعَ بقاياهُ المتناثرة، وهو يتحشرجُ لاهثاً..
ثم صدَحَ لحنَ البقاءِ..!

قيّد..

توشَّحت قيدها، ورمت بمفتاحه ذات غفلة.. ثم
قامت ترقص حتى أعيهاها النعاس.. وعندما جاء
الصباح تعالَى صراخها وهي تستجد للنهوض..!

نهاية..!!

في الأمس كنت تسابقين الشمسَ، ثم رميت
نفسك معها بين أحضان الغسق.. دون أن تدركي
أنها نهايتك..!!



بركان!

حجبتَ قرص الشمسِ..
في ساعة غفلة..
ذُهلوا..
فزعوا..
تلمسوا رؤوسهم..
صرخوا:
ليست غيمة..!
تجمدوا في مخابئهم..
مكثتُ ردحاً من نهار..
لم تجدْ منهم صدى..
لملمت أطرافها،
ثم انفجرت كبركان..!

وحيداً..

وحده الفتى ظلَّ في ساح الوغى.. يقاتل
بسيف عتيد..

وعندما فرَّ المعتدي، وهدأت العاصفة..
نصب خيمة النصر على أنقاض بيته.. ثم احتفل
بصلاة الشكر وحيداً..

كفن

عندما سقطت قذيفة جديدة.. انتزعوا علم
السارية ليكفونوا به رضيعاً كان يأوي مع ما تبقى
من أسرته بين مقاعد المدرسة..

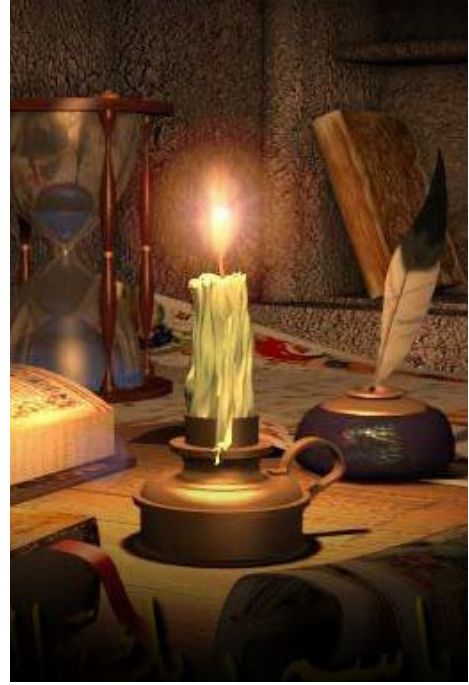
مانشيت..!!

تلقف جريدته التي اعتاد قراءتها كل صباح،
أحس أن الجريدة ثقيلة بين يديه.. دُهش..

زالت دهشته، عندما لاحظ أن يديه تلتختا
بدماء نزفت من المانشيت الرئيس للجريدة،
لحظة ملامسته..!!

يتيم

الطفل الذي فقد أباه ذات صباح،
تجمع حوله في يوم فقد خمسون..
أغدقوا عليه حزمة من حنان..
وقميصاً وحذاءً وبنطالاً،
وخمسين درهماً..
تخدرَ الطفل أسبوعاً،
ونام في النهار!
تفرق الجمع..
بعد خمسين يوماً،
شاهد الطفل تائهاً..!



صورته..!

لا يرى أبعد من أرنبه أنفه..
يحمل معه دائماً

مرآة واحدة.. يطالعها كل حين..

ألصق عليها صورته يوم عرسه..!

شمعة..!

أشعل شمعته على طاولته المفضلة.. في عتمة
مقهى مقفر.. يتأمل في ضيائها، ويسطر من نتاجه
في قرطاسٍ يتلوى بين يديه من كثرة الطي..

أخذُه النعاس بعيداً..

وفجأة، تلالأت شموع كثيرة.. انتشر ضياؤها
في أجواء المكان..

شمعته.. كانت تأوي إلى لحدّها..!

* قاص من الأردن، مقيم في السعودية.

قصص قصيرة جدا

■ عبيرالمقبل*

بساعة.. ذهب فجأة إلى المنزل فلم يجد لها أثراً.

طفل

بعد حمل تسعة أشهر.. قضتها بالأمنيات بقدوم المولود البكر... حانت لحظة ولادتها... ولخطأ طبي أصبح معاقاً إلى الأبد.

خيال

كانت تلك مواصفات شريك حياتها.. رفضت الكثير الكثير بانتظاره.. وعندما جاء نصيبها.. لم تجد فيه أياً من المواصفات التي بنتها في خيالها.

مرآة عاكسة

نظرت في مرآتها.. فوجدت شيئاً غريباً.. وهو أن صورة قبحها تزيد عما هو في الواقع.

عمر

أصيبت بمرض خبيث.. أيقنت أن نهايتها ستكون في لحظة.. وفي لحظة.. مات زوجها وابنها في حادث سير.

قمة التضحية

قررت في آخر لحظة أن تموت ويبقى ابنها الوحيد على قيد الحياة.. تم إجراء عملية نقل القلب منها إلى جسد ابنها، ولكنها لم تكن تعلم أنه قبل العملية قد فارق الحياة!

الأخيرة

كانت هذه آخر سيارة من أحدث الطرز التي سيمتلکها.. لأنه عندما سار بها حدث خلل فني بسيط في المحرك أدى إلى انفجارها، ولم يبق لها أثر قط.

لوحة

كل يوم تتأمل بها.. ولساعات دون أن تشعر بمضي الوقت، وحينما اتسخت أرادت تنظيفها لتكتشف أنها عبارة عن عدة لوح تشير إلى لغز مبهم.

قطع الشك باليقين

بعد انقضاء شهر العسل.. وعودته للعمل.. كلما حاول الاتصال بها، وجد خط هاتف المنزل مشغولاً.. تكرر ذلك مرات عديدة.. وأخيراً قرر حسم الأمر وقطع الشك باليقين، بعد خروجه

* قاصة من السعودية.

شتاء السارد

■ محمد النجيمي*

ورائحة النتن تقصي السارد عن المشهد!

مشهد ١:

الواحدة صباحاً

السارد يمزق كتابه الأخير، يتناوش صفحاته بأظافره، ويوغل في تمزيق جسد الورق. صاحبه يحتضن الكتب الأخرى ويحول بينها وبين السارد المجنون. صراخهما يعلو، والكتاب الأخير خمدت أنفاسه.

مشهد ٣:

قبل الفجر بقليل

السارد أمام كومة حكاياه التي تعلوها كتب متعددة العناوين، يوقد عود الثقاب.. ويرقب الحريق وهو يكبر على عينه.

مشهد ٢:

قبل ذلك.. أول المساء

الشاعر الحدائي يحضر للمشهد، يراود اللغة عن الأجساد الغضة، ويجتر ذاكرة أجداده الجاهليين. يموت الوعي على حد قلمه المنتصب، تموت الحداثة على سرير القصيدة،

بينه وبين اللهب.. تتخلق صورهم: التوحيدي على يمينه يرمقه بحزن.. والشاعر على يساره مرتدياً نظارته الطبية، يمسد شاربه ويقذفه بنظرة شامته.
جلس السارد منكسراً بجوار النار، وأغمض عينيه، يتحسس بردها الذي جمد أضلاعه.

* قاص من السعودية.

قصص قصيرة جداً

■ د. جميل حمداوي*

الطمع

سافر شاب عاطل إلى الخارج، فتزوج عجوزاً نصرانية ثرية، تملك الكثير من الأبقار والخرفان والدجاج، ماتت المواشي كلها ولم تمت العجوز، فطلقها الشاب العاطل بالثلاث ليبحث عن عجوز غنية أخرى.

الحمامة!

أسقط الذئب الحمامة..
ونهب عظامها الطرية..
فكفنها الجميع..
ثم شيعوها بالحزن والأسى..
وكان الثعلب أول المشيعين..

الساحرة

سحرته برموشها الوارفة..
فارتقى بين أحضان الساحرة..
فأفرغت كل جيوبه العامرة..
وأرسلته إلى بلده بأيدي فارغة..
ووشمته بأمراض شائكة..

القصيدة

أهلكته العاشقة..
بالقوافي المتعانقة..
والأوزان الصافية..
والاستعارات الشاردة..
فطلق القصيدة العانسة..
والرواية الساهرة..
وتزوج القصة القصيرة اليانعة جداً..
فأنجب من هذه الفاتنة..
كتابات ساخرة..

محاضرة

ألقى دكتور مثقل بكنوز المعرفة محاضرة قيمة لمدة ساعتين أو أكثر. كان يجلس ويصوب ويحرك يديه، ويرفع بعناء كبير صوته المتقطع المبحوح. نام الحاضرون وشخروا، فخرج الدكتور غاضباً شاتماً جمهور آخر الزمان؛ لأن الحاضرين ما زالوا نائمين في كهفهم..!

قصص قصيرة جداً

احتج التلاميذ داخل الفصل، وصرخوا في وجه أستاذ اللغة العربية الذي تخشب في المؤسسة أربعين عاماً وما بدل تبديلاً. احتج الطلبة صارخين يائسين، فنددوا بالمقررات الدراسية الزائفة التي لا تنتهي، وقالوا بصوت مرتفع: «نحن في زمن العولمة، نحن في زمن الساندويتش والهامبورغ، نحن في زمن الثورة الرقمية، اتركونا من الكتب الورقية الصفراء، وأريحونا من جنس الرواية وقراءة النصوص المسترسلة، لا نريد سوى قصص قصيرة جداً».

الميراث

ماتت أمهم منذ عقد من الزمن، فمنع الأولاد أباهم من الزواج كي يرثوا عقاره ومنقولاته. انتظروا موت أبيهم، فلم يمضت. مات الأولاد كلهم، فورثهم أبوهم.. وتزوج بعد ذلك بشابة يانعة ظلت تدلكه صباحاً ومساءً طمعا في موته وميراثه..

* كاتب وناقد من المغرب.

وطن الخلود..

■ فيصل الدغماني*

كنت أحسه وأراه..!!
رجعت إلى ذلك الرصيف ، وجلست في مؤخرته عله
يستأنس بي من وحشته.. وأستأنس به من وحشتي.. جلست
أتأمل صورته.. أفكاره الخالدة.. حديثه الهامس.. نظرت
المتأمل..

تذكرت كتاباته.. فبكيت حتى سالت الأرض من حولي..
تذكرت نضاله.. قوته.. فضحكت..!!

عجوز قادمة نحوي.. أراها وكأنها تحمل الأمل لي
مجدداً.. حدثت النظر بها.. اقتربت منها؛ فإذا بها تحمل
كوباً ساخن من الشاي.. اقتربت أكثر فأكثر حتى وقفت
أمامي.. أعطتني كوب الشاي الساخن وذهبت وهي تتمم
بكلمات جميلة حانية، ودعوات صادقة.. أخذت أشرب
الشاي فإذا بي أفيق من سرحاني..

فعلمت إن تلك العجوز هي «جديتي» بل وأنها واقعٌ
أنسجم مع ما كنت مشغولاً به.. وحينها نهضت بعدما كنت
مستلقياً على ظهري، وإذا بي أقرأ في كتاب «رحلة في وطن
الخلود»..!!!

ونظرت إلى الكتاب بين يدي؛ فإذا بي قد وصلت إلى
فهرسه، ولكن خيالي ما يزال مشتتاً ومولعاً وشغوفاً
بالقراءة الحرة..

فهزرت رأسي مبسماً وقلت : حقاً.. القراءة وطن
الخلود..!!!

بأناملي المرتعشة : كتبها.

مكتبه الصغير هناك منزويًا في أقصى الغرفة.. الأوراق
متناثرة.. والحبر جف من طول الغياب.. الغبار يعتري
المكان.. إحساسي بالغرفة أنها تشكي هجران صاحبها..
الكتب كانت للفئران وجبة دسمة: تلعب على هذا وتتهش في
هذا.. حرة طليقة..!!

فتحت نافذة الغرفة.. صافحتني السماء بالهواء الحار..
نظرت إلى الأرض فإذا بها تتضرب من تحتي.. رجعت للمكتب
الصغير والذهول والدهشة كادا أن يقوداني للهوس.. نظرت
علمي أجد ورقة تدلني على صاحبها.. لم أجد شيئاً سوى
الأيأس.. ساءت الباب.. النافذة.. الوردية التي كانت تعطر
المكان.. ولا موجب..!!

خرجت مسرعاً وجلست على الرصيف، ذلك المكان
الهادئ الذي يعصف بالذكريات عندما كنت أنا وصديقي
نجلس عليه.. تتجاذب أطراف الحديث.. نجمع هموم الدنيا
وتتداولها في سهرتنا الليلية.. بكيت على الرصيف.. ندبت
حظي المتعثر لفترة غيابي، عندما أردت إتمام آخر مرحلة
من مراحل دراستي.. السؤال الوحيد الذي كان يسامرني
ويشاطرني حزني.. هو: ما الذي جرى أثناء غيابي..؟

أخذت أسأل هنا وهناك.. ولا أحد يعلم.. وجدت ذلك
الشيخ الكبير الذي يجلس دائماً أمام المسجد.. فسلمت
عليه، وسألته عن صديقي (جابر).. صد عني.. وقال : لا
أعلم..!!

حينها تأكدت أنه رحل، ولكن.. إلى أين؟!

رجعت إلى غرفتي الموحشة بعد أن كانت منارا للعلم
والفكر؛ تلك الغرفة التي كانت مجلساً لأرباب الفكر وصنوف
المعرفة..

أراها الآن موحشة.. يلفها الظلام.. ويملؤها الغبار..!!
يقبت على حالي شهوراً.. أسأل.. ولا من موجب.. الأرض
قاحلة.. والسماء شاحبة.. والمياه تداعبها الأمواج.. هذا ما

* سكاكا - الجوف.

نحن ... غربة وطن!

■ المغيرة الهويدي

لذلك أدركتُ جيداً أنّك كنت تفكرين بيدي
بحثاً عن دفاء، تماماً كما كنت أبحثُ فيك عن
وطن، وعن طريقة أوقفُ بها الزمن لتدوم تلك
اللحظة طويلاً.

* * *

خلف حقيبتَي سفر كان وداعنا ...
وكلُّ ما في جعبةِ الوداعِ وعد مذيّلٍ بسأبقي»
وأمنيةٌ لو نبقى كشجرة في مهبِّ الخريف.
من قال إنَّ المحطّة وطن؟!
ها نحن نمضي في اتجاهين، والدروب التي
جمعتنا تفرقت.

ما عاد في القلب متسع لحلم!
ها نحن نمضي، فينشطر الأفق
والشمس التي تلوح لك، ليست هي الشمس
التي تلهبُ ظهري بسياط من قهرٍ لا ينتهي.

* * *

خلف حقيبتَي سفر كان وداعنا ..
والغربة التي رحلت بك لم تتركني وحيداً، بل
رحلت بي إلى مجهولٍ آخر.
ولم يبقَ هناك سوى الوطن لوحه بلا ملامح
تواجه قدرها في معرض الريح والشتاء والألم.



بين حقيبتَي سفر كان لقاءنا .

وكان الوطن مختصراً بمحطّة

وكغريبين قدرهما الرحيل أمضينا الليل
باختراع المفاجآت، وارتداء الأتعة التكرية،
لنخترق وجه الوداع بابتسامة!

وكغريبين قدرهما العشق أيضاً تحدثنا عن
العابرين في محطّات القلب، وعن الانتظار!

وبقدر كبير من الثقة والخجل فتحنا حقائب
الذكريات، وراحت نظراتنا تتجول في أرجاء
الآخر بحثاً عن نقطة التقاء في دروبٍ وطئناها
حيناً، بحثاً عن كلمة تكون كافيةً لاحتواء وعدٍ
بلقاءٍ آخر!

* * *

وحدها الغربة تمكّنتنا من قراءة الآخرين،
تعطينا الحقّ في أن نكون أقرب، يجمعنا
الوجع برياطه،

* قاص من المغرب.

فصل من رواية:

الشمس التي رحلت

■ محمد عفيف



الكتابة عندي.. هي متعة..

والكتابة في داخلي.. إحساس بديع.. وفن رفيع.. لا أدعيه..

والكتابة عندي.. هي البساطة.. هي السهولة.. هي اللفظ الجميل..
والشعور الخالص.. والعاطفة الصادقة.. باختصار هي اللفظ المعبر من
أول نظرة.. هي التي لا تشعر بالحيرة.. ولا ترهق القلب والعقل.. عندما
أكتب فأنا أنظر حولي.. مشاعرهم.. أحزانهم.. مكنونهم.. وفي ذلك أجد
ذاتي وكياني.

من احترامي لقارئتي ينبع اعتزازي بما أكتب.. ومن تقديري لنظرتي تأتلق خواطري.

..وعندما أكتب فأنا لا أكتب لهم فقط.. ولكن لكل البسطاء.. مثلي تماما..

الفصل الأول

لشيء.. إلا لأنني ابنتك.. ولعل هذا سرّ شقائي..
اضرب كما تريد، ولكن لن أرضخ لعصاك.. فأنا
لم أكن في يوم من الأيام مثلما يدور في بالك..
ويعتلج في داخلك..».

ثم صمتت قليلا لتعكس دموعها بريقاً سريعاً
عادت تقول بعده:

- «لم أفكر فيكم يوماً ما.. لأنكم جميعاً لم
تشعروا بي، ولا حسستموني لحظة أنني أعني
لكم شيئاً.. لعل الإنسان في نظرك - يا من تحمل
لقب الأب - مجرد حيوان يأكل ويشرب وينام
فقط..!! لا، ليس كذلك أبداً.. لم أعتد منك إلا
الضرب والقسوة، ولم ألمس فيك الحنان يوماً
ما.. وترديد الآن أن تصلح ما أفسدته في سنين
بين يوم وليلة.. نعم قد أكون مذنبة ولكنك أنت

شقت تلك الصفعة سكون ذلك الليل المطبق،
عندما هوت على ذلك الجبين الغض، في حين
انطلق ذلك الصوت الغاضب قائلاً:

- «لقد نفذ صبري معكِ.. ولم أعد أحتمل
ما تفعلين.. قولي لي بالله: لماذا فعلت ذلك؟ ألا
يكفي ما أعانيه بسببك أنت ومن في هذا البيت
من حقارة المهنة وشظف العيش..».

ثم صمت، وهو يزفر بشدة، في حين نهضت
الفتاة بقامتها الممشوقة، وقد وضعت أناملها
على جبينها تتحسس موقع الصفعة، وعلى غير
المتوقع منها في مثل هذه الأحوال، اقتربت من
ضاربها، وفي عينيها تحد عجيب وقالت:

- «أعرف أنه يمكنك أن تفعل بي ما تشاء.. لا

من زرع فيَّ الجرم وغرس في نفسي الإثم...». ولم تستطع أن تكمل إذ انخرطت في بكاء

مرير، في حين وقف ذلك الرجل المتوسط القامة يتحسس ذقته المدببة ولا يدري ماذا يفعل...؟ إذ شعر بغضبه يذوب في مصداقية كلامها.. تقدم نحو النافذة وفتحها ليتدفق منها نسيم عذب تفيض به ليال الربيع الساحرة في مثل ذلك الوقت من السنة.. ثم التفت نحو الفتاة التي كانت قد تراجعت واستتدت إلى الجدار وهي تتشج.. ورغم ذلك كان يرى أن الموقف لا يحتمل التهاون.. هكذا اعتاد أن يفعل.. تقدم نحوها وأمسك بخصلات شعرها في غير قسوة ورفع ذقنها فراخته نظرات التحدي في عينيها رغم عبراتها الهاطلة.. بادرته:

* * *
أشرقت شمس الربيع في اليوم التالي وتسلكت أشعتها الدافئة إلى الغرفة ذات الأثاث المتواضع والسرير الخشبي الذي احتضن فتاة بدت في الخامسة عشرة من عمرها، وقد أوحى منظرها أنها تغط في نوم عميق، في حين حملت تقاطيع وجهها خطوطاً حمراء وانتفخ طرف شفرتها السفلى بشكل واضح، بينما عند قدميها جلست المرأة نفسها، ترقب ابنتها وهي تكاد بين الفينة والفينة أن تسقط بفعل النعاس.. وأخيراً نهضت بتثاقل، وقبل أن تغادر الغرفة أشارت لطفل صغير بدا في الرابعة من عمره كان يلهو بجانب السرير، أن يلتزم الهدوء، وألاً يزعج أخته، فكان رده أن نظر إليها غير عابئ، وما كادت تخرج حتى ارتقى حافة السرير وأقترب من جسم الفتاة وهو يهتف:

- أتظن أنك في هذا الموقف تذلني.. لا لم يعد يهمني أحد.. كل ليلة تعود كالغريب المروع.. لا يشعرون بك.. أنا فقط أشعر بك.. في تلك الساعة التي تأتي فيها لتوقع العقاب على ابنتك الأثمة.. أبدأً لم تكن في وعيك لحظة ما و...»

ودوّت الصفحة من جديد لتفقدوها وعيها هذه المرة.. وخرج الرجل من الغرفة وهو يتمتم:
- «في المرة القادمة سأقتلها ولا شك.. سأقتلها...»

وما أن فتح الباب المقفل حتى اندفعت منه امرأة في العقد الرابع من عمرها، حلوة الملامح، وإن كان وجهها قد علاه من معالم الحزن ما يوحي بشقاؤها.. اندفعت نحو ابنتها المسجاة ورفعتها وهي تتمتم:

- «رباه ارحمها».

وشيعت الرجل الخارج بنظرات قاسية، عادت بعدها تحاول إفاقة ابنتها التي ما لبثت أن فتحت

ثم رفعته أمامها ونظرت في عينيها اللتين

تشعان بالبراءة وعادت تقول:

- «ستكبر غدا يا «وحيد» وتعرف لماذا أنا حزينة.. ولعلك ستحزن أنت أيضاً؛ فأنت لا تدري ماذا يحدث في بيتنا الآن.. الكل هنا لا يفكر إلا

في نفسه.. وأبوك كم هو قاس علينا! لا أعتقد أن قلبه عرف الحب يوماً أو لعله لم يسمع به بعد.. أما أمك فهي تحبنا ولكنها مثقلة بالمتاعب و...»

قطعت حديثها فجأة عندما تذكرت أن الصبي لن يفهم شيئاً مما تقول.. ولكنها أضافت في خفوت:

- «من أجلك أنت فقط لن أغضب منهم.. وستكون أنت نقطة ضعفي دائماً.»

كانت «سمر» تسكن مع أسرتها المكونة من سبعة أفراد وكان والدها رجلاً بسيطاً، يعمل موظفاً في إحدى الدوائر الحكومية في وظيفة متدنية، ولكنها على أية حال كانت تكفيهم؛ أما أمها فكانت امرأة صبورة تقوم بكل شؤون البيت دون أن تطلب المساعدة، حتى أن جمالها بدأ يذوي سريعاً، رغم أنها لا تزال في بداية العقد الرابع من عمرها.. وكان أشقاؤها الأربعة يتدرجون في سنوات المرحلة الابتدائية ما عدا «وحيد» فهو لم يدرس بعد.. كان سجل إخوانها حافلاً بالفشل، وأسعدهم حظاً كان قد قضى في السنة التي هو فيها ما لا يقل عن السنتين.. وتشعر «سمر» بأن أسرتها منكوبة، وتعاني من التفكك الشديد؛ فوالدها لا يكاد يعيرهم ما يكفي من الاهتمام،

وجلّ همه أن يذهب إلى عمله، ثم يعود لينام، وهذا من حقه، ولكن ليس من حقه أن يسهر الليل كله.. ولذلك كان من النادر أن يجتمعوا معاً.. ولم تكن تشعر أن لها أباً إلا عندما تختصم مع أحد أشقائها فيشكوها إليه؛ فتكون حصتها من العقاب قاسية على يد والدها الذي يعتقد دوماً أن العصا هي الحل الأمثل دائماً، والأقدر على إعادة المذنب إلى صوابه بأسرع وقت.. وعلى ذلك المنوال سار في تعامله معهم.. كما أن اهتمامه كان مقصوراً على الأشياء التي يجد نفسه مجبراً على الالتفات إليها، وبذلك غدا كل فرد من الأسرة أشبه ما يكون بالمسئول عن نفسه بغض النظر عن سنه..

أما «سمر» فقد كانت شديدة الشقاوة والعناد، لذا كانت حصتها من العقاب هي الأوفر دائماً، وكان يغيظها كثيراً أن أمها لم تكن تتدخل لتشهد لصالحها مثلاً، بل كانت دائماً تأتي لتتفقد حال المخطئ بعد أن ينال جزاءه، وهي تأسف لما حصل له.. ومن الأشياء التي تعرفها «سمر» عن نفسها أنها تملك ذكاءً لمأحاً أدركته من تصرفاتها وتعاملها مع زميلاتها في المدرسة، رغم أنها غير متفوقة دراسياً، لا لشيء، إلا لإهمالها ولو بحثت عن التفوق لحصلت عليه.. إضافة إلى ذلك فهي لم تعب يوماً بما يقولونه عنها سواء أهلها أو الجيران أو داخل نطاق المدرسة. وكانت كثيراً ما تشعر بعدم ترابط أسرتها وأن ذلك كان وراء حالة التسيب أو الحرية الواسعة التي تتمتع بها.. وكان ديدنها أن تقول لمن لأمرها على تصرف ما أن ثققتها في نفسها واعتزازها بكرامتها هي سلاحها،



ولا تأبه لما يقولون، وعنها يرددون... تشعر أنها

متقلبة المزاج جداً، أو هكذا يحلو لها أن تسمع زميلاتنا يصفنها.. وأتاح لها ذلك مرونة كبرى في تصرفاتها، متعلقة بالسبب نفسه، وأحياناً كانت تخالف كل التوقعات فتؤدي كل أعمالها المنزلية بكل نشاط، وتؤدي واجباتها المدرسية بشكل يدفع معلماتها إلى الإشادة بها.. ولا تلبث غير قليل حتى تعود إلى سابق عهدها.. هي نفسها تشعر بذلك، وتحس أنها لا تملك القدرة على مسح ذلك الطبع فهو جزء منها.. وحتى عندما صارحتها إحدى زميلاتنا بأنها تمتلك شخصية فريدة ابتمت في سخرية وقالت:

- «لا أحب هذا النوع من المزاج».

ولكن عندما أردفت أنها تخشى عليها من المستقبل تجهمت «سمر» ولم تدر بماذا ترد..

ومن الأشياء التي تفخر بها أيضاً جمالها الرائع.. مرة كتبت لها إحداهن أنها إذا وقفت أمام المرأة فسترى لها قواماً رشيقاً، وعينان بعمق لامتاه، ووجه صغير بديع وشعر كلون الليل الداجي، كما أنها تمتلك بياضاً ناصعاً بدا فيه فمها كجرح صغير.. انتشت بذلك كثيراً وشكرتها أكثر عندما أضافت أنها تذكرها بأميرة إحدى الروايات الخيالية.

وما زالت تذكر يوم نالت شهادة المرحلة الابتدائية ورغم أن معدلها لم يكن يشير إلى تفوقها، إلا أنها كانت تعتقد أن ذلك كفيلاً بنيل رضا والدها ولعله يشعره بحنان الأبوة، فيجود به عليها ولو في هذا الموقف فقط.. تذكر أنها عندما عادت بشهادتها ذلك اليوم هنأتها أمها بسرور عميق وقبلتها، ما جعل شعورها المتعطش يدفعها إلى احتضانها كما لم تفعل من قبل، كما أن والدها ابتم لها في حنان استغريته وهو يعقب

بقوله:

- «آه لو تتركين شقاوتك وإهمالك فقط لأصبحت شيئاً آخر..».

لم يطل الأمر إذ في الليلة ذاتها حدثت مشادة بينها وبين شقيقها «راضي» الذي كان يلعب الكرة في ساحة المنزل، وعندما حاولت أخذ الكرة منه ركلها بقوة فأصابت آنية زجاجية فحطمتها، فقامت بتعنيفه واشتدت الخصومة بينهما وكانت النتيجة أن ضربته فاشتكاها إلى والده، الذي لم يعر حجتها أي اهتمام ولقنهما درساً قاسياً من عصاه.. وفيما قنع «راضي» بنصيبه شعرت «سمر» بالغيظ الشديد من والدها، الذي لم يفرق بين المخطئ والمصيب.. عبثاً حاولت أن تفهم لماذا يقسو عليها..!! وفي موقف آخر كانت تتطلع من النافذة إلى الشارع فلحظتها أخوها «زياد» فقال في خبث:

- «هيه.. عم تبحثن؟ إنه لن يمر اليوم من هنا».

فقالت مغتاضة:

= «أخرس يا قذر».

فابتسم في هزء وقال وهو خارج من الغرفة:

- «أنا القذر إذا..! أوليس صاحب السيارة السوداء بقذر أيضاً.. أتمنى لك حظاً سعيداً».

وقبل أن تتمكن من الإمساك به كان قد عبر الباب بسرعة فائقة.. فاصطدم بـ «وحيد» الذي كان يرقب الموقف عند الباب، وهو يلوك قطعة كبيرة من الحلوى فشغلت باللعب معه.. كانت تحبه كثيراً لدرجة أن أمها كانت كلما رأتها متضايقه طلبت من «وحيد» أن يلهو معها فلا تملك «سمر» إلا الاستجابة.. أما صاحب السيارة السوداء فقد كان شاباً وسيماً يمر في الشارع المجاور باستمرار، كما يتوقف أحياناً أمام البيت ويتظاهر

- «المسألة ليست أنك خادمة، ولكن يا ابنتي هذا واجب عليك أن تساعدني في شؤون المنزل».

فقالت «سمر» متذمرة:

- «أنا متعبة الآن كما أنني مشغولة بدروسي».

قالت ذلك، وأشاحت بيدها ما أثار غضب أمها فصاحت في وجهها:

- «لقد أصبحت كسولة وقليلة الأدب أيضاً».

فانتفضت «سمر»، وقالت في حدة:

- «لست قليلة الأدب».

- «بل قليلة الأدب.. ولكن الذنب ليس ذنبك».

فابتسمت «سمر»، وقالت في خبث:

- «ذنب من إذأ؟».

- «ذنبنا نحن أننا لم نعرف كيف نربيك.. لقد أطلقنا لك الحبل على الغارب، وسأدفع أنا ثمن ذلك.. صحتي.. أيتها الشقية».

..وفي ذلك اليوم نالت من عصا والدها ما أنكى جسدها وشعرت بعده بالأسى ورددت في نفسها:
-«ما أشقاني بأبي هذا».

إنها لا تريد أن تكون مثلما قالت عنها أمها فعلاً.. إنها تحبها ولكن أحياناً تقوم بأعمال لا تدرك عواقبها، ثم تندم بعد ذلك متى ما خلت بنفسها.. وتجد نفسها في اليوم التالي تلقي بنفسها في أحضان أمها وهي تتمتم.

- «أه يا أمي لكم أنا أسفة.. أبدا يا أمي لم أشعر بكياني يهتز إلا كلما رايتك حزينة.. وكلما كنت سبباً في ذلك.. أمي.. البارحة بكيت كثيراً.. هل تسامحيني؟».

بالحديث مع أشقائها، الذين ظنوا أنه يطمح إلى كسب صداقتهم حتى لا يرموا سيارته بالحجارة، كلما عبر شارعهم.. وفي كثير من الأحيان كان يمنحهم بعض الهدايا التي لا تلبث أن تأخذ طريقها إلى يد «سمر» التي كانت تشعر أنها هي المقصودة.. ورغم أن شقيقها «راضي» لمحها غير مرة وهي تشير له من النافذة، إلا أنه استجاب لرغبتها في كتمان الأمر مقابل بعض النقود.. تعتبر «سمر» الأمر مجرد تسلية وإن كانت تعرف أن هؤلاء الفتيان يغلب على طبعهم الفساد، وأنهم كالذئاب، لا يهتمهم إلا تصيد الغريرات.. نعم كانت تحاول جذبهم، وسلاحها في ذلك ثقنها في نفسها، وتعرف أنها ربما دفعت في مقابل ذلك الكثير من سمعتها.. كانت كثيراً ما تشير لبعضهم ببعض الحركات التي تستثيرهم، كأن تقف في النافذة وتبتسم لهم، وما أن يتوقف أحدهم حتى تصفق النافذة في وجهه في عنف، أو كأن تلقي لأحدهم ورقة فيسارع بالتقاطها حتى إذا فتحها فإذا هي مليئة بالسباب، بينما تضحك هي بملء فيها، ورغم أن الخبر طرقت مسامع والدها أكثر من مرة، وما أنزله بها من عقاب، إلا أن الأمر بقي كما هو، وإن أخذت بعض الحذر فيه.. ولكم فكرت لم تفعل ذلك..؟ لعلها الرغبة في تعذيب الآخرين.. أو الاستهزاء بمشاعرهم.. وفي كل، ليس لها الحق في ذلك.. هي لا تريد ذلك في قرارة نفسها، فماذا حدث لها..؟ تناقض في شخصيتها، عاد يداهمها كثيراً.. حاولت أن تتخلص منه أكثر، ولما عجزت وصفته بالمزاجية.. يوم طلبت منها أمها أن تغسل ثياب أشقائها رفضت وقالت:

- «أنا لست خادمة».

فقالت الأم في غضب:

* كاتب وروائي من السعودية.

الأرض المتخيلة

■ إبراهيم حسو*



نلتقي كل عشر سنوات على ضفة ما
غير موجودة إلا في الشعر
نلتقي ونحكي عن الحيوانات الخرافية
ونغامر في الإمساك بها .
نفترق
وقليل من الحظ
نتعانق ونلعب الوداع المر .
لكن الوداع الذي لا يمل .. يأخذ وقتي
في التفكير بهذه الجاذبية
وهذه الكثافة الضاحكة للهواء، فأسد
الفجوة العميقة الموجودة في الشعر
أقصد الخريف وهو يموت وسط الباحة
العامة للألعاب الشعبية،
أراه منطفئاً وجسمه يشع وينكسر مثل
الشمس الأولى لدى خروجها من الفجر .
كأنني

كأنني
هذه
الأرض
التي تتركني باردا
مطويا في طياتها باعتبار لا مثيل له .
كأنني
أتعثر
بالأرض
بهذا العشب المؤلم الذي لا يلائمني
فأغور في الأعالي
في فضاء خشبي لا مثيل له .
لكن
والأرض
كما هي
وأنا كما هو

رأيت
 الأرض
 هنا
 أكثر من مرة
 دخلت الظل باتجاه أشجار خاطئة
 أو ماء خاطيء.
 لكنني تبعت الفضاء الشره والذي سيتهدم
 قريبا عام ٢٠١٥
 أو ربما بعد الأربعاء القادم.
 كأنني
 أشبه الحجر البازلتي
 عندما يشتعل ويغور في الأعالي.
 وتبعت جسمي المفتت، خنقت يديّ ورميتني
 من أعلى جسمي
 وتهدمت في مكان مليء بالقصب وحيوانات
 تنير وتتداخل مثلنا.
 كأنني
 هذه
 الأرض
 لأول مرة.
 وكأن هذه الأرض كانت جسمي تقريبا
 كأنني
 ولدت
 في سرير من العواصف أو ما شابه ذلك
 ومتمّ في أرض تغمرها الخضرة دائما.
 فأعود
 إلى
 الأرض
 إلى صباح يوم الأربعاء، تاريخ النافذة
 المكسورة، وآلات النفخ الكبرى
 في الساحة العامة للألعاب الشعبية... أعود
 إلى أكياس قصب السكر
 أقصد الشعر الذي يتلف المخيلة العاطلة،
 فيركض الشعراء ويموتون
 رويدا رويدا تحت أبطي.
 لكنني
 أذكر ضياء الطيور وهي تصيح بغيظ
 الحيوانات الخرافية الراكضة نحو عالم خفي
 بثقة القطارات نحو حتف مجهول.
 كأنني
 كنت مختفيا هنا
 ومنذ قرون عديدة،
 كأنني منذ الفجر كتبت هذا وذهبت،
 أو ليست لدي زهور البرتقال كي أقدمها
 لنفسي في عيد وهمي
 أو ليس جمالي أبهى مع تقدم عمري
 ورؤيتي للمسرح العبثي الذي فرّ ممثلوه للتو
 فأتملّ أكثر من شجرة وأذوب.
 منذ الأربعاء
 وقبل عام ٢٠١٥
 رأيت نفسي قرب النافذة دون طيور تذكر!!..

* شاعر وناقد سوري.

عاهدته

■ أحمد عكور*

عاهدته	أو جئتُه
ألا أبوح لغيره	أحبو وتقلني الخطا
بالحبِّ والشكوى معا..	إلا سعى..
عاهدته	رفَّت من السحر الجوانحُ
أنِّي إذا هجعوا	مذَّ عرجتُ إليه
أبوءُ إليه بالحسنى التي	أمتاحُ الرؤى
أحيا بها قلبي	من سِدرة الطهر التي
وأروى الأضلعاً..	أسرى بروحي حسنُها
عاهدته	فيضاً من الحب المقدسِ
أن أفرش الأهدابَ آمالاً	ما ألدُّ وأبدعا..!!
وأسقيها دمي والأدمعاً..	عاهدته
ما جئتُه	حتى المماتِ
أمشي إلى لُقياهُ	أكونُ
إلا أسرعاً..	عبداً طليعاً..

* شاعر من السعودية.

حبيبي.. وطني

■ السيد موسى البدري

فديتك أنتَ لي وطنٌ وأنتَ عالي مؤتمنٌ
وقلبي في هـواك غداً كما بالأمس مرتهنٌ
فوسّع يا مكانُ لنا وأبطئُ أيها الزمنُ
عشتك منذُ تنشئتني وأشرقَ وجهك الحسنُ
فديتك كيف تأسرني أوبعدك كله حزنٌ؟
إذا ما كنتَ قدامي تشوقُ شوقي الفطنُ
سماؤك من تباريحي ويعصف جوها الأرنُ
أما في القدم من ملحٍ؟ بلى الغابات و الممدنُ
وقدك من رسوماتي وإعماري له ثمنُ
وفي عينيك لي بحرٌ تحاول فهمه السفنُ
فأشرعتي تبطنني ويعجل في اللقاء الزمنُ
وأعجب من تعجّله وأنبي فيك مفتتنُ
أحبُّك هل ستمنحني ربيعاً كاله فننُ؟
وهل تتحرك الأما هل يتجدد الأسنُ؟
أنال حبّ منتظرٌ وبالوديان لي سكنُ
على الجبل الأشم أرى مساحاتي ولا أهنُ
وأضمن يا حبيبي كـ ما تصبو..؛ أنا قمنُ
فأسدل من سحاب الحُ ما فيه لنا مننُ
وأغمدق في ربوعك لي وصلاً؛ أنت لي عدنُ
أحبُّك كم أحبُّك يا ربيع العمرياً وطنُ

* شاعر من السعودية.

دروب الكرى

■ سماره غازي الفرطوسي

شموس الردى عجائز دفيئة	غابت الأزاهير
في الوادي زهرة تائهة	ستار الرجوع يذوب في السهوب
ترتجف إلى نهار	أول صباح ضل في الطريق
لم نجوم مدينتي مساء؟	نجمة النهر
ابعشي أمطارا ليذر الفراق	حزينة كالأقمار
أغنية تذوب في الوادي	نفض الندى خيالاً
ابتسامه صبح	على العشب ارتمت البذرة
فالشمس في أذيالها ارتحال	حزينة
تخفق الروح لنسمة	تجوب دروب الكرى
الريبع يرتجف	أوصدت الظلماء الضحى
أطلقوا الرصاص على الياسمين	فر النهر

* شاعرة من العراق.

رحلة

■ د. حافظ المغربي*

وشرعتُ أبحثُ في عيونكِ
من بعيدٍ عن وطنِ
الأرضِ تُنبِضُ فيه
بالفكرِ الجديدِ
تَهْمُو وفي أحسّائها
أملٌ تمخّضَ عن وليدِ
عيناهُ تلمحُ في الحقائقِ
صوتنا المرهونَ
في حلقِ الغرابِ
يشدو على وقعِ الأَكْفِ
على شموخِ الأقفيةِ
ويداهُ تنتشلانِ
سِحْرَ الرُّوحِ
من فجرِ به
تسعى الدُّنُوبُ
إلى بَكَارَةِ أرضِنَا

وشرعتُ أبحثُ من قريبِ
في عيونكِ عن وطنِ
يخطو إليكِ القلبُ شُرِيناً
يُحَاكِ حِرْقَةَ الملهوفِ
في الزّمنِ الغريبِ
وصقيعِ وحدتِنَا تَحْنُ
لشمسِكِ الملقاةِ
في حَضَنِ اللّهيْبِ
لكنني.. بل إنني..
بعدَ العناءِ..
ورحلةِ الأملِ الطّمُوحِ
لم أدرُ أن الشَّمْسَ في عينيكِ
مُوصِدةُ اللّهيْبِ..

وشرعتُ أبحثُ في عيونكِ
من بعيدٍ عن وطنِ
يَهْبُ الرّمَالُ الطّامِثَاتِ
معانيِ الماءِ العذُوبِ
على شفاهِ من ظمأً
ويلمُّ أشلاءَ الكرامةِ
من بطونِ الدُّودِ في جوفِ الحُفْرِ
ويعدُّ أنفاسَ البراكينِ
التي تارت حَفِيطَتِهَا
تباركها خواطرٌ من عَدَمِ
تَهَبُ الثُّكَالِي الدَّفءِ
من حُمَمِ اللّهيْبِ
وتدثرُ المقرورِ
بالرَّعدِ الرّغيدِ

وشرعتُ أبحثُ في عيونكِ
من بعيدٍ عن وطنِ
يشكو الأمانَ حكايةً
والخوفُ ينشرُ حوله
الرُّعبَ الكئيبَ قصيدةً
نظمتُ من البحرِ الدليلِ
نكرتهُ أنغامُ «الخليلِ»
بحرُ تموجُ بهِ دماءُ الرّمْلِ
صُفراً قانياتِ
يَهْبُ الأفاعي الحانياتِ
الشَّهْدَ كَأْساً من دَمَاهُ
يسقي رحيقُ السَّمِّ
مهجته حياهُ

* أستاذ النقد الأدبي كلية الآداب - جامعة الملك سعود.

قصيدتان

■ عبدالرحيم الخصار*

ينادونتي: يا أبي خائفون

ينادونتي...

ثم سيكون

يبكون

يبكون

والصبر يُمطرنِي حجراً حجراً

وهو الآن بعد الذي كَانَ

مالتَ له كِفَّةُ الرِّيحِ

فارتشفتَ الكوثرا

وأتاني يَرْصَعُ جبهته بالسماء

وينثرُ في واحة الكبر والخيلاءِ

الهوى دفترًا دفترًا

ويقولُ: العُلا عن يدي لا يميل

أنا المستحيل

فكن لي مُريدا

أَكُنْ لَكَ رزقا جَرَى

ويقولُ: احتواك الأسي والذهول

وأطفأ عينيك همَّ يطول

وبين يديك الهوَاءُ العليل

أمامك عمرُ الندى لا يزول

فلا تلزمِ الحَقَّ

فالحقُّ في زَبَدِ السيلِ نار

ولا تمسكِ الصبرَ

فالصبرُ بعد العطاء انتثار

ولا تحضنِ الحلمَ

فالحلمُ والصحو ضِدَّانِ حتى الفرار

يقول...

وقلبي تجولُ به صورٌ تتمزقُ

يطحنها حجرٌ سهمهُ البرق

في طُرقاتِ القبول!!

اختلاف

نعودُ بلا أغنياتٍ تطيرُ

إلى عرشِ أفرأحنا وتغني

لتسحبَ أقدامنا شجرَ الحُزنِ

فوق شظايا الحريرِ

لنا قمرٌ يستحمُّ بأوتاره الليلُ

والريحُ نافذةٌ

لا يبُحِرُ أنفاسها الظلُّ قبل العُبورِ

رحلنا وراءَ الشذى المُتدثرِ بالعُشبِ

والضوءُ يغشى الندى

نتدققُ في نهرِ المبتدا

يتخللنا شفقُ الحُبِّ مُحتملاً

إذ بهيمٌ.. نديمٌ تطلُّعنا

ربما يغرسُ القربَ فينا النسيمِ

ولا نمسكُ الفرحة الأزلية من عُنقِ الوقتِ

نسقطُ في مطرِ الصمتِ

فوق رمادِ النجومِ

بلا أغنياتٍ تطيرُ إلى عرشِ أفرأحنا

نتركُ السفنَ

الرحلةُ اختلفتُ

فالصحارى كتابُ الهموم!!

تحوُّر

كان مثلي حزيناً ومنكسراً

وأتاني يوماً بشكواه

أدْمَى فؤادي مَبْكاه حتى بللتُ الثرى

قال: أطفالِي الخائفون ينامون تحت

السماء بلا سُقْف

ويقومون، بالجُوعِ أقمارهم تختفي

وينادونتي: يا أبي جائفون

* شاعر من المغرب.



على وشك الاختباء.. !

■ عبدالله الزماي*

أنا لست أنت
..
..
أنا لست أنت
فهل أنت هذا الذي
يجد نحيوي كل صباح؟
يطيل التمتع في وجهي الغائم بالحزن
يحمل ذاكرتي بيديه
يحاول أن يؤثث يومي
بأغنية
لا تمر كعابرة تستطيب الحياة
ولا أنت ظلي
ولا أنت ذاك الذي
يتعاضم بالقرب مني
حين أكون وحيدا على ساحل الضوء
ألوح للعابرين القدامى
بنصف يد
وبقايا حنين
أنا لغة لا تجيد الخضوع لسيف الغزاة
تنتهي أن تنام على صهوة الشعر يوما
أو على صهوة الوهم..
واللحظة الخالدة!

* قاص وشاعر من السعودية.

من قصيدة (خفقات قلب)

■ دكتور عبدالرحيم مرشدة*

والصدر غصّ بدمعها المهرق
بين الضلوع وقودها أعراق
دنفرقيق القلب والأحداق
ومناقبي تحكى على العشاق
صلة الحبيب فيسريّ إعتاق
الشراك، كم عنّ للإطلاق
الهُوى يودي إلى الإرهاق
الآمال تحت سحائب الإشفاق
خرس الذهول، فهاته إنطاق
خفق الفؤاد وأيما إخفاق
رحل المنام وزارني إقلاقي
فتذيبني بحرارة وعناق
فتفتحت برحيقها الرقراق
قصائدي وعبيرها الدفّاق
لا كحلة المسكار في الأسواق
لا زينة المكياج والأعلاق
لغة العيون كضاية المشتاق
لرسمته من وحيك الخلاق

طال الضراق وذويت أحداقي
تمضي السنون وجمرها متوقد
يا بنت لو تعلمين فإنني
لو تسألين عن الهوى، صب أنا
قيد الحبيب فراقه، وصلاته
فحبيبك الطير الذي يشكو
لا تعجبي لشحوبه وأنينه مرض
فلكم يساهر ليله يستمطر
لا تحسبي صمتي إليك تجاهلا
مذ سحر عينيك انتشى وبخاطري
أذبول عينيك الذي أرى من أجله
أم رجفة الشفتين تسكب راحها
جوريتان بدت على شفتيك كيد
عيناك أغنيتي وألحاني ورجع
كحلاء مذ نسج الإله جفونها
في طبعها هذي الملاحظة كلها
فدعي الكلام... فإنها عيناك
لو كان يرسم للملاحظة وجهها

* شاعر من الأردن.

هواجس

■ جاك صبري شماس*



الصمت

جبال يرن صداها
وفي العمق يرتعش
الماء
تخضل أنسجة الرحم
وظلي فراغ

الزمن

أيها المتسكع في مدن
الحلم
ترقب ضوء الصباح
وتغفوا هناك

الصدق

افترقنا بعد ليل متخم بالكربات
ثم حل الليل..
عدنا والقناع السر
لم يخلع وجوده!!!!

كرة القدم

تطاردي فأحلم في طرائفها
تؤرقني..
فيهرب بوح أفراحي

القصيدة

مخاض في النخاع..
ورعشة في الطلق..
زغردة بأحشاء الحبيبة
عافر في الطلق..

* شاعر من سوريا.

قراءة في مجموعة هلال الحجري الشعرية «هذا الليل لي» كتابة الليل.. ليل الكتابة

■ إبراهيم الحجري*

فضّل الشاعر هلال الحجري من خلال مجموعته الشعرية «هذا الليل لي» أن يعزف حزنه شعراً ليلى، قبل أن يتكس نهار القصيدة في الطرقات، وقبل أن تفتنه لوعة الشروق؛ فطالما ظل الليل في القصيدة العربية مرادفاً للحزن والبوح والشكوى، وطالما بات الزمن المناسب لمقارعة الذات ومراجعتها وتطهيرها أيضاً، هذه المرة ليس مما علق بها من أدران الذات نفسها، بل مما علق بها من أوجاع الواقع المر والألم. يتلفت الشاعر يمينا ويسارا في هذا العالم القذر، فما يلقي سوى السراب، وينظر في أعماق الكلمة الشفافة فما يجد إلا الخراب، ويعود إلى نفسه فما يرى إلا الدمار، فيعكف على ليله الطويل الذي لا يشاركه فيه أحد، الليل الذي يحط بكله على كل شيء؛ فما تكاد ترى الأشياء إلا من خلال هذه العتمة الحالكة، لا أقصد هنا السواد الفيزيائي الذي تعودنا على رؤيته، بل أروم ما يتراءى في القصائد من حلقة مجازية تسيطر على الأنفس، وتغشى الأرواح، وتبث في الناس ذعرا غير مسبوق، هذا الليل الذي يصبح الطوطم اللعين الذي لا محيد للذات الشاعرة عن الركوع تحت أعتاب قدميه الموعلتين في العدم.

الليل بالتحديد؟ وهل هناك علاقة بين المحكي الشعري والمفترض الفكري لدى الشاعر، أم أن التمهصل حدث بالصدفة؟ وإذا كان الليل قد شكل ثيمة قديمة قدم الإنسان، تحضر دائما في الشعر بسلطتها العلوية القاهرة، لتدل على مأساة الإنسان نفسه وضآلته، فهل استطاع الشاعر هلال الحجري أن يحين الظاهرة الليلية ويمنحها أبعادا جديدة، تتزاح بها عن الاستعمال الشائع الذائع الصيت، أم أنه أسهم في

هذا الليل لي
ولن يشاركني فيه أحد
غير
هذا النسر الجريح
الذي
يخفق بجوانحه بين رثتي
من هنا تتناسل الأسئلة، حيث طغيان الليل بوصفه موضوعة تتيه فيها الذات، وتتسلطن فيها الأحزان: فعن أي ليل يتحدث النص الشعري الكبير؟ ولماذا

المجموعة.

وتمتد المجموعة على مساحة بياض تقدر بأربع وعشرين ومائة صفحة، يملؤها زهاء سبعة وأربعين نصا شعريا، يتراوح بين الطول والقصر، والكثافة والتفصيل، والغموض والوضوح، والرؤية والرؤية، وتستخدم هذه المتناقضات والمفارقات إلى درجة قد يتحول فيها النص أحيانا إلى إشراقات صوفية عسوية على القبض، وتتلاقح حيناً آخر الكائنات الشعورية والدلالية إلى حد يصبح معه التداخل ميسما رمزياً. لقد كان لليل الذي يحضر مشتبكا بمحملاته الرمزية والدلالية أثر مهم في بلورة قيم المنجز، وخلق موضوعاته التي تتعدد وتتصادى حتى داخل النص الواحد، ومع ذلك فهي كلها تجتمع داخل بؤرة واحدة هي بؤرة التصدع في الذات، وعدم الرضا عن الواقع الذي يرفل في خيبات ليل دامس طويل، أشبه ما يكون لليل النابغة الذبياني حينما قال:

كليني لهم يا أميمة ناصب

وليل أفاقيه بطيء الكواكب

تطاول حتى قليت غير منقض

وليس الذي يرمى النجوم بأنب

إن الليل بحجمه وأهواله، يصبح في اللغة المجازية ليلاً خاصاً بالشاعر يعنيه وحده، وهو بهذا المعنى يضحي هو الديوان نفسه، الديوان الذي يعصف بالشاعر، ويعكس حربه الموجعة مع هذا الليل الذي يصبح مذوتا بمنطق الشاعر، وأحلامه ومطامحه المرجأة، الليل طاحونة تغتال، في بهاء القصيدة، ورد الأحلام الجميلة وتحيلها كمشة أعواد وخطاماً. الليل الذي يتحداه الشاعر ويقف أمامه وجهاً لوجه، ليس سوى النار التي يصطلي بها الواقع العيني القاسي الذي لا يرحم حتى رهافة الكائن الشعري، ولأن الشاعر لا يلين لزوابع هاته القسوة، ولأنه ككل الشعراء الحقيقيين لا يهادن ربح الفساد في الأرض

تميط هذا التداول الدلالي لرمزية الليل؟ ذلك ما سنحاول مقارنته من خلال مشاكستنا لهذه النصوص.

يختار الشاعر لمجموعته عنونة فاتنة، تبئر الليل وتجعله أميراً وسيداً في مقولة العتبات النصية، ويجيء هذا العنوان مثيراً للتساؤلات التي تتثال على ذهن القارئ مثل الشؤبوب: أي علاقة تربط الشاعر بليله؟ وما طبيعة الليل الذي يسعى الشاعر لتملكه؟ وهل الليل بمجازيته الفارعة يأتي ليكرس عتمة في الذات تحيكها القصيدة، أم يأتي ليفضح عريا في الواقع يستضمره النص ضمناً؟ المهم أن العنوان بوصفه مقولة دلالية موازية يضعنا في سياق نفسي صعب، تفضحه الدلالات الرمزية المتعارفة في المتراكم النقدي العربي وسياقاته الثقافية، وسواء أكان النص مرتبطاً في وشائج متعلقة مع النص أم مستقلاً برمزياته، فهو لا بد أن يكرس سياقاً معنوياً ما يرد في النص بصيغة أو بأخرى. ولهذا الاختيار ما يبرره منطقياً، فعندما يسود الظلام العالم تبقى شمس القصيدة هي الملاذ، وهي الفيصل الذي يبيت في هجئة القيم المخلخلة لتوازن الكون.

وفي العتبة الثانية التي يمثلها غلاف المجموعة، نستشف غموض الرموز المخروطية والدائرية والحلزونية التي تؤثث فضاء اللوحة التي أبدعها الفنان التشكيلي موسى عمر، واللوحة في نهاية المطاف، هي قراءة معينة للنص الشعري الكبير الذي يلم شتات النصوص، ويوحد مفارقاتها؛ وهي تعكس الرؤيا المتعلقة بين الشعري والتشكيلي في أفق المتعاليات الجوهرية للإبداع الإنساني، الذي يهدف إلى أن يكون الإنسان فوق كل اعتبار. ومؤشرات هذه القيم - للأسف - تضيع في الواقع، كما تؤثر على ذلك النصوص الشعرية في عالم هذه

بوصفه رمزا له ما يبرره سوسيوثقافيا .

إن الحديث عن الليل في هذه التجربة يحيلنا بالضرورة على الحديث عن الزمن التراجيدي، فالليل يصاحبه انتهاء فجائعي للنهار، حيث تقبر الشمس وتنام لتترك العالم في جحيم الظلام، والليل وجه من أوجه الزمن المعبرة عن اليأس والفشل والاستسلام للأحلام، ومقارعة الهموم والأحزان. وكلما تكاثف الظلام كان الليل معادلا لصورة الأستار التي تحجب الرؤية، وتنطق

بخاصية الموت والعدم؛ لأن الظلام مقرون في الثقافة العربية بالموت والجهل والكفر، كما أن مفردة الظلام تؤكد - من جهتها - مدلول الحزن واليأس والخيبة. يكاد يكون الليل الزمن الذي يغطي مساحة مهمة في هذا المنجز الشعري، الزمن الذي لا يقاس بالساعات والأيام أو فعل التاريخ، بقدر ما يعدو إطارا دلاليا مرتبطا بالتحويلات القيمة والنفسية والمجتمعية. لقد طال ليل الشاعر نفسيا، وتناول أبعاد مما تصوره القارئ الذي تصيبه عدوى الليل، فينقبض نفسيا ويحس بالألم، ويتولد في النفس ما يشبه الحالة الماسوشية، التي تستلذ العذاب وتألّفه ليصير، مع المدة شهوة شاذة، تعلق بالذات وتكون ميسمها الخاص.

إن هروب الشاعر إلى الليل أو هروب الليل إليه، واختيار كليهما العزلة في الآخر والتوحد معه، ليس هروبا من الواقع والألم أو لوذا بغموضه تحت ذريعة التخفي، ولكنه اختلاء صوفي بالذات قصد مراجعتها ومحاسبتها، في مساحة نفسية لا يوفرها إلا ليل الشعر ذاته، وداخل متاهات النفس وعمتاتها يصبح الأدب نورا يضيء الذات ويرشد ضلالها اللحظي، فيتأتى للشاعر

فقد أسرج خيول قوافيه ليصارع كل طواحن هذا الليل الصديق. ولكي ينتصر على جبروت الزمن الليلي فقد لاذ بالكلام فرسا حرونا، واتكأ

على عصا الشعر السحرية، وصادق الليل الذاتي الذي تشقى فيه الأنا، وتتسريل بالخيبة على أمل أن تتعتق من رعونة المعاش، وتتسل من وحله العنيد الذي يكبل خطوها ويسد في وجهها الآفاق:

هذا الليل لي

بكل زفيره وحرمانه

بكل صلاته وتجديفه

هلم أيها الليل الجريح

لدي

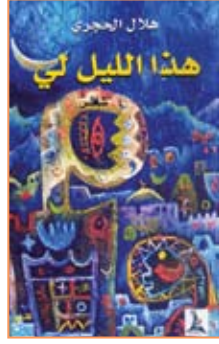
ما يؤويك هذا اليوم

غربة نزقة

وشفافة

كأول الخلق!

وإذا كان الليل يحضر بصفته وذاته ولفظه، وشحمه ولحمه أحيانا؛ فإنه في أحيان كثيرة يتحول إلى سياقات أخرى، ويحضر عبر مرايا عاكسة جديدة تعززها المترادفات والمتضادات والمفارقات والمشتقات والمعادلات.. وما أكثرها في النصوص الشعرية، حيث تتسع الحقول المعجمية والدلالية التي تحيل على لفظة الليل بوصفه زمنا، أو بوصفه أثرا نفسيا، أو خطابا مجازيا. إذ يحضر الليل كتجلٍّ، ويحضر كأفعال وظيفية من خلال تأثيره على الذات الشاعرة، ويحضر كسياقات ضمنية تستعرضها اللغة في قالب دلالي فكري. إننا هنا نميز بين كتابة تشتهي الليل مثل طقس لذيد وتذمّنه كشهادة ميلاد، وكتابة تتخذ موضوعه للمحكي الشعري، والأمران يحضران هنا لأن التجربة تعشق الليل وجعا سخيا؛ وفي الآن نفسه؛ تكتبه، وتعريه



فلتذهب أيها العملاق الأسود
كيف لجسدي الضئيل
أن يقاوم طغيانك؟!)

لقد جعل المنجز الشعري من الليل ليلاً، قضية،
الليل الشاسع الذي يمتص المتناقضات المختلفة
تحت إبطه الأسود المخيف، يتأبطها ويخيم على
العالم، الليل الذي له وجوه وجيوش وأفكار وملاحم،
الذي يصبح ذاتاً خارجة من الزمن والمكان، الليل
الذي يصنع أبطاله وكائناته التي يتبرأ منها الشاعر،
إذ يخاطبه الشاعر غاضباً:

إني تركتك

للجواسيس والمثقفين

للسماسة والعباد

لكل مصارعيك القدامى!

أما أنا سأذهب وأقبل

أول نجمة في قريتي

وأغفو

كطفل يتيم!

لقد صار الليل الذي لن ينجلي، على الأقل
نصياً، بحكم طوله وجبروت عتمته، صديقاً للذات،
تبادلته التقدير بقدر ما تناصبه العدا، لقد صارت
كل العذابات التي تنضوي تحت هذا الليل المعتم،
لذات، لقد صار الألم شهوة أبدية من نوع خاص لا
تعرفه سوى الذات الشاعرة:

أه ما ألد الألم

وسط زحام المرضى والمشوهين

ألم لذيد

يدغدغ عظامي كالكهرباء

يسافر

من الروح إلى العينين

مختزلاً كل لحظات الغربة والضياغ.

بل وتدغدو متابعة هذا الألم الذي آنسه الشاعر
ووجد فيه الملاذ ديدناً تتسلى به الذات وتقتشر به

أن يصغي إلى كونه الخاص الداخلي المضمم
بسياقات العالم السفلي، فالعزلة لا تعني التخفي
عن الحياة وعن العالم، بل إن الأشياء تتصاغر
وتتدنى حتى تصبح بعيدة تتيح إمكانية مراقبتها
من بعيد وتأملها، وذلك حينما فقد المجتمع كل
أهمية ومعنى، وانزلق إلى هوة العدم. هنا يعبر
الشاعر عتمة الذات وعمة العالم وسكونهما،
وقد انطفأت كل شعل الكون الجوانية والبرانية،
فيما يشبه النغور الباطني، باحثاً عن توحيد
قاس مع حمولاته الشعورية، حيث في الليل تتلع
الهموم عبر الذكرى، ويغدو الشاعر كائنًا خرافياً
هجاسياً يندفع بجرأة في سديم الأفق المبهمة،
محملاً بأفكاره الملعزة، خاضعاً لزمن لولبي
قاهر ينطلق من الذات ليعود إليها. تتعب الذات
من ذاتها فتهرب إلى الأنثى المتعددة، الأنثى التي
تشكل الملاذ والمأوى، نادلة كانت أو حبيبة:

النادلة

التي قلت لها ذات لييلة:

أشتهي أن أبكي بين نهديك

هجرت

المدينة ورحلت

والنجمة

التي أغرتني بأول الليل

انطفأت

في آخره!

وإذا كان الشاعر في كثير من المواقف
الشعورية أبان عن مقدرة كبيرة وعزم شديدين
على مقارعة الليل، وتحمل ثقله إلى درجة الوله
والعشق، فهو لم يخف في مواقف أخرى ابتهاله
لهذا الليل بأن يغادره ويرحمه:

سأنطفئ اللييلة

مبكراً

ما من شيء سيغريني

بمقارعة هذا الليل

وقتها البئس، لا بل تتخذة هما مقيما من أجله تعيش وتستمر. لقد ولد القهر في الذات حب تعذيب الأنا، والانتقام منها كنوع من رد الفعل تجاه رداء العالم وزمنه:

سأصحو الليلة

فقط

من أجل أن أتبع

مسيرة ألمي المراوغ

لن أتألم

ولن أبكي

بل سأعض على يأسِي.

تفاقم الزمن النصي في ذات الراوي الشعري إلى درجة أنه أصبح زمنا هيلوليا منفتحا على الآفاق اللانهائية للعدم. لا حدود له ولا مسافات، لذلك نلمح في النص ترددا كثيرا للأشياء الأولى التي تحيل على العالم الطبيعي الفطري بنقائه وطهارته، قبل أن يفسده البشر، (الخلق الأول- السفر الأول- الفتح الأول- القضية الأولى- الليل الأول- أول الليل- أول العاشقين- أول الحب- أول كأس). كما أن التجربة نفسها تحيل على الآتي اللامنتهي (الزمن الهلامي، القبلية الأخيرة- الزمن الذي لن يجيء- آخر رسول- الكأس الأخيرة...). هذا الاستدعاء للزمن المنفلت يجيء كوسيلة لتناسي هم الزمن الحالي الرديء. إنه نوع من الهروب المجازي من جحيم الواقع النصي المحيط، الذي تصوره بياس الذات الشعرية. فالنص كله شكوى وألم وضيق، وكتابة الشكوى هذه هي ملاذ الذات وفرصتها للخروج من عنق الزجاجة الذي ورطها فيه الواقع الضنك.

يتحول الليل عبر المنجز من زمن للكتابة إلى موضوعة. ومن موضوعة إلى رؤيا فكرية كونية، وقد استلهم الشاعر، من أجل تحقيق هذا التحول

في التجربة، مجموعة من الوسائل البلاغية والجمالية التي خصبت النصوص، وأثرت فساثلها الدلالية، ووضعت لها الأسس كي تتفجر بناها، وتمو العلائق بين مكوناتها وعناصرها. ومن هذه الأساليب التي توسلها الشاعر نذكر: التناص الذي حضر بكل عناصره: استدعاء العلم (الخيام- أبو نواس- مالك ابن فهم- إرم- خالد الجلنداني- لورد كرزن- ابن خلدون- المتبني- الماغوط- فرويد- فيروز- بلقيس- جيفارا- ياجوج وماجوج- المسيح...)- استدعاء التاريخ «الإحالة» (طروادة- الفينيقيين- الفجر- الفتح...)- الاقتباس من النص القرآني «يا بني اركب معنا»- الإحالة المكانية (الصحراء- عمان- الجبل الأخضر- إرم...). ونجد أيضا الانزياح بشتى أنواعه بلاغيا وبيانيا، وتزخر النصوص أيضا بإيقاع منسجم داخليا وخارجيا، لا تسهم فيه الرنات الصوتية فحسب، بل تعززه المقاطع الدلالية أيضا، هو إيقاع كلي ينسج بتواز مع النسيج التصويري العام للقصيدة، التي هي وحدة عضوية لا تقبل التقسيم. إن القصائد تمثل لوحات منسجمة تتداخل فيها كل المكونات وتتعاقد.

تتعدد الدلالات والدوال التي تسكب عبر المعطيات الشعرية والوجدانية التي يزخر بها الديوان الشعري، وتطفح فيه الإشراقات الشعرية الرائعة التي تتمظهر من حين لآخر، غير أن الليل والنهاية والقهر موضوعات طاغية بامتياز. وإذا كنا قد آثرنا المقاربة الموضوعاتية لهذه المجموعة؛ فإننا نؤكد تغوّل المنجز بالأشكال الجمالية والأسلوبية والبيانية، والتي تحتاج إلى دراسات أكاديمية رصينة تغازل بناء الثرة، وتقتمح طريقة نسج الصور الخلاقة، وهو غير ما تأتى لنا في هذه الشرفة الضيقة التي فتحناها في خيمة الديوان العظيمة.

* ناقد وروائي من المغرب.

النقد وتنقية الواقع الشعري العربي

■ حسين محي الدين سباهي*

إذا كان في عالم الشعر وقضاياها ثمة ما يحظى بإجماع، فهو القول إن المساحة التي يمثلها اليوم في اهتمام القراء، باتت أصغر بكثير من أن تقارن مع مكانته السابقة عندهم، والتي عاشت قروناً طويلة، وتدهورت فجأة خلال العقود القليلة الماضية. ولا بد هنا من تسليط الضوء على هذا التراجع، من خلال الأزمة الشعرية العميقة التي يواجهها الشعر العالمي المعاصر، عندها سنركز الضوء على حالنا مع الشعر العربي، والأوجه الخاصة به، التي تميز هذا التراجع في مكانته.

الشعر نخبوي بطبيعته، وفي كل العصور، أسلافهم شعراء السبعينيات والستينيات على أن طبيعة الشعر المعاصر قد زادت الهوة بين القصيدة والجمهور، بل بين ناقد الشعر والقارئ.. هذا إضافة إلى التحول الاجتماعي الجذري الذي شهده العالم في القرنين الأخيرين، وهو تحول مادي غير شعري، ولا باعث على الشعر والحقيقة أن شعراء الثمانينيات والتسعينيات وما بعد التسعينيات، أيضاً يشكون من غياب حركة نقدية قارئة لتجاربهم، بخلاف أسلافهم نخبوي بطبيعته، وفي كل العصور، أسلافهم شعراء السبعينيات والستينيات ولهذا يشعر كل واحد منهم أنه ليس يتيماً فقط، وإنما تائهاً!

ويمكن لأي متابع للمشهد الشعري العربي المعاصر، تأكيد هذا الكلام مع لفت النظر إلى عدد محدود جداً من المتابعات النقدية، لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة، دون الدخول في مدى فعاليتها. أقول هذا الأصل منه إلى أن النقد لا يقاس بوجوده أو عدمه، إنما بقدرته على الغوص



عميقاً - أفقياً
وعمودياً
- للوصول
إلى البنى
المنتجة لهذا
الأدب، لرسم
صورة الزمان
والمكان بما
يتيح إمكانية
لتجاوزه.

هذا الوجه
من النقد
الأدبي لا يلحن

بهذا الشكل بدلاً من الشكوى من غيابه.. إذ
الشعر - كما يقال- ليس وحده مهمشاً.. لكن
الأمر نفسه ينطبق على معظم أشكال الفن
الحديثة، من المسرح الجاد إلى الجاز..

على الرغم من هذه الخصوصية.. فقد
لامس قضايا مشتركة عالمية في أزمة الشعر
المعاصرة، ويتضح أن المشكلة مشكلة تلق، لا
مشكلة إنتاج، والحديث اليوم هو عن غزارة
فريدة في طباعة الدواوين ومجلات الشعر،
والنقد المطبوع الذي يعالج قضايا الشعر
المعاصرة يملأ صفحات الدوريات الأدبية
والجرائد اليومية الجامعية.. وإلى جانب أزمة
التلقي هناك أزمة النقد، ورطانتة الأكاديمية
وتحيزه أحياناً ضد الشعر، والذي لا أعتقد
أنه مجرد مصادفة. ومع تسليمنا بأهمية نقد
الشعر في حركة الشعر، فإن دور النقد ظل تابعاً
لشعر غالباً لا قائداً له، والنقد بصيرته الشعر،
لا العكس، ولا يمكن أن تلقى تبعة تردي الشعر

في الجامعات.. ولا يتم تعلمه عبر الكتب خلال
فترة محدودة، إنما تنتجه منظومة متكاملة من
الوعي ومناهج القراءة، يجري المران عليها
بدءاً من التربية المنزلية، وتتمى في كل تفصيل
حياتي لاحق، من المدرسة والجامعة والتلفزيون
والعلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية..
الخ. لهذا سيبقى النقد مجرد تجارب فردية
وأحادية الجانب.. وبعيداً عن الفعالية كمؤسسة
مكونة للوعي.

لنتذكر ما فعله نقد سارتر بجان جينيه، بكل
بساطه أوقفه عن الكتابة لست سنوات قبل أن
يصدر كتاباً جديداً.. لأنه كما يقول جينيه: جعله
يبدو مكشوفاً أمام القراء أكثر مما ينبغي، ما
دفع جينيه لإعادة بناء نفسه من جديد طيلة ست
سنوات قبل كتابة حرف واحد.

أعتقد أنه على الشعراء خصوصاً والأدباء
عموماً، أن يحسدوا أنفسهم لغياب نقد موضوعي

الشعري الحقيقي شيئاً مذكوراً فيما بقي منه اليوم؟ أم انه لا محل له منه إلا أن استجاب لمآربه الاستشهادية غير الشعرية في كثير من الأحوال؟

لقد تخلى النقد عن جديته في درس الشعر، بل جعلنا نستشعر رهاب بعض النقاد من صرامة العلم في مقارنة الأعمال الشعرية، بعد ما كان ذلك رهاباً مسوغاً لدى الشعراء وحدهم في جو ألف المجاملة والتسوية بين صالح وطالح في سوق الشعر، هذا إلى انصراف النقد إلى ما سهل، وراج من فنون النثر، التي أفضى النقد فيها «السرد» ضالته لمناقشة قضايا خارجية تمس المجتمع والثقافة على نحو مباشر ومكشوف.. حتى قامر القائلون بأن الرواية قد باتت «ديوان العرب المعاصر».

ومما تقدم لا بد من القول أن الجمهور العريض وجمهور المثقفين في آن، لم يعودا قادرين على التمييز بين الشعر وغيره.

ويبقى الشعر روح اللغة، ولا سيما لغة شعرية كالعربية، وفي انهياره مؤثر على انهيار اللغة.. ومن ينتمون إليها، فصعب جداً أن نتخيل كيف يعالج شعب ما صحة لغته ما دام متخلياً عن الشعر.. ومما لا شك فيه أن مآزق القصيدة العربية الحديثة يستدعي رؤى أصيلة ناضجة، تستمد جذورها من الشخصية الثقافية العربية المستقلة غير مستلبة إلى خارجها، ولا منغلقة على ذاتها.

إذاً على النقد، بل لقد تنبه العلماء والفلاسفة إلى أسبقية الشعر في كشف مغاليق رؤيوية ومعرفية، لا ينتظر في إنجازها نقداً ولا علماً، بل النقد والعلم هما اللذان ينتظران ذلك منه، وذلك ما عبر عنه (سيجموند فرويد) على سبيل المثال في مجال علم النفس، وابن سينا في كتابه «الشفاء» وأرسطو في جديياته مع أفلاطون عن أهمية الشعر، قياساً إلى المعرفة أو التاريخ، كما أن العرب قد عدوا الشاعر متنبئاً، إذ تخيلوا كلامه يأتيه من عالم غيبي، ربطوه بعالم الجن، وبقي هذا التصور في مآثورنا الشعبي، فمهما يكن من أمر فإن المراهنة على أن النقد هو الذي سينهض بالشعر.. يبدو من قبل وضع العربية أمام الحصان.

هذا لا يقلل من شأن النقد، بوصفه علماً، غير أن وظيفة النقد لم تعد توجيهية.. لكنها وظيفة المحلل الدارس، الراصد للظواهر، المستتبطن منها دروسها المعرفية والأدبية الجمّة.

كذلك لا بد لها هنا من التمييز بين مفهوم النقد المدرسي المخصص للطلبة وشداة الشعر والنقد العلمي، الذي قد يضيء للمتلقي دروب النصوص، غير أنه لا يضيء بالضرورة طريق شاعر حقيقي، بل هو الحري بأن يقتبس من إلهامات الشاعر ثم عن أي نقد نتحدث؟ وآي نقد يرجى أن ينقذ الشعر، وقد رفع بعض سدنته اليوم شعار «موت النقد» إلى جوار لافتة «موت الشعر»! وإذا افترض وجود النقد الشعري بمستوى ما، أما زال المنجز

* كاتب وناقد من سوريا.

وقوفاً حياً غابة ذات مساء متجمداً!

قصيدة للشاعر الأمريكي: روبرت فورست Robert Force

مع قراءة لها من قبل الناقد: Laurence Perrine

لورنس بيرراين

■ ترجمة: خلف سرحان القرشي*

من تكون هذه غابته؟	ولسان حالها،
أظن أنني أعرفه.	يقول:
هناك في القرية مسكنه.	(هل هناك من خطأ؟).
لذا أنا في مأمن من منظره،	وغير صوتها،
إذ أرقب الآن غابته.	ما هناك سوى...
وقد كساها الجليد.	صوت صفير الريح البطيئة،
مهرتي الصغيرة تظن أنه من الغريب	تعصف بالأوراق الرقيقة.
أن تكون لإنسان هنا وقفة،	حقاً... إن الغابات فاتنة،
بين الغابة والبحيرة المتجمدة،	لكنني وعدت أن أواصل المسيرة،
في أشد مساءات السنة عتمة،	فلدي التزامات وعهود،
من غير ما يكون له،	وورائي أميال وأميال قبل الركود،
بيت قريب في المزرعة.	وأمامي أميال وأميال قبل ذهابي عالم
إنها تقرع بجرس لجامها.	الخلود.

يقول (لويرنس بيرراين): Laurence Perrine: إن هناك أكثر من مقابلة تواجه القارئ في هذه القصيدة الغنائية لـ (فورست)، والتي هي بالتأكيد واحدة من أكثر قصائده إثارة للجدل، فللهولة الأولى، تبدو القصيدة وكأنها مجرد سرد بسيط يفتقد الجمالية لحدث عادي، قد يكتفي به بعض القراء ويمنحهم خبرة مباشرة قد لا تكون جديرة بالتذكر.

غير أن قراء آخرين يجدون فيها أكثر من ذلك، أكثر مما يوحي به ظاهرها، يجدون فيها معانٍ كثيرة تضمنتها هذه القصيدة. فلو فكرت لوهلة في الرموز التي استخدمها الشاعر، لوجدت شيئاً من ذلك، ترى ما الذي يرمز له مالك الغابة، الذي ذكر في القصيدة؟ قد يرمز للقرية وللحياة القروية، وقد يرمز للمسؤوليات الاجتماعية لحياة المدينة، مقارنة بعزلة ووحشة الغابات. المهرة أيضاً رمز يمثل نوعاً من الحياة، إنها لا تفهم، لماذا يتوقف إنسان عند جزء من الغابة ليراقب سقوط الثلج. وفي مقابل هذا، ثمة عالم المدينة الممثل بمالك الغابة، مقابل المهرة الصغيرة التي تمثل البهيمة وعالم الحيوان.

(الغابة. البرد، الظلام، البحيرة المتجمدة، الثلج المتساقط) مفردات تكون وتشكل الرمز الثالث الذي يلمح للجاذبية المؤثرة لكل عناصر الجمال. (الغابة ساحرة، قاتمة، عميقة)، تعبير قد يفسر منطقياً بجاذبية الجمال، ذلك الجمال الذي هو بالتأكيد أحد سمات المشهد. ولهذا فهو أحد معاني دلالات الرمز. ولكن هذا التفسير الإيضاحي يتميز بأنه لا يستهلك معناه ودلالته.

ثمة فهم آخر يتمثل في أن الرجل يشعر أنه مدعو من قبل هذه الغابات حتى يستسلم ويرتاح. بعض القراء يذهب إلى أبعد من ذلك. ويرون أن جاذبية الغابة تمثل رغبة، ومضة خاطفة، تسبق الموت.. وهي أشبه ما تكون بـ (رقصة البجعة الأخيرة).

في القصيدة.. تكمن عدة أشياء توحى بأن الرجل في نوع من الارتحال، ولكن (فورست) لا يخبرنا بتاتا أي نوع من الارتحال يعيش فيه ويزاوله هذا الرجل. لعله قصد بذلك أن يوحي إلى أي رحلة في الحياة. يقوم بها أي وكل شخص، وبذلك يترك المعنى على المستوى الأوسع.

نلاحظ في القصيدة توقف الرجل أثناء رحلته، مبهوراً بجزء من الغابة، توقف الرجل هنا. ربما يتماهى مع ما يعيشه من صراع ذهني.

وعد الرجل أن يواصل مسيرته حتى نهاية رحلته هذه. وفي هذا ملمح لكونه يريد أن يضع حداً لذلك الصراع. من خلال تنفيذ القرار الذي اتخذته.. وهو المواصل. لكن الملمح الأهم هنا. قد يكون في وعي الرجل وإدراكه للمسؤوليات الاجتماعية. فكرة كون الغابة (ساحرة. قاتمة، عميقة). تجعله يتوانى لبعض الوقت، ولكن قرار الرجل النهائي هو أن يتحرر من ذلك الشعور اللحظي. ويواصل رحلته، ويتمثل هذا في وعده الذي قطعه على نفسه.. وهو أن يواصل مسيرة رحلته، ويذهب ميلاً وأميالاً قبل أن ينام، ومن المؤكد أنه يشير هنا لنومته الأبدية.

* كاتب ومترجم من السعودية.

مفلح العدوان: الأسطورة جعلت للغة قيمة عليا في الكتابة والمنجز الكتابي لا يقابله حضور ابداعي متميز

■ حوار: محمد محمود البشتاوي



*أحاول الموازنة لتكون قصتي تحمل في داخلها إيقاعها
الذي يشد القارئ لها.*

*كل مشاريعي الكتابية تخدم بعضها بعضاً بتلقائية ويوعي أو
لا وعي، هناك مساحة في روعي الإبداعية للصورة وتداعياتها
وتجلياتها، فكانت إبداعاتي في الفوتوغراف، هناك تقصير من
جانب النقاد في متابعة الحالات الإبداعية ونقدها ومعاينتها.
اتحاد كتاب الانترنت العرب يشكل تكاملاً مع الاتحادات
العربية الأخرى.*

وصولاً إلى كتابة المكان وتوثيقه صحفياً،
فتحار من أين تبدأ؟
ضمن هذه البيئة الإبداعية المركبة،
كان مفلح العدوان، الأديب الأردني، معلماً
بارزاً، ولا يزال، إلى اليوم يقدم ما يُثري
الأدب العربي، في القصة والمسرح، وفن
التصوير.

ونظراً إلى مكانته المتقدمة أديباً،
ونشاطه الثقافي الممتد من الصحافة
المكتوبة إلى الرقمية، تُوجَّ مؤخراً ليكون
رئيس اتحاد كتاب الإنترنت العرب.

صدر للعدوان في القصة «الرحى»،
و«الدواج»، و«موت عزرائيل»، و«موت لا

دائم البحث في تفاصيل المكان؛ يسحبك
إلى عالمٍ خفيّ تكتشف فيه أن الصحراء
النائية في أقاصي البلاد، مخبوءةً بجمال
سحريٍّ أخاذ، فيما القرى تعلن عن وجهها
البيهيّ، المشرق بالأزهار والمعمار المتناسق،
فنكون أمام لوحة متكاملة الأبعاد.

تقرأه قاصاً ينهل الحكايات، وينحتها من
جسد الأسطورة، بعد أن تآثرت على يديه
شعراً، وتمازجت وتكاثفت، فكانت نسقاً
مغايراً عما هو سائد.

تتابع مشروعه الإبداعي، متعدد
الأطراف، من القصة، المرتكز الأول، إلى
فن التصوير الفوتوغرافي، إلى المسرح،

الواقع بل هي متورطة في هذه الحالة وتعتبر عنها ومن صلبها العميق.

● هل تخشى أن تتحول الأسطورة إلى قيد يحول دون خروجك من سجنه؟ لتتحول كتاباتك القصصية فيما بعد إلى نمطية وتكرار؟ أم أن الأسطورة هي مصدر تنهل منه كل ما يتعلق بالتراث الإنساني؟

■ المسألة لا تحتاج إلى وضع الحجة، أو عملية دفاع، أو محاولة اتقاء خطر أو شبهة تطرحها الكتابة في الأسطورة، لأنني في النهاية أنا لا أكتب بحثاً أنثروبولوجياً، ولا أوزع منشورا سياسياً.

أنا في الحقيقة أكتب إبداعاً، وبكل صدق الصورة التي يخرج بها، وهو مشرب بكل وعيي وتلقائيتي في



ذات الوقت،

وحين تتسلل

الأسطورة

إلى ما أكتب،

فهذا يأتي

لأنني أتعامل بصدق مع كتابتي، ولا أدعي، فتقائتي زاخرة بالجوانب الأسطورية التي اكتسبتها من قراءاتي، وبحثي، وزيارتي للأمكنة القديمة، وعملي في مناجم الفوسفات،

وارتحالي في الصحراء، وأيضا هذه

بمجملها جعلت لي عينا ترى الأشياء

بطريقة مختلفة، وأدنا مسكونة

بسكينة الأساطير القديمة، وصخبها

أحيانا، وذهنا تتشكل المقاربات فيه

لتعطي دلالات وفق خيال مختلف،

وموجه نحو أساطير بت مسكونا فيها؛ فصارت

لي فلسفتي في الواقع الذي أتعامل معه، حيث

أنني أراه يحمل في طياته أساطير موازية لتلك

أعرف شعائره؛ أما في المسرح: «ظلال القرى»، و«آدم وحيدا»، «عشيات حلم»، وفي تفاصيل الأمكنة أصدر «موسوعة القرية الأردنية/ بوح القرى/ الجزء الأول»، وله «عمان الذاكرة» وهي نصوص نشرية، إلى جانب المخطوطات، وهي «شجرة فوق رأس» (قصص)، و«موسوعة القرية الأردنية/ بوح القرى/ الجزء الثاني»، ومسرحية بلا عنوان، تتناول مدينة القدس المحتلة.

ومجلة «الجوبة»، إذ دخلت إلى عالم العدوان الفاضل بالإبداع، فهي تحاوره حول القصة، الأسطورة، ولغته التي تجانس بين القصة والشعر، إلى جانب محاور أخرى، فكان هذا الحوار..

● أرى أن الأسطورة وظفت قديما وحديثاً في الأدب العربي، فهل تعتقد أنها ما تزال صالحة لنسقطها أو لنجسد بها اللحظة الراهنة؟

■ تلك الأساطير التي نتعامل معها هي جزء من ثقافتنا التي تشكل البنية العقلية لنا، والأرضية الإبداعية لكثير مما ننجز في حقل الأدب، وهي محفز مهم وتلقائي للخيال؛ كما أنها تحتوي على موضوعات غاية في الأهمية، وما زالت تلامس الواقع الذي نعيش فيه، ونتعامل معه؛ ولذا فإن العودة إليها، ليست مسألة ترف ثقافي، ولا تقديس عقائدي لها، بل على العكس من

كل هذا، فهناك حالة جرأة على

الموروث وعملية هدم وتكسير

لكثير من تلك الرموز الأسطورية

التي أجبر عليها العقل البشري.

وهناك في المقابل أيضا إعادة

بناء لأساطير أخرى من الإبداع

والقصة والمسرح؛ فهي بحد ذاتها خلق لإبداع

جديد، رؤية أخرى للمحيط، وللجوهر، وبذلك

تصبح الأسطورة ليست خارج سياق الكتابة أو

علينا تشجيع أي

جهد ثقافي في

الوطن العربي



كما أن طبيعة قراءتي فيها تعظيم للقراءات الشعرية والفكرية، وهذه اللغة التي باتت تميز قصصي وكتاباتي تحاول الموازنة بين الموضوع والشكل، فالقالب له فنتته والموضوع له غوايته، وبين الاثنين أحاول الموازنة لتحمل قصتي في داخلها إيقاعها الذي يشد القارئ لها ولموضوعها وموسيقاها؛ في محاولة للبعد عن الرتابة، والدخول في تكوين الصور داخل أحداث القصة، وتشكيل الأمكنة، وترجمة حتى الرائحة والصوت واللون بلغة عالية المستوى، تتعامل مع الكلمة بقداسة.. فتمسقتها وتقدمها كما ترتيلة أو أغنية، ولكنها تبقى محافظة على خطها الدرامي، وسردها التلقائي.

● **ما الذي دفع القاص إلى حقول مختلفة من الإعداد البرامجي والمسرح، والكتابة الصحفية، والتصوير الفوتوغرافي؛ هل هو خوض التجربة لخلق مساحة تعبير أوسع.. أم أن هاجس الإبداع يشكل الدافع الأول لهذا التنوع؟**

■ أنا هو أنا في كل ما كتبت وأنجزت، ولذا فهناك قصيدة مترابطة في ما أبدع وأكتب، وهنا تخطيط أنا أفضده عندما أريد أن أكتب قصة أو مسرحية، أو أبتعد قليلاً نحو الإعداد للبرامج التلفزيونية، أو الكتابة في الأمكنة والتحقيقات الصحفية، وحتى عند تعاملي مع الصورة الفوتوغرافية.

أنا - في النهاية - أعبر عن ذاتي، وأخدم مشروعني الإبداعي الذي تتشكل بناء الحقيقة اتكاء على الفكرة والشكل والموضوع؛ وهنا حتى أخدم الفكرة.. أحاول أن أعبر عنها في القصة، ولكن أحياناً يكون الموضوع أعمق وله دلالات مختلفة ومتعددة، فأعمل بعد فترة على قصتي وأمسرحها وأضيف إليها شخصيات

القديمة، وإن اختلفت الأتعة والأشكال التي تظهر فيها، وواحدة منها صورة التكنولوجيا الحديثة التي تفوق عند تأملها ما كان من مبالغت في كثير من الأساطير القديمة، وكذلك الحال في الاتصالات والسينما والكومبيوتر والأسلحة المدمرة، ووسائل الرفاه.

لقد بتنا نعيش أساطير الثواب والعقاب، ونلمسها ونتعيش معها، ونحن على أرض الواقع ووسط مجتمعاتنا التي تحولت ذهنيتها الأسطورية القديمة إلى واقع أسطوري، تعيشه وهي متصالحة معه، ولكنها تجل من أن تضع له عنواناً أسطورياً، وكأنها تخاف من تلك الكلمة، أو باتت تشكل واحداً من التابوات الجديدة.

● **توقع لغة العدوان القصصية القارئ في حيرةٍ تتعلق بشاعريتها، وقدرتها على تكثيف النص؛ فهل هي عملية «تجانس» بين القصة القصيرة والشعر؟ أم محاولة من القاص للوقوف على تخوم الشعر؟**

■ إن طبيعة كتابتي التي تدخل فيها الأسطورة بشكل جذري وعميق جعلت للغة قيمة عليا في الكتابة التي أبداعها، وفي الأساطير القديمة يكون السرد متمازجا مع الشعر، طقوساً وشعائر وتراتيل وأغان، كلها يعبر عنها بلسان واحد يمزجها؛ فيخرج نمطاً كتابياً هو مزيج من كل تلك الفنون. وهنا في كتابتي، ربما باللاوعي تسلل هذا الأسلوب إلى لغتي وقصصي والمسرح الذي أكتبه.

● **كثيراً ما نقرأ جماليات المكان - في الأردن - من خلال تجوالك الدائم؛ فهل يمنحك هذا البحث والتجوال دافعاً لكتابة قصصية مغايرة؟ أم أن الأمر يقتصر على كتابة صحفية ضمن إطار مهني؟**

■ بالنسبة لي فإن كل مشاريعي الكتابية تخدم بعضها بعضاً بتلقائية وبوعي أو لا وعي، وعندما بدأت جولاتي في الأردن من أجل توثيق القرية الأردنية، وإعداد موسوعة القرية الأردنية، كنت مدركاً أن هذا المشروع سيثري كتابتي وتجربتي ومعرفتي بالأبعاد المكانية والنفسية والتاريخية والثقافية لتلك

البيوع التي أصلها، وسأكون شاهداً حاضراً على كثير من القصص والحكايات التي تنتظرنني، وتريد مني أن أدونها وأختار الشكل المناسب الذي أكتبها به؛ فكانت تجربة فريدة ما زلت أستفيد منها، وأكررها كل أسبوع، وأستخدم فيها كل خبرتي وتقنياتي في كتابة القصة، والحوار، والتصوير، والبحث، والتحقيق الصحفي، كلها تتضافر لتكون الكتابة حول تلك الأمكنة.

وهناك بعد آخر متعلق بالتاريخ الشفوي الذي هو مختبئ في قلوب الكبار، ويسكن أرواحهم، وهم حين يعبرون عنه، يفشون بأسرار تاريخية تريد إضافة إلى الباحث والجامع لها.. من له القدرة على صياغتها، بأرقى أساليب التعبير، وكتابتها بما يستوي مع قيمتها وثنائها.

● **بصفتك باحثاً مختصاً في المكان، كيف تقيم طقوس الاحتفاء السنوي بالمدن**

ووجوه وأحداث لتكتمل في تعبيرها، وفي تشكلها، وهنا أرتاح قليلاً؛ وتخرج تلك القصة من ذهني بعد أن أرققتي سنوات طويلة، وهذا ما حدث معي في قصة (ميشع لا يسجد للحبشة) التي مسرحتها بعد سنوات من كتابتها لتكون مسرحية (ظلال القرى)، وكذلك قصة أخرى اسمها (بعد الخلق.. قبل النزول)، التي مسرحتها على هيئة مونودراما عنوانها (آدم وحيدا)، وقصة (الخرابيش أولاً) هي مسرحية عشيات حلم.

وهكذا عندما أنتقل إلى الكتابة في المكان،

أنبش في أساطيره وماضيه، وألقي الضوء على حاضره، وأكتب قصته عبر كل الأزمنة. وهنا أنا أكتب القصة ولكن بنمط مختلف، وهي تخدم الهدف الذي وضعته لمشروعتي؛ وبطبيعة الحال، فإن كتاباتي الصحفية تدور في ذات الإطار، وبعد فترة لاحظت أن هناك مساحة في روحي الإبداعية للصورة وتداعياتها وتجلياتها،



فكانت إبداعاتي في الفوتوغراف الذي أحاول من خلاله أن أقرأ الواقع، والماضي.. ولكن بأدوات مختلفة، وعملت على المواءمة بين الكلمة والصورة فيما اصطلحت على تسميته بالنقش على صورة، وهذا فيه سرد مكثف لقصة الصورة التي ألتقطها، من وجهة نظري، وبالزاوية التي أراها فيها، وقد لاقت قبولا طيباً، وحقت ما أردته من عملية المزج بين الصورة والكلمة.

الثقافية في الأردن؟

وهذه الكثرة في المنجز الكتابي لا يقابله حضور لمنجز إبداعي متميز؛ لوجود كثيرين من المتطفلين على الحالة الثقافية وعلى الإبداع، ولسهولة عمليات النشر، بحيث صار من يملك دعماً مادياً، بإمكانه أن ينشر ويجند من يلمعه ويقدمه.. حتى وإن كان يشكل حالة ضحلة ورديئة بالنسبة لحالات أخرى متقدمة.. ولكنها لم تدخل في متاهات الفساد الثقافي والإبداعي، وهذه معضلة بالنسبة للإبداع والثقافة.

● **فزت مؤخراً برئاسة اتحاد الكتاب الإلكتروني العرب؛ فكيف تجد هذا التكليف؟ وهل ثمة رؤية لتفعيل التواصل مع الكتابة الرقمية في الثقافة العربية؟**

■ إن اتحاد كتاب الانترنت العرب يمثل حالة متقدمة على صعيد التخصص والتجديد بالنسبة للهيئات الثقافية العربية، وهذا تأتى له لتخصصه في الثقافة الرقمية، ولؤلؤجه مساراً له علاقة بالكتابة عبر الانترنت، والإبداع في البيئة الافتراضية، فهو يمثل حالة جديدة تشكل ظاهرة فيها استكمال لأدوار اتصالات الكتاب العربية الأخرى، ولكنها تختلف عنها بأنها متخصصة في الكتابة عبر الانترنت، والنشر الرقمي، والكتابة الرقمية الجديدة التي لا تعتمد على الكلمة فقط في التعبير عن ذاتها، بل تتضافر الحالة مع المكونات الأخرى من صورة وصوت ومؤثرات وتقنيات أخرى.

وأنا سعيد بتشريفي برئاسة هذا الاتحاد، وأمل أن نتقدم من خلاله.. وبجهود المبدعين والكتاب لخلق حالة ثقافة إبداعية عربية، تتماشى مع النقلة على مستوى كل مجالات الحياة والإبداع، والكتابة واحدة منها، وبجاجة إلى آليات وأدوات جديدة تعبر عن ذهنية جديدة في هذا الإطار.

■ أرى أنه في الوطن العربي أي جهد ثقافي علينا أن نشجعه وندفعه إلى الأمام، لأنه مضت سنوات طويلة من السبات على صعيد المشاريع الثقافية، وعلى صعيد الإبداع. وقد عانت المجتمعات العربية من هذا، وانعكس عليها جهلاً وفقراً وقلّة وعي؛ ولذا فإن فكرة الاحتفاء بمدينة في كل عام لتكون مدينة للثقافة، تعطي فرصة لأبناء تلك المدن، خاصة البعيدة عن العاصمة التي تتركز فيها الأنشطة الثقافية في العادة، وبذلك تتحقق فرصة وصول المسرح والسينما والقصة والكتاب والمبدعين لتلك الأمكنة، وتولد حالة تماس ربما تدفع بالوعي بالثقافة خطوة إلى الأمام في تلك الأماكن. وكذلك الحال بالنسبة لشارع الثقافة، فأن يكون هناك مكان له عنوان ثقافي شيء إيجابي، إنما هناك مسئولية ثقافية على المبدعين والمثقفين في أن يستثمروا هذه المناسبات وتلك الأمكنة لتحقيق حالة ثقافية، وبث الحياة فيها، وألا تبقى أماكن بلا روح إن لم يتم الاشتغال على شحنها بالعمل الثقافي والإبداع.

● **هل يعمل النقد على تكريس أسماء بعينها؟ وماذا تقول في غياب منجز نوعي في ظل زخم الإنتاج الأدبي؟**

■ هناك تقصير من جانب النقاد في متابعة الحالات الإبداعية ونقدها ومعاينتها، ولكن ربما كثرة الأعمال الإبداعية والكميات الكثيرة للأعمال المنشورة وتعددتها، جعل هناك صعوبة في متابعتها؛ وحتى يتم تصحيح الحالة، فهناك حاجة من الجامعات لأن تسهم في النقد، وكذلك الصحافة، والهيئات الثقافية المتخصصة.. حتى تسهم كلها في خلق حالة نقدية، وتقديم الإبداع بأبهى صورته.

الشاعرة ثريا العريض: وُلِدَتْ شاعرة، واحتفاءً النقاد بشعري تميّز أعتز به، وكون الإبداع صادر عن أنثى لا بد أن يتأثر بجنسها ليكون صادقا

■ حاورها: محمد نجيم



قد نستغني عن كلمات التقديم أمام الشاعرة الكبيرة للدكتورة ثريا العريض، يكفيننا ما قاله في حقها الشاعر والكتّاب السعودي د. غازي القصيبي الذي وصفها بـ «زرقاء الظهران»، ويكفيننا قول الشاعر اليمني الكبير الراحل عبدالله البردوني: «هي أشهر الشواعر المعاصرات»، كما عدّها الناقد المعروف محمد العباس: «صوتا أنثويا صافيا ضمن الخطاب النسوي في الخليج، ترسم علاقة المرأة العربية بالوطن المتناقض الوجوه».

وقد ظل شعوري بالأمان والثقة بالنفس مستمرا منذ ولادتي. لا أذكر متى بدأ وعيي بوالدي، ولكنني شديدة التعلق به. الكل يعرفه شاعرا وأديبا، ونحن نعرفه والدا حبيبا.. كانت علاقته بنا حميمة جدا، لم يكن يُفِرّق في معاملته للفتاة والفتى.. ولكنه كان يحتفي بالذكاء، ويشجع الموهبة بصرف النظر عن الجنس. علمنا حب الجمال وتذوقه في كل ما حولنا، وله الفضل الأول والأكبر في صنع مخيلتي الأدبية، حيث فتحت لي مكتبته بوابات الإطلاع على روائع الأدب العالمي الروائي، ودواوين الشعر

● أنت ابنة الشاعر البحريني الكبير المرحوم إبراهيم العريض، حدثينا عن ذكريات الطفولة مع هذا الشاعر الكبير الذي يعد واحداً من أهم رواد حركة الشعر العربي في المشرق، وأي تأثير لوالدك في صنع مخيلتك الشعرية؟

■ ولدت بعد ثلاث سنوات من وفاة شقيقتي هند، طفلة تحبو فكان استقبالها في العائلة ترحيبا وبتشوق، خاصة من والدي الذي كان متعلقا بي رغم أنني جئت الطفلة السادسة بين أخواتي.

بأكثر من لغة.

قرب إلا بكل محبة واحترام.

● هل نال والدك الشاعر إبراهيم العريض ما يستحق من تكريم يحفظ مكانته في تاريخ الشعر العربي؟

■ أتصور أنه حظي احتفاء عربيا وعالميا كبيرا. وقد عرف بين قمم المبدعين عربيا، إذ نشر قصائده في مجلة الرسالة المصرية، والأديب والآداب اللبنايتين، وكان ينظم الشعر بالعربية والإنجليزية والفارسية والهندية. ومثل البحرين في كثير من اللقاءات الأدبية العالمية وهو ما زال شابا يافعا؛ وحظي بتقدير وتكريم وأوشحة وأوسمة وميداليات من الحكومات والمؤسسات الأدبية والثقافية الرسمية والفردية. وقد فوجئت برسالة - ضمن الرسائل التي تبادلها مع الأديباء والمؤسسات

في عرض أقيم في بيت القرآن في البحرين من ضمنهم نازك الملائكة، وعبد الله الفيصل، والزمخشري، ونزار قباني وعشرات من قمم المبدعين العرب والأجانب - هذه الرسالة جاءت من المندوب السامي البريطاني في منطقة الخليج تفيد بترشيحه لجائزة نوبل في

الأدب، ولم أكن أعلم عنها من قبل، وعرضت بجانبها رسالة اعتذاره لكونه لا يرى نفسه مؤهلا لتلك الجائزة. هكذا كان الاحتفاء به، وهكذا كان تواضعه منذ البداية، فقد كان يرى نفسه مبدعا.. وليس استعراضيا لمؤهلاته.

● هل من نقاد تذكره لإنصافه وتعريف الجيل الجديد من الشعراء والدارسين بقيمته الفكرية والإبداعية؟

كما شجعني على الرسم، وعرفني على الأديباء والمفكرين البحرينيين والعرب، إذ كنا نلتقي بهم في زيارتهم لمنزلنا، أو عندما يصحبني في السفر إلى المتاحف، والمسارح، وعروض الأفلام المتميزة، بعد انتهاء دوام عمله في الشركة. ولم يصنع مخيلتي الشعرية فقط.. بل أسس بنائي الثقافي كله، وشعوري بخليجيتي وقوميتي وتوجهاتي السياسية.

قد أكون الوحيدة بين قريباتي التي تعرفت وهي طفلة على حكام المنطقة، وحاورها شخصيا وبكل حنان.. ومنهم الشيخ سلمان، والشيخ عيسى آل الخليفة.. والشيخ راشد آل مكتوم، والشيخ زايد آل نهيان، والشيخ سلطان آل ثاني، وكانوا يقدرون الوالد ويحترمون

رأيه ويستشيرونه.. وأذكر أن الشيخ راشد آل المكتوم طلب منه أن ينظم جولة تثقيفية لابنه الشيخ محمد أثناء زيارته لبريطانيا، فأخذنا معا في رحلة نهريّة عبر نهر التايمز، وشرح لنا معالم لندن التاريخية حتى وصلنا إلى أوكسفورد، وزرنا

الجامعة ومبانيها وحدائقها، ثم عدنا من هناك بالقطار إلى لندن. وقد ذكرني الشيخ محمد بن راشد بهذه التفاصيل عندما دعيت إلى دبي في مؤتمر الإعلام العربي مؤخرًا، وقلت له أن تلك الزيارة كانت عاملا مهما في صقل رؤيته لما تمنى أن تكون عليه دبي من التآلق الحضاري والثقافي، ونجاحه في تحويل تلك الرؤية إلى حقيقة ملموسة لاحقا. رحم الله الوالد فما يذكره أحد ممن عرفوه عن

كتعبير. كوني شاعرة بالسليقة لم يكن من صناعي، وإنما ولدت شاعرة منذ البدء، واحتفاءً بالنقاد والمتلقين بشعري تميزاً أعتز به جداً، ولكنني لا أرى نفسي مجرد امرأة تملك موهبة قول الشعر، والتعبير بأسلوب شاعري، وتستجدي فرصة للوقوف على أي منبر لتلقي شعرها إلى أي جمهور يسمعها، ولو بصورة



ترفيه يهرب به من الجفاف والسأم المحيط بنا.. أراني بالدرجة الأهم امرأة مثقفة إلى أعلى الدرجات، وليس بحمل الشهادة العليا، وإنما لمتابعتي الجادة مستجدات المجالات التي تهمني، وعلى رأسها علم النفس، وعلم الاجتماع، وتطوير دور المرأة في بناء المجتمع؛ ولذلك يجتمع الشعر والانفعال حين أعيش الضغوط التي تعانيها المرأة العربية والشرقية عموماً؛ فتعتبر قصائدي عن مشاعري الأنثوية، وحين يأتي انفعالي من جهة مواطنتي القومية.. تأتي قصائدي تفور بالحزن لما أعاشه من معاناتنا القومية.

● هل أنت مرتاحة لما كتبه كبار النقاد حول تجربتك الشعرية، وأذكر منهم على سبيل المثال الدكاترة والأساتذة: سعد البازغي، محمد العباس، محمد اليوسفي، عبدالله الغذامي، إبراهيم الحجري، معجب الزهراني، عبدالله المعقل، عبدالسلام المسدي؟

■ طبعاً يسرني أن يهتم النقاد بقصائدي، وأن يأتي ذلك بصورة إيجابية غالباً، ومن منطلق الاهتمام المهني التخصصي، وليس عبر معرفة شخصية بي تحدهم للكتابة عني.

■ أكثر مما أستطيع أن أحصي وأعدّ في هذه المساحة الصغيرة. وليس النقاد فقط من تناولوا أعماله الشعرية والنقدية ووضعوها في إطارها التاريخي عربياً وخليجياً، بل احتفت به المؤسسات الثقافية الكبرى.. فكان من أوائل الشعراء الذين كرمتهم

الدكتورة سعاد الصباح وسعود البابطين، وفي البحرين احتفلوا به رسمياً مرات عديدة، وأطلق اسمه على أحد شوارع المنامة، وحولت وزارة الإعلام منزلنا في الحورة إلى دارة العريض للشعر، حيث تقام فيه لقاءات شعرية وثقافية، يدعى إليها كبار المبدعين المتميزين، ويحضرها الجمهور بصورة مستمرة.

● أنت حاصلة على شهادات عليا في التخطيط التربوي والإدارة من جامعة عريقة بأميركا، لكنك تكتبين الشعر ولديك دواوين شعرية عديدة. أين تجدين نفسك، وهل تهربين من ضغط العمل والإدارة إلى واحة الشعر؟ وهل المرأة العربية بطبيعتها شاعرة تحن إلى الجمال والإبداع والخلق الذي يترجم رقتها، وربما تجد فيه متنفساً لما تتعرض له من قهر وظلم؟

■ لا أهرب إلى الشعر فالشعر جزء لا يتجزأ من كياني، وهو معي في موقعي وكل نفس. ولا أستطيع القول إن كل امرأة عربية شاعرة تحن إلى الإبداع، ولكنه عالم متسع يحوي من يحملن موهبة الشعر، ومن يتذوقنه، ومن لا يفهم فيه شيئاً ولا يرينه مهما لا كإبداع ولا

الذين ذكرتهم - ومن لم تذكر منهم تناولوا شعري بالدراسة - هم فعلا من خيرة النقاد في ساحتنا العربية، وإلى جانب ذلك هناك أكثر من أطروحة للدراسات العليا في الأدب تناولت جوانب من شعري بالتفصيل، تم اختياره كمحور لها بناء على اقتراح الباحث الدارس، أو الدكتور المشرف في جامعة سعودية أو مصرية أو أردنية، أو حتى بريطانية، لكونها تجربة غنية وتقدم الجديد.

على أنني أضيف أن سعادتي الصادقة باهتمام الباحثين والنقاد لا تجعلني أغير شيئا في علاقتي بالشعر، أو كيفية خروجه إلى النور.. لم أحاول قط استيلاء القصيدة قسريا، ولا تجميل ملامحها

إرضاء لأحد.. يظل الأمر عفويا وتلقائيا، ويعتمد على دافع الانفعال الذاتي، يأتي حين يشاء، وليس استجابة لدعاء الاستسقاء لدعوة من مهرجان في مناسبة بعينها، أو إرضاء لنظرية ناقد.

● **عدك الناقد محمد العباس «صوتا أنثويا صافيا ضمن الخطاب النسوي» هل أنت مع هذا التصنيف، وهل تصنيف إبداع المرأة الشعري» بكتابة نسوية «يحط من مكانتها أمام إبداع الرجل الذي يرى أن أدب المرأة أو إبداعها ضعيف؟**

■ الناقد محمد العباس متميز بين النقاد في الساحة الخليجية، وهو لا يلقي الأحكام جزافا، ولا يلجأ للتصنيفات دون مبررات حقيقية. أوافقه أن صوتي في الشعر صوت

أنثوي، وأجد أن ذلك هو ما يجب أن يكون حين الصوت يأتي طبيعيا متفقا مع تفاصيل الشاعر الواقعية. لست ضد مصطلح الشعر الأنثوي، ولا أجده متهما بالضعف، أو يحط مكانته مقارنة بإبداع الرجل. صحيح أن الإبداع إنساني بالدرجة الأولى، ولكنه أيضا بشري تؤثر فيه مواصفات المبدع البشرية، ومنها الجنس، وتفاصيل المحيط البشري والثقافي والطبيعي الذي يحيط بهذا المبدع. هناك جوانب مشتركة في الشعر لكونه إنسانيا، وجوانب خاصة تأتي من كونه بشريا أو فتويا، وكون الإبداع صادر عن امرأة لا بد ليكون صادق التعبير أن يتأثر بكونها أنثى، ولها في محيطها الخاص موقع ومعاناة ومشاعر،



وحتى لغة خاصة بها، وجوانب لا يتعرض لها أو يشاركها فيها الرجل في هذا المحيط نفسه.

● **شاركت في ملتقى الشاعرات العربيات بمهرجان سوسة، هل تتواصل الشاعرات المشرقيات مع الشاعرة المغربية، وهل تصلكم الدواوين الشعرية التي تصدر في بلاد المغرب العربي، أم أن هناك تقصيرا من جانب دور النشر وشركات التوزيع؟**

■ شاركت في ملتقى الشاعرات العربيات بمهرجان سوسة، وكان تجربة لها أكثر من وجه.. حيث سعدت بالتعرف على أصوات عربية أنثوية مميزة، ومن المشرق والمغرب، وعلى رأسها فدوى طوقان وزليخة أبو ريشة، ووفاء العمراني، كما قابلت النقاد والشعراء المغاربة من المغرب وتونس الذين حضروا الملتقى. بعدها لم يكن هناك تواصل إلا

ومنطقة الخليج العربي عموماً؟

■ الشعر سيظل دائماً موجوداً كاستعداد فطري طبيعي عند بعض الأفراد. قد يكون شعبياً.. وقد يكون فصيحاً، سيظل هناك من يولدون وهم يحملون هذا الاستعداد. اليوم أجد أن الشعر الشعبي اجتاحت الساحة العربية، وأصبح أحمد فؤاد نجم وشعبان عبدالرحيم أقرب إلى هموم الشارع وجمهور المتلقين من أدونيس ومن يقلده. وقد يكون السبب أن موجة التركيز على ضرورة التجديد في الأسلوب والصيغ الشعرية سممت العلاقة بين الشاعر الفصيح والمتلقي، في المجتمع الذي لا يهمله الشعر الغرائبي، بقدر ما يهمله أن يعبر الشعر ببلاغة عن همومه المشتركة أو هموم الشاعر الخاصة به، (وهذا هو سبب جماهيرية نزار قباني في بداياته مثلاً). النتيجة اليوم أن باب الشعر الفصيح استعصى على المتلقي العام، واقتصر على نخبة فئوية تكثفي بذاتها، ومن هنا تقاطر المتلقون إلى بوابة الشعر الشعبي التي لا تقصي أو ترفض أحداً.

● هل سيعود المنبر للشعر الفصيح؟

■ حين يعود الشعر إلى التعبير القابل للفهم والرمزية المشتركة الجذور، وربما يأتي ذلك حين تترك الإذاعات وبرامج التلفزيون البث باللهاجات المحلية، فيضطر المستمع إلى تذكر لغة القرآن لكي يتواصل مع كل البرامج، وليس مع نشرة الأخبار فقط.

● هل تراودك فكرة كتابة سيرة ذاتية لك تؤرخ لمسيرتك العلمية والإبداعية؟

■ حتى الآن لا. ولكن كتاباً سيصدر قريباً سيحتوي بعض ما كتب عن شعري من آراء ودراسات.

بالصدفة في مهرجانات مماثلة، ألبى دعوتها أحياناً حين أدعى إليها. أتصور أن الدواوين الشعرية والكتب النقدية متوافرة عن طريق معارض الكتاب التي تقام في القاهرة وبيروت والبحرين ومؤخراً في الرياض. وهل هناك تقصير.. لا أستطيع الجزم فمعظم الكتب التي أبحث عنها أجدتها دون صعوبة، وبعضها يأتيني هدية من المؤلفين أنفسهم أو من الأصدقاء.

● ما رأيك في وفرة الإصدارات الروائية السعودية التي تكتبها كاتبات شابات أذكر منهن رجاء الضايغ، صبا الحرز وأخريات. كيف تفسرين هذه الوفرة؟

■ ولم لا.. ما يحدث تطور طبيعي، وربما جاء متأخراً بعض الشيء نتيجة الضغوط المجتمعية في الفترة الأخيرة. طبيعي أن تشارك المرأة في كل جوانب الحياة ومنها الإبداع والجوانب الثقافية الأخرى. لقد نجحنا في نشر التعليم العام حتى فاق عدد الطالبات عدد الطلاب، وانتشرت التقنية الحديثة مثل التواصل عبر الإنترنت بآخر الإصدارات ودور النشر في العالم، وليس فقط العالم العربي. فلم الاستغراب أن تغتم الشابات المتعلمات الموهوبات هذه الفرص المتوافرة للتواصل ولنشر إبداعاتهن؟ وبما أن الرواية هي الفن التعبيري الذي اجتاحت الساحة العربية بعدما تسيد الساحة العالمية منذ منتصف القرن الماضي، فليس غريباً أن تبدأ فتياتنا الموهوبات بكتابة الرواية، وليس الشعر الذي يحتاج موهبة أخرى، أو القصة القصيرة التي تزحلق عن عرش الكتابة السردية.

● كيف ترين مستقبل الشعر في السعودية

الدرعان : الفنون التعبيرية تتجاوز كتوائهم في شجرة الإبداع، وقد شعرت بالاحباط والعار لانتمائي للوسط الثقافي يوما

■ حاوره محمود عبدالله الرمحي



قاص وشاعر سعودي متميز، مثقف متعدد المواهب..
نقلنا إلى طفولته الناضجة من خلال نصوصه المعبرة..
أقدم على حرق نصوصه الشعرية والقصصية الأولى، ليصدر
بعدها مجموعته القصصية الثانية (رائحة الطفولة)..
وهو الذي شق طريقه في مجال السرد القصصي بديلا
عن الشعر..

هدوء ما بعده هدوء.. واتزان يفوق التصور.. وعقل تصعب

قراءة أفكاره.. بحر عميق حاولت الغوص في أعماقه، لعلني أصل إلى صدقاته فأكشف بعض
أسراره وخباياه.. معه كان لنا هذا الحوار..

والمجلات التي كانت تصل تباعا، قضيت
وقتا أخضر، وكان يا للمفارقة الجميلة
شخص يدعى ((بندر السهيان)) - ما
يزال اسمه طريا كأعواد النعناع - يرتاد
المكتبة آنذاك، على الرغم من أنه لا
يحسن القراءة، ولكنه كان يدعوني لأقرأ
له بعض القصائد وحينما
تستحوذ على إعجابه قصيدة
ما، يطلب مني أن أكتبها له..
وكنت أشعر بالفخر وأنا أقوم
بتلك المهمة، فأدلل ذلك
الشيخ الذي أصبح فيما بعد
صديقا حميما، يرحمه الله.

**من البديهي أن
يتنقل المبدع
بين أغصان
شجرة الإبداع،
وليس العكس.**

أما عن الشق الثاني من السؤال.. فإن
الإنسان هو الأقرب لنفسه، سواء في
الشاعر الذي لم يعد كذلك إلا لماما..

● **بداية عبدالرحمن القاص أم الشاعر
أيهما أقرب إلى قلبك ومن أين كانت
البداية؟**

■ حين ألتف صوب البدايات، أكتشف أنني
كنت محظوظا، فقد كنت أرتاد مكتبة
الثقافة، بمعية عمي-
الذي كان يعمل أميناً لها
في أواخر الثمانينات،
والتي كانت نواة لمكتبة
دار الجوف الحالية -
وهناك وجدت فضاء
هائلا لم يتسن لي أن
أعثر عليه في الكتب

المدرسية آنذاك.. في تلك الممرات
الصغيرة المأهولة بالقصص والروايات
ودواوين الشعر، إضافة إلى الصحف



تلك المرحلة أن طالت الانقسامات الشارع الثقافي، وتحول كثير ممن كنت أعدمهم رموزا للثقافة والأدب إلى كتائب مأجورة، وطبالين، ودمى يقودها السياسي كقطعان ماشية؛ وكان ذلك بالنسبة لي صدمة، فضحت هشاشتهم، بقدر لم يكن مبررا ولا محتملا. حدث ذلك في الوقت الذي كنت غرا أحمل في داخلي أحلاما طوباوية، تهدمت قبيل أن تتشكل.. الأمر الذي أصبت معه بالخيبة والإحباط، والشعور بالعار من أن أنتمي إلى هذا الوسط.. أو إلى أي مجموعة فيما بعد. فلم يكن في مقدوري أن أفعل شيئا أكثر من اليأس والانكفاء، الذي لا أملك أن أترجمه إلا بحرق المجموعة، كطفل يفجر بالونه في حفلة عرس، احتجاجا! في الوقت الذي كان يقيني يتجه إلى العزوف عن إصدار أي عمل آخر، لكن المسألة لم تكن بهذه البساطة، إلى حد أنها تخضع لقرار شخصي.

● **قرأنا لك أشعارا عمودية وأخرى نثرية، ومقالات أدبية متنوعة في الصحف وعلى**

شبكة الانترنت، وقيل إنك ستصدر روايتك الأولى قريبا في أي منها يجد الدرعان نفسه؟

■ لدي يقين أن الفنون التعبيرية تتجاوز كتوائهم في شجرة الإبداع، ومن البديهي أن يتقل المبدع بين أغصان هذه الشجرة، وليس العكس..



أو في القاص الذي ما يزال يؤمن بأن كل نص جديد هو بداية؛ الإنسان بغيريته التي لم تتعرض لترويض الأنظمة المغلقة، أو تخدعه الشعارات؛ الإنسان الذي ينحاز دون أن يراوده أي شعور بالخجل إلى المهمشين والبسطاء والضائعين وشحاذي الطرقات.. الشخص الذي يللم شظاياها كلما أوغل الليل.. ويغني للحياة، والحب، والأشجار التي تتسامق وترفض أن تموت.. وحين يستبد به القنوط، يردد مقولة الشاعر العربي:

ليت الفتى حجر.. يا ليتني حجر

● **من يقابل الدرعان يجده قريبا بعيدا.. بحر عميق عميق.. فماذا يخبئ هذا البحر في صدقاته؟**

■ ترددت كثيرا إزاء هذا السؤال وأجلت الإجابة عنه، لأنني لا أعرف هذا الشخص الذي تتحدث عنه.. حقا كل ما أعرفه أن كل إنسان يضم في داخله مقدار ما يظهر عليه، أنا هو مزيج أنت وهو في آن واحد.

● **تحدث الكثيرون عن حرقك لقصائدك ومجموعتك القصصية الأولى (نصوص الطين)، لتصدر بعدها مجموعة (رائحة الطفولة). ما تفسيرك لذلك، وهل سببه تميز المجموعة الثانية عن الأولى أم ماذا؟**

■ أصدرت مجموعة نصوص الطين في وقت مبكر. وحدث أن تزامنت مع صدورها في التسعينيات

الميلادية انقسامات سياسية لا تمثل لها في الوطن العربي، جراء الغزو العراقي للكويت، ثم ما تلا ذلك من أحداث.. نذفت خلالها حصة هائلة من طاقتها في سبيل تكريس الضغينة.. وتفاقم حالة التشرذم.. ولكن أسوأ تداعيات

اللحظات الأخيرة. ولئلا أقول إنني أعرف أي مصير ينتظرها فإن مسألة العزوف عن طباعتها تلح عليّ بمرور الوقت أكثر مما يلح عليّ نشرها، وهناك أكثر من مشروع أعمل عليه الآن.

● **لم يطبع الدرعان سوى مجموعتي (نصوص الطين) و(رائحة الطفولة) ولم يصدر أي ديوان شعر أو أي عمل أدبي آخر رغم غزارة إنتاجه فلم هذا التوقف أو الانقطاع؟**

■ أتردد كثيرا بل لم أفكر على الإطلاق بجمع النصوص الشعرية التي كتبها في فترات متباعدة، وفي لحظات لا أعرف لماذا كانت

القصيدة هي الأكثر تعبيرا، بيد إن مجمل النصوص لا تمثل بالنسبة لي كما أسلفت تجربة يمكن أن أقدمها للقارئ. أعتقد أن علاقتي بالشعر علاقة خاصة وحميمية، لكن معظم النصوص فيما عدا ما غامرت مبكرا بنشره في بعض الصحف تسرب بشكل ما - كما ذكرت قبل قليل - ونشر في بعض الصحف أو المواقع الإلكترونية. وهو ما جعل بعض القراء يتوهم أن لدي نتاجا شعريا يستحق النشر. الوقوف على المشهد الشعري الهائل على مدى التاريخ العربي بحد ذاته يضاعف حالة الحذر من خوض المغامرة

أكثر مما يغري بمحاكاة التجارب أو استساخها كما يحدث الآن، إلا إذا استثنينا بعض الشعراء العظام، الذين ما زالوا يقدمون النص المتجاوز، ويضخون أكسير الحياة في روح القصيدة العربية.

● **ما تقييم الدرعان للحركة الأدبية**

بالنسبة لي.. ربما كتبت الشعر في مرحلة مبكرة من عمري بسبب ولعي بالقصيدة آنذاك.. كانت موسيقى القصيدة تحديدا تضعني في حديقة الدهشة، وكنت أتساءل إن كان يمكن أن يسود هذا الشكل الساحر من التعبير بدلا من الكلمات المكررة، وفي مرحلة لاحقة اكتشفت أن في داخل هذا اللون ثمة تكرار أيضا، بعد أن حاولت خوض التجربة، لكنني لست شاعرا.. وليست تلك النصوص الشعرية التي يمكن عرضها - بوصفها تمثل تجربة - مكتملة ومحددة الملامح.. الحالة الشعرية حينما تعتريني - ويحدث هذا

في أحيان معينة وبشكل غير مرتب - أستجيب لها بشكل تلقائي، بيد إنني لم أكن إلا نادرا تواقا أن أنشرها إلا للخاصة والأصدقاء، الذين كانوا غالباً يقومون بتسريبها خلسة، بشكل أو بآخر، هنا وهناك.

طبعت مجموعتين قصصيتين ولدي بعض الأعمال المؤجلة، ومن بينها رواية أنهيت كتابتها مطلع عام ٢٠٠٢م، إلا أنني لم أطبعها بعد. ربما وانتني في بعض الأحيان فكرة القيام بطباعتها ولكنني أحجم في

الحركة الثقافية في المملكة عموماً ما زالت تعاني من الانقسام والركود، على الرغم من المحاولات الجادة التي تتصدي لها المؤسسات الثقافية بشتى أشكالها.

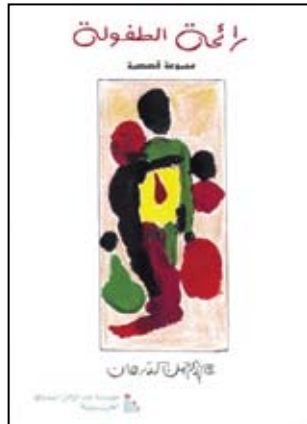
أجمل ما في الكتابة أنها مخاتلة كوصلة الرعد التي قد تدهمك في أية لحظة، وفي أي مكان بيد أن أفضل أوقاتها ساعات الليل.





وربطها بثقافات المناطق الأخرى وتراثها، في رأيك، ما مدى قيامها بهذا الدور المنوط بها؟ وهل حققت الهدف من تأسيسها؟

■ إشكالية الأندية الأدبية أنها تتجه كثيرا إلى استساخ نشاطاتها من بعضها بعضا، لكن هذا الحكم ليس تعميما على كل الأندية، فهناك تفاوت كبير بين هذه الأندية، يتعدى معه أن تضعها في سلة واحدة. وللإنصاف، دعني أعترف أن تجربة نادي المنطقة الشرقية مثلا مثيرة ومتميزة، ومواكبة لتطلعات المثقفين إلى حد بعيد في العهد الجديد للوزارة، أعني بعد انتقال الأندية إلى عهدتها. هناك أيضا نادي حائل الذي كان لافتا حقا، واستطاع أن يثب وثبات فوق التوقعات خارج شروط المدن المركزية؛ بيد أن تحقيق الأهداف يبقى أمرا متعذرا، فأهداف المؤسسة الثقافية ليست جامدة.. وإنما متحوّلة، لكن نجاح النادي مرهون بملاحقة هذه التحولات ومواكبتها بالشكل المتناغم مع حركة المجتمع عموما.



والثقافية في منطقة الجوف خاصة وفي مناطق المملكة عامة؟

■ لست مؤهلا لتقييم الحركة الثقافية على الإطلاق، وإذا كان لا بد من ذلك فإنني أقول بمنتهى الصراحة: إن قراءة سريعة للأنشطة الإنسانية في كل مناحي الحياة، هي المرأة التي أعتقد أنها تعبر بشكل مباشر عن الحياة الثقافية في داخل أي مجتمع، وليس بعملية إحصائية لعدد الشعراء والكتاب والمثقفين والأكاديميين؛ وبهذا المعنى، فإن الحركة الثقافية في المملكة عموما ما زالت تعاني من الانقصام والركود، على الرغم من المحاولات الجادة التي تتصدى لها المؤسسات الثقافية بشتى أشكالها. أقول هذا وأنا أضع في الاعتبار أن الرياض احتفلت عام ٢٠٠٠م باختيارها عاصمة للثقافة العربية.. تأمل معي كيف تمارس الوصاية على المؤسسات الثقافية في عاصمة ثقافية عام ٢٠٠٨م مثلا؟!

● ما أفضل أوقات الكتابة لديك؟

■ ليس للكتابة مواعيد مسبقة، فأجمل ما في الكتابة أنها مخاتلة، كوصلة الرعد التي قد تدهمك في أية لحظة، وفي أي مكان؛ بيد إن أفضل الأوقات التي أكون في ضيافتها هي ساعات الليل، حين ألوذ بمكتبتي.. فلا أحد يقاطعي أو يبدد أفكاري.. أقرأ أو أكتب.. ثم أقرأ حتى مطلع الفجر، أقرأ إلى الحد الذي معه أنسى الكتابة.

● تعد الأندية الأدبية الواجهات الثقافية لمناطقها.. وجدت لإثراء ثقافتها وتراثها

البعد السوسولوجي للعولمة الثقافية

■ محمد علي قدس



ونحن نجمع أوراقنا، ونقلب ملفاتنا، نقف في حيرة نتأمل كل شيء، وتساورنا الشكوك في أفكارنا ومشاريعنا، وتأخذنا تأويلاتنا بعد تخيلاتنا، نحو خيال بعيد. ونصطمم بواقع ما وصلت إليه رموزنا الثقافية، في تهاويها وسقوطها في أخطاء، وكأننا نتألم، وقد خاب أملنا في تلك النخب، التي وثقنا في تفكيرها وأماننا بقدرتها على أن تصنع لنا نموذجاً ثقافياً راقياً، نعتمد ونعول عليه في حوارنا وتعاطينا لمنجزات العولمة الثقافية؛ ولكن يبدو أنها فقدت البوصلة.. ونحن - بدورنا - افتقدنا الهوية والمثال، وقد شغلتنا النخب بأسئلة تركت معلقة، لا نجد لها أجوبة محددة، رغم أننا اجتهدنا وحاولنا في حوارات وجدالات مستميتة. بحثنا خلالها عن المعنى الحقيقي للثقافة، واقتضينا أثر تلك البصمة الغائبة للمثقف، ودور المثقف في مجتمعاتنا!!

فهل أغرقنا أنفسنا في المفاهيم في استعدادنا وتأقلمنا مع تطورات العميقة لعولمة الثقافة ومataهاها؟ أم العالم الجديد، وأخذ منا ذلك الكثير من بالغنا في تعاطينا وتعاملنا مع المد التضحيات!! في وقت كنا مطالبين فيه المعلوماتي الجراف؟ كمثقفين وإعلاميين ومفكرين للتعامل مع النظام العالمي الجديد، والعولمة الثقافية لقد وقفنا مع العالم في مواجهة كل التحديات الكبيرة والخطيرة، منذ الجامعة، دون تردد أو تشكيك؛ فاندفعنا مطلع هذا القرن، وأخذنا وقتاً وجهداً ونحن متأثرون بكل الإغراءات، ونسينا

لا بد أن نجد في ذلك الإنسان الذي ألبسناه ثوب الثقافة، ما يميزه من صفات تعد من خصوصيات تركيبته الاجتماعية السلوكية والأخلاقية المثلى، أما الأشخاص الذين ليسوا مؤهلين بالقدر نفسه، بهذه الكيفية، غالباً ما يعدون، طبقاً لهذا المفهوم، غير مثقفين.

وعلى الرغم من تحفظنا واختلافنا على بعض النقاط في هذه الرؤية -وهي جديرة بالبحث والتحصيص - وما يمكن أن نتفق عليه من زاوية أخرى، أنه ليس في مقدورنا أن نضع معايير العلم والثقافة في مكيال واحد، مع إيماننا بأهمية توصيف عمليتي التعليم والثقيف؛ وهو ما دعا البعض لكي يصنف المبدعين والصحفيين ليكونوا في مستوى ثقافي واحد، لأنهم من وجهة نظر خاصة، فئة آثرت أن تقتات ذهنياً من كتاباتها وإبداعاتها، بجهد عصامي ذاتي التلقي؛ بمعنى أن المثقف النموذج، هو الإنسان الذي وصلت به ثقافته.. وثقافته وحدها إلى أن يتبنى المعايير الأخلاقية السامية، وما يستعصى على طاقة الفرد العادي، شريطة أن تكون له رؤية فكرية غير عادية وأن تكون موافقه الأخلاقية والفكرية نبراساً يسير وفق منهجه السليم كل طالب علم وثقافة، فالمثقف - من وجهة النظر هذه - فرد عادي، ذو ثقافة غير عادية، وهي تتطابق بشكل أو بآخر مع وجهة النظر الفلسفية

أنه كان يفترض أن نكون حذرين ومنتقنين بشكل جيد، ما يتناسب مع قناعاتنا ومعتقداتنا وخصوصياتنا. فهل كنا حقاً غير حياديين في اختياراتنا؟ ولماذا لم نفكر ملياً في انتماءاتنا؟ أم أن انفتاحنا على ثقافة الآخر لم نقدر له بشكل دقيق وكيفية مستشفة من الواقع؟ ومراعاة ظروف مجتمعنا وواقعه وخصوصية البيئة الاجتماعية لشعوبنا؟ ونحن نعلم أن المثقف قبل أن يكون مثقفاً، بل ومن خلال هويته الثقافية، له دوره الاجتماعي والإنساني.

في بحث يعكس رؤية جديدة ومختلفة، يرى أحد نقاد الفلسفة، أن التعريف الاجتماعي (السوسيولوجي) للثقافة، يعد أكثر شمولية من معنى تلك الكلمة المستهلكة، والتي تستخدم بصورة متلازمة مع الكثير من المصطلحات والمفردات اللفظية؛ مثال ذلك: الغزو الثقافي، والمشهد الثقافي، والخصوصية الثقافية، والخلفية الثقافية، وغيرها؛ لذلك نجد أن الثقافة هي المعيار الحقيقي لكفاءة الأفراد في تخصصاتهم العلمية، ومؤهلاتهم الإبداعية، أو تحصيلهم المعرفي. فالمثقف كما يتفق الكثير من الفلاسفة في نظرياتهم، هو الشخص الذي استطاع أن يصل إلى درجة التمكن والاحتراف في مجالات المعرفة المختلفة والإبداع، الفنون والموسيقى والأدب، وهذا لا يكفي؛ إذ

التي أشرنا إليها، والتي تشير إلى أن المفهوم الشامل للثقافة يتم تعريفه اجتماعياً.

وإذا أردنا أن نحدد مقياس الوعي الذي يتمتع به كل مجتمع، نجد أنه يتحدد من خلال مستوى ذلك الوعي، وماهية (متكيفاته) على حد تعبير الفلاسفة، باعتبار أن لكل مجتمع ثقافته الخاصة، والفئة المعنية بالثقافة، والتي يطلق عليها (النخبة)، يعدون الوعاء لثقافة المجتمع.

الثقافة حسب رأي أحد الفلاسفة الاجتماعيين، تقوم بتنظيم الحاجات الأولية لأفراد المجتمع، وتشكل الوعي العام والأساس له، وما أسماه الفيلسوف الباحث (احتياجات)، إنما هو معطيات لحاجات المجتمع في إنتاج روافد ثقافته وإبداعها؛ فالمجتمع بحاجة إلى الأفكار والرؤى والآراء والخطط، مع الأخذ بمؤثرات العادات والتقاليد وأنماط السلوك، واللغة بمصطلحاتها ومفرداتها- التي يتحدث الناس بها ويكتبون ويفهمون- وأنواع الطعام والملابس والطرز المعمارية والأنساق الاجتماعية. وتعمل الثقافة على تنظيم المعطيات وصياغة نمطها الهرموني المتناغم والمتناسق. ويأتي الاختلاف الثقافي تبعاً للاختلافات الجغرافية والبيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. إلا أننا لا بد أن ندرك أن هذا التوحد أو التميز الذي تفرضه الظروف والبيئات على ثقافة كل مجتمع ووعيه، لا يعني بالضرورة تناسخ

ثقافة الأفراد أو تشابه وعيهم بهيمنة فكرة ما، أو رأي واحد، وإلا.. لما كان هناك حوار تتلاقى فيه الأفكار، وتتناهى الرؤى في سيمفونية هرمونية تشكل الوعي، أو الوعاء الثقافي الذي يكون ثقافة المجتمع. ومن هنا، كان علينا أن ندرك استحالة شيوع الثقافة الواحدة في العالم.

من خلال هذا المفهوم، ووفقاً لبعده المعرفي للثقافة؛ فإن المثقفين هم الذين يحملون في أعماقهم كل متناقضات مجتمعهم، وسلبياته، وضعفه، وعيوبه، ونبض توهجاته وانطفاءاته؛ وهم المسؤولون عن التوازن المفترض في الأخذ بنمط العولمة الثقافية، والانفتاح غير المقنن مع الآخر؛ وهذا ما يقودنا لتوقع حدوث أزمة ثقافية عالمية شبيهة بالأزمة الاقتصادية الرأسمالية الراهنة.

تحضرنى الآن.. مقولة لجان جاك روسو مفادها، أنه «إذا كانت الحضارة هي المظهر المادي للثقافة، لأنها تترجم الثقافة إلى ألوان مختلفة من الإبداع في الفكر الإنساني؛ فإن هذه الآداب والفنون تدل على أن الثقافة تبقى في كل أمة رمزاً لتراث يخصها على مدى تاريخها، ويخلد هذا التاريخ، صانعوها ومحركو ديناميكيتها، الذين هم مثقفوها الحقيقيون؛ وهم أيضاً القادرون على إسقاطها وطمس معالمها، إن أرادوا.

* كاتب من السعودية.

الأعمال الأدبية بين الترجمة والتعريب

■ محمود عبدالحافظ خلف الله



يجمع الباحثون بوجود علاقة بين النهضة العلمية والأدبية وبين الترجمة. والتاريخ أثبت ذلك دون أن يدع مجالاً للشك؛ فحلقة الوصل التي ربطت بين النهضة العربية الإسلامية، والنهضة الأوروبية هي الترجمة. لقد أعطى علماء الإسلام العلم الأوربي قوة دفع هائلة. والمؤكد أيضاً أن العلم العربي قد اكتسب مادة أدت إلى ثرائه بدرجة لا نظير لها.. بفضل التعريب

والترجمات عن الإغريق والفرس والرومان؛ الذي بدوره قد ترتب عليه إنتاج علمي هائل حققوه بأنفسهم لأول مرة في تاريخ الإنسانية، وكان يحمل ذاتيتهم المستقلة وطابعهم الخاص.

هذا المجال ركزت على علم الترجمة نفسه، ولم تركز على خصائص المترجم - على الأقل - بالقدر الذي يصلح السكوت بعده؛ ما ترتبت عليه مشكلات جمة يصعب حصرها عَرَضاً؛ لأنها تحتاج إلى دراسة خاصة، إلا أن الأستاذ العقاد في كتابه «أشتات مجتمعات بين اللغة والأدب» حصر هذه القضية في رؤية - أراها جامعة مانعة - مؤداها: أن الترجمات الهزيلة أو المضللة - كما يراها - ناتجة عن كون المترجم طفيلياً على اللغة التي ينقل منها، واللغة التي ينقل إليها. فليس العجز

ويقودنا ذلك إلى التسليم بأنه من غير المعقول أن تحقق الترجمة أهدافها، وبمعنى آخر أن يكون هناك ترجمات دقيقة تحقق النهضة سالفة الذكر، دون وجود مترجمين أكفيا قد صنعوا ذلك.

فقد ذكر محمد عناني في كتابه «فن الترجمة» أن الترجمة من الفنون، وليست مجرد علم من العلوم، فهي في رأيه تتطلب الموهبة إلى جانب المهارة والإبداع⁽¹⁾.

وربما، نظراً لأن مهارة المترجم شيء لا يقبل النقاش؛ فإن معظم الكتابات في

ترجمتها ثانية إلى لغتها الأصلية.

فأهم هذه الإشكاليات التي يقع فيها بعض المترجمين - ولا سيما في ترجمة الأعمال الأدبية- عدم الفصل بين مصطلحي الترجمة والتعريب.. وما يترتب عليهما من تبعيات وشروط ومهارات.. وخصائص يلتزم بها المترجم.

وقد أرجع بعض الباحثين هذا الخلط إلى الفروق الطفيفة التي صاحبت تطور علم الترجمة على مر العصور؛ فقد عرّف سيبويه التعريب على أنه نقل اللفظ الأعجمي إلى العربية، ويتم استعماله كما هو دون تغيير. أما الجوهري، فيرى أن التعريب هو نقل اللفظ الأعجمي إلى العربية شريطة صياغته على أوزان وأبنية وقياسات العربية⁽³⁾.

ويستخلص مما سبق، أن سيبويه لا يشترط في تعريب الكلمة أن تخضع للأوزان العربية، إلا أنه لم ير بأساً من أن تتخذ الكلمة حروفاً غير حروفها. وسار على نهجه كثير من العلماء لفترات زمنية متباعدة. ولكن الجوهري يخالفه في ذلك، ويشترط أن تحيى الكلمة المعربة على وزن الكلمة العربية، وتبعه في ذلك كثير من علماء النحو.

وبذا، فإن التعريب يشمل الترجمة؛ لأن الثانية تعني نقل معاني الألفاظ والأساليب من لغة إلى أخرى؛ أي أنها عملية تحويل النص في إحدى اللغات إلى إنتاج لغوي في لغة أخرى، مع المحافظة على المعاني الثابتة؛ وعليه، فإنه إذا كان التعريب ينصرف إلى اللفظ، فإن الترجمة تنصرف إلى المعنى⁽⁴⁾.

وقد أكد محمد المنجي على تطور دلالة هذين اللفظين بقوله: لقد أُستُخدم مصطلح التعريب مرادفاً للترجمة في العصر العباسي، إلا أن بعض المعاصرين قد توسعوا في فهم مدلول التعريب، وأضافوا إليه بعض الملامح الدلالية؛ فحركة

في ألفاظ العربية في وصف المعاني والأفكار والأحاسيس في اللغة الأجنبية؛ إنما العجز في المترجم نفسه الذي لا يستطيع أن يعبر عنها بأي لغة من اللغات.. أجنبية كانت أم وطنية، ولا يستطيع من فهمها، فوق ما يستطيعه القارئ الشرقي أو الغربي، وهو يتصفح عملاً أدبياً⁽³⁾.

وما يزيد القضية تعقيداً أن الترجمة تكون هزيلة في المجتمعات التي هي في أمس الحاجة إليها، على عكس المجتمعات المتقدمة التي يحسب إنتاجها المترجم من العلم والأدب بوحدة الثانية، والدليل على ذلك في واقعنا الذي نحياه، ثابت بلغة العلم في كل الدول المتقدمة، وراسخ في التاريخ؛ فالحضارة العربية الإسلامية استقت روافدها من ترجمة وتعريب فرز حضارات الإغريق والفرس.. إلخ، كما سلف ذكره.

وذلك يؤكد على ضرورة إعادة النظر في بعض القضايا ذات الصلة بعلم الترجمة، مثل: إعادة النظر في برامج الكليات التي تخرّج المترجمين، والإطلاع على برامج الترجمة التخصصية التي تتبناها بعض الجامعات في الغرب؛ فمن الصعب في واقعنا الذي نحياه أن يصير لدينا الآن مترجمون موسوعيون - إن جاز التعبير- على نهج سلفنا إبان عصور النهضة العربية الإسلامية. ولكن الخيار المتاح هو الإطلاع على تجارب من ينسب إليهم التقدم في هذا المجال الآن.

ومن أشهر ما تبتلى به ترجماتنا في العالم العربي، عدم فهم بعض المترجمين لحدود هذا العلم وخصائصه.. والفرق بين مصطلحاته وما يفرضه هذا المصطلح عن غيره من خصائص وشروط يلتزم بها المترجم، إذ يقتصر حدود علم بعض هؤلاء المترجمين في هذا العلم على إتقان لغة النص الأصلي.. واللغة التي سوف ينقل إليها هذا النص نفسه؛ فتخرج هذه النصوص مسوِّحاً مفقودة الهوية، تائهة المعالم، قد لا يستطيع مبدعها الأصلي التعرف عليها.. لو أعيدت

وعاداته وتقاليده؛ فيكون بذلك جمعاً بين الأصالة والمعاصرة. أما المصطلح الثاني، فهو الترجمة، ويعني نقل مفهوم أو نص معين من لغة أعجمية إلى العربية - مثلاً-، مع المحافظة على دلالاته وخصائصه الأصلية في اللغة التي نقل منها.

وبناءً عليه فثمة سؤال يطرح نفسه: ما مواصفات العمل الأدبي المترجم الذي ينأى عن دلالة مصطلح التعريب كما ورد ذكره آنفاً؟



عباس محمود العقاد

يقول محمد عناني في كتابه،

«فن الترجمة: إن عمل المترجم يتطلب إعادة بناء أفكار الكاتب الأصلي، بما يتسق مع نظام اللغة المترجم إليها، ومع نوعية القراء الجدد دون تصرف في دلالة ومضمون النص الأصلي^(١٠)».

وعليه، فإنه إذا كان الأديب يتمتع بالحرية الكافية في صياغة أفكاره على النحو الذي يراه؛ فإن المترجم مقيد بقيود اللغة التي يترجم إليها، ونوعية القراء المستهدفين، فضلاً عن الأفكار الأصلية للمؤلف التي ينبغي الحفاظ عليها.

ويؤكد ذلك الأستاذ العقاد بقوله: إن المترجم تلزمه عدة كاملة منوعة تتجمع من العلم باللغتين، ومن العلم بموضوع المعرفة الذي ينقله من إحدى اللغتين إلى الأخرى، ومعرفة وافية بثقافة المجتمع الذي عاش فيه الأديب. إضافة إلى حصة وافية من المعلومات في عصره، وإن لم تكن لها علاقة مباشرة بموضوع الكتاب المترجم^(١١).

وبذا، فإن العقاد يقصر الترجمة على المتخصصين في مجال المعرفة المراد الترجمة فيه، مع الإلمام باللغتين المنقول عنها والمنقول

الفتح الإسلامي كانت - في نظرهم- تعريباً للشعوب - بكل ثقافات وآدابها - التي دخلت الإسلام وتكلمت العربية^(٩).

ويرى محمد حسن عبدالعزيز أن مثل هذا التوسع في مفهوم المصطلح ينطلق من المفهوم اللغوي العرفي للكلمة، إذ كان يقال: أعرب الأعجمي إعراباً وتعرب تعرباً، واستعرب استعرباً إذا تكلم العربية وأفصح بها، كما يقال تعرب الأعجمي إذا تشبه بالعرب؛ أي تزيا بزيمهم، وتصرف تصرفهم^(١).

ومن خلال استقراء كل الآراء السابقة، فإنه يتضح التداخل بين مصطلحي التعريب والترجمة، إلا أن مصطلح التعريب قد تطورت دلالاته بشكل ملحوظ، ولا سيما في العصر الحديث.. نظراً لعدة عوامل تاريخية وثقافية وسياسية واجتماعية؛ حتى أضحي ينظر له على أنه عملية إبداعية تعتمد على الخلق والتفاعل السوي بين الواقع والمجتمع.

وقد عبر عن ذلك سمر روعي بقوله: إن التعريب هو تمثيل العمل الأدبي في اللغة التي كُتِب بها، ثم التعبير عنه باللغة العربية.. برؤية نابعة من ثقافة هذه الأمة^(٧).

ويؤكد ذلك أنطوان مقدسي بقوله: إن التعريب هو تعريب العقل، أي أن تكون لنا رؤيتنا المستقبلية، وأن تتمثل حضارة الآخرين، ونمتصها، ونعيد فرزها بما يتلاءم مع شخصيتنا الحضارية^(٨).

ويضيف علي مذكور إلى ما سبق.. إذ يرى أن التعريب قراءة وترجمة نتاج الغير في ضوء رؤيتنا المتميزة للألوهية، والكون، والإنسان والحياة^(٩).

وتأسيساً على ما سبق، فإن هناك مصطلحين بداللتين مختلفتين، الأول التعريب، ويعني تفاعلاً مع النص، ينتج عنه خلق وإبداع متسق مع أصالة المجتمع وتصوراته وعقيدته

إليها، إضافة إلى الفهم الجيد لثقافة المجتمع الذي ينسب إليه الأديب أو المبدع؛ حتى لا يلجأ المترجم إلى التأويل أو التخريج المبني على ثقافته المنطلقة من واقع مغاير، وعادات وتقاليد قد يصل الاختلاف بينها وبين ما يرمي إليه الأديب إلى حد التناقض، وعندئذ يخرج النص عن الترجمة إلى التعريب أو التغريب، سيان بقصد أو دون قصد.

وتأتي أهمية أن يكون المترجم متخصصاً بشكل عام، وفي الأعمال الأدبية على وجه الخصوص؛ نظراً لأن ترجمة المعاني والأحاسيس لا يشعر بها ويتصورها ويعبر عنها إلا أديب حاذق؛ فالأديب نفسه قد يواجه بعض الصعوبات التي سببتها حواجز الزمان أو المكان والثقافة المغايرة، فما باننا بمن لا يمت للأدب بصلة إلا صفة التطفل غالباً!

ويسوق الأستاذ العقاد مثلاً على ذلك: «لعل الأستاذ البستاني لم يزعم بينه وبين نفسه، أو بينه وبين قرائه أنه يضارع هوميروس.. إلا أنه قد ترجم الإلياذة من لغتها الأصلية، كما ترجمها الأوروبيون إلى لغاتهم المختلفة لاتينية

أو جرمانية؛ وذلك فقط لأنه أديب^(١١).
إذاً، فلا يكفي لترجمة الأعمال الأدبية حب الأدب أو الانتساب إلى المتخصصين في الترجمة العامة ممن يتقنون لغتين أو أكثر؛ فترجمة الأعمال الأدبية لا تحتاج إلى حفاظ قواميس فحسب.

وما ينطبق على الترجمة إلى العربية، ينطبق أيضاً على العكس من المترجمين إلى الإنجليزية من العرب أو العجم. رحم الله الأستاذ العقاد الذي قال: كيف يستطيع مترجماً أجنبياً أن يفهم القارئ: «قمر على غصن على كتيب..».

إنه في رأيه أغرب من خليط الرسوم الكاريكاتورية؛ فالقمر عنده في لغة الفلك، والغصن في لغة النبات، والرمل في لغة طبقات الأرض؛ فأنى له أن يجمع هذا الشتات؛ ليعرف أن المقصود به: إشراق على اعتدال على فراهة يتحرك به قوام رشيق^(١٢).

أخيراً لا يسعني إلا أن أقول صدقت الحكمة القائلة: إن الأخطاء لا يعجل إليها الموت.

* أكاديمي بجامعة الجوف.

- (١) محمد عناني: «فن الترجمة»، الشركة المصرية العلمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٢، المقدمة.
- (٢) عباس محمود العقاد، «أشتات مجتمعات في اللغة والأدب»، دار المعارف، ط٦، ص٧.
- (٣) ابن جني، «الخصائص»، الجزء الأول، ص٣٥٧.
- (٤) محمد حسن عبدالعزيز: «التعريب بين القديم والحديث»، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٠، ص٥، ٤٧، ٦٧، ٦٨.
- (٥) محمد المنجي الصيادي: «التعريب في الوطن العربي»، ندوة التعريب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٢، ص٢٩.
- (٦) محمد حسن عبدالعزيز: مرجع سابق، ص٢٦٨.
- (٧) سمروحي الفيصل: «المشكلة اللغوية العربية»، مجلة المعرفة، دمشق، السنة ٣٦ العدد ٤١٣، فبراير، ١٩٩٨، ص١٥٤.
- (٨) نقلاً عن رشدي طعيمة وزميله: «تعميم التعريب وتطوير الترجمة في سلطنة عمان»، دراسة ميدانية استطلاعية، اللجنة الوطنية العمانية، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، ١٩٩٨، ص٢٥.
- (٩) علي أحمد مذكور: «معلم المستقبل نحو أداء أفضل»، دار الفكر العربي، ٢٠٠٥، ص٢٨٠.
- (١٠) محمد عناني: مرجع سابق، ص١١١.
- (١١) عباس محمود العقاد: مرجع سابق، ص٥.
- (١٢) العقاد: مرجع سابق، ص٦.
- (١٣) العقاد: مرجع سابق، ص٨.

ظاهرة التمرد والعصيان عند المراهقين

■ خوله مناصرة*

يتكلم الآباء والأمهات بمنتهى الحرقه والألم، عن أبنائهم المراهقين: ابني متمرد.. ابني يذخن.. ابني لا يستمع إلى كلامي، ويرفض نصائحي.. يسبب المشاكل داخل البيت وخارجه. إنها ظاهرة التمرد لدى المراهقين؛ ما هي أسبابها؟ وكيف نتعامل معها؟

واللباس، وقصة الشعر، ما يدفع الابن المراهق إلى التمرد ورفض الانصياع لآراء الأهل وأوامرهم، ويعقد الأمور أكثر، وحدثت مواجهات حادة بين الآباء والأبناء، قد تؤدي إلى انعدام الاحترام بين الطرفين، أو تشرد الأبناء؛ ومن ثم تفكك الأسرة.

ولتجنب مثل هذه

المواجهات، يجب التعامل مع المراهق بود، وعلى أساس من الصداقة، ومنحه مساحة من الحرية، واحترام عقله بتوضيح سبب ما يطلب منه أن يفعله، وليس بفرضه عليه فرضاً، وتعزيز ثقته بنفسه من خلال إعطائه بعض المسؤوليات، وإشعاره بالأمان، وأن الأهل هم الملاذ الذي يمكن أن يلجأ إليه في أي وقت، بحيث يواجهون مشاكله ومعاناته بالتفهم والمساندة، وليس باللوم والتعنيف المستمرين.

ولتربية الطفل وتعريفه بحقوق الوالدين، وآداب التعامل بين أفراد الأسرة، دور كبير في الحد من



في مرحلة المراهقة، يتعرض الطفل لتغيرات هرمونية وجسدية كبيرة، فينتج عنها الكثير من تقلبات المزاج، وتذبذب الآراء والأحاسيس والانفعالات؛ فهو مشتت وحائر؛ يفتقر غالباً إلى الثقة بالنفس، ويشعر بالخوف والتردد، كما يتصف المراهق في هذه المرحلة بالتمرد وعصيان الأوامر،

ويرفض الأوامر مدفوعاً برغبة ثبات ذاته، والخروج على العادات والتقاليد.

وفي المقابل؛ يمارس بعض الآباء الديكتاتورية في تعاملهم مع الأبناء، ولا يستوعبون خصوصية المرحلة التي يمرون بها وحساسيتها، وتقع على الآباء مسئولية كبيرة؛ فيجب أن يدركوا

أن هذا التغيير في حياة المراهق يستلزم تغييراً في أسلوب التعامل معه، فالاستمرار في منعه من الكثير من التصرفات أو الأفعال.. وإصدار الأوامر والنواهي.. وانتقاده في كثير من أموره الخاصة: كالدراسة، والعمل، والتصرفات، والإنفاق المالي،



مشكلة التمرد، والحد من أبعادها ونتائجها .

ولا يقل دور العلاقة بين الوالدين على سلوك المراهق، فالعلاقة القائمة على الاحترام المتبادل بين الأبوين لا بد أن تنعكس على سلوك الطفل، أما العلاقة السيئة بين الوالدين.. فلها عظيم الأثر في تعميق المشكلة وتفاقمها .

دورا متقهما لطبيعة هذه المرحلة التي يمر بها الطالب، والعمل على حل المشاكل، بحيث تدرك المدرسة أنها ليست طرفا في المشاكل يبحث عن الانتقام وفرض العقوبات، بل هي الموجه والمربي، والطرف الأكثر وعيا، وقدرة على حل المشاكل واحتوائها ومواجهتها بصبر وحرفية. وتقديم الحلول الواقعية والجدرية.

ولاهتمام الوالدين بالطفل، وإظهار الحب والاحترام له منذ مراحل طفولته المبكرة.. دور كبير في تحقيق التقارب، وإيجاد جسور التفاهم وحل مشكلات سن المراهقة، فإهمال الطفل والانشغال عنه يوسع الشقة بينه وبين الوالدين، ولن تصبح العلاقات متينة بين الأبوين والطفل بين ليلة وضحاها، فيلجأ المراهق إليهما عند مواجهته أي مشكلة، ويستمتع إلى النصح والإرشاد ويأخذ به .

وأفضل الطرق لاحتواء الطلاب، هي إشغالهم بمشاريع تستهويهم، بحيث ينفسون عن طاقاتهم بوسائل مفيدة لمدرستهم ولأنفسهم، أما التذرع بعدم وجود الوقت للتخطيط وتنظيم مثل هذه المشاريع فهو ليس صحيحا؛ فالوقت الذي يضيع في حل المشكلات وتبعاتها يستهلك وقتا وهذا أكبر من التخطيط لمثل هذه البرامج.

أما المدرسة فلها دور كبير في خلق روح التمرد لدى المراهقين، فطريقة التعامل التي يتم فيها تجاوز طموح الطالب وشخصيته، وعدم احترام رأيه، قد تؤدي إلى عدم انسجامه مع هذا الواقع، فيلجأ إلى تحدي النظام المدرسي، وافتعال المشاكل هدفها التمرد والعصيان، لذلك يجب أن تأخذ المدرسة

وتلعب طبيعة التكوين النفسي والسلوكي للمراهق، ومستوى التعليم والثقافة لديه دورا مهما جدا في اتجاهات تمرده؛ فالمراهق يشعر بالقوة والغرور، ويحس بالرغبة بتكوين ذاته المستقلة والانفصال عن أسرته، وقد يأخذ هذا التمرد شكلا إيجابيا.. بحيث يوظف تمرده في تحقيق تغير إيجابي، أما التعسف والإهمال.. فقد يؤدي بالمراهق المتمرد إلى انحرافات سلوكية يصعب ضبطها والتحكم بها: كاللامبالاة وعدم احترام الآخرين والإساءة إليهم، وقد تتطور تلك الاتجاهات السلبية وتعبّر عن نفسها بعدم احترام القوانين والنظام.



* كاتبة من الأردن.

«حلوة» الجوفي

■ فواز بن صالح الجعفر

ما يزال يرعاها ويحرسها .. ويخاف عليها نسمة الهواء ولفحة البرد ..
وما تزال ترخص لعينيه كل غال عندها ..
أحب فيها العطاء .. وأحبت فيه الوفاء ..
فكيف يكون اللقاء؟!
يعاجلها .. بضم خاصرتها ..
حتى إذا اقترب رأسه من رأسها .. وهمسه من همسها .. أذاقته ما يشتهي!
«عسلٌ في لحاء .. معلقٌ في الهواء!»

لديه قناعة تامت مع الزمن .. بأنها تجسيد لصفاته
التي يحبها ..
وما يزال في كل صباح يراها بين أشعة الشمس
الذهبية ..
فيرى الثبات .. والعطاء ..
والشموخ .. والنماء ..
حتى قرأ رواية ابن عمر لحديث المصطفى صلى الله
عليه وسلم: (ما شجرة تشبه المؤمن)؟!
فازداد إيماننا ..

«أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء»





وهي..

لم يؤلمها شيء.. ألم بعد اليد الحانية عنها..
ونسيان أبناء الكريم.. كرمها..
وفقدُها صاحبها..
لو سألتَ الجذعَ.. لبُتُّكَ الشوقُ!
وقد فعلها يوماً جذعُ مسجدِ الرسولِ صلى الله عليه
وسلم..
فلم يخب بكأؤهُ.. حتى ضمَّهُ الصدر الشريفُ!

«جذعُ.. يُغالبُه البكاء»!

عذق

حبي لها.. لا يعني أنني لا أحترم من يفضل غيرها!
قد يستطعم أحدنا «السكري» أو «الخلّاص».. وآخر
يرى في «الحلوة» الخلّاص..
ولولا اختلاف الأذواق، لبارت السلع..
الرقبي.. أن تبدي حبك للشيء..
ثم تبدي حبك للآخر باحترام رغباته.. «المشروعة»!



تأمل يوماً..

فوجد صبوحة من تمرها..
وحصيرته من سعفها..
وسقف داره.. جذعها..
وبعض أوانيهِ.. ليفها..
فعرف أن العطاء ليس له حدود..
وتمرّس من يومها الكرم!

«نفسٌ تجود.. بلا حدود»

«جوف العطاء»

هو..

لم يؤلمه شيء.. كما ألمه نفرة بعض بنيه عنها!
ونشوء جيل يتلذذون بالحلوى.. ويستكفون رطباً
جنياً..
غاب عنهم طعم «حلوتها».. فلم يعرفوا طعم رعايتها!
ما عاد يساورهم حنين.. ولا يسمعون لها أنيناً!
ولا يرون فيها.. سوى العرجون القديم..
إلى الله أشكو هجمةً هجريةً.. تعاودها مرُّ السنين
الغوابر.
فأضحت رزايا تحمل الطين بعدما.. كانت غنىً
للمقتربين المفاقر

* سكاكا - الجوف.

من روائع الأدب الأندلسي

■ نورا علي

جبلت على كدر وأنتت تريدها
صفوا من الآلام والأكــمــار
ومكاف الأيــام ضد طباعها
متطلب في المماء جندوة نار



خلق الله الإنسان في كبد، حيث يعاني الشقاء في
مكابدة ومجاهدة عيشه، علاوة على ما يعتره من
أحداث الدهر، وصروف القدر، فالدنيا لا تستقر على
حال وتتأرجح بين إقبال وإدبار، وقد يأنس الإنسان
بإقبال بعض الأيام، ويأمن حيث لا مأمن، فلا تلبث
أن تنقلب، وتتجهم عليه وتثب، كما حصل مع الشاعر
الأندلسي (ابن زيدون)، هذا الشاعر المسكون بالوجع
والشجن، يشعل الحروف كلما حلك السواد، وكلما

استبد به الليل واستطال؛ فهو يمثل مدرسة شعرية في روعة أساليبه، وقدرته الشعرية
في تصوير مكنون النفس وخلجاتها.

سَعِدَ وَنَعِمَ بالوصل مع من أحب، وما
لبثت يد القدر أن نزعت الأنس، وبدلت
الحال، من قرب ووصال، إلى بعد ولوعة
ونكال، وكذا الدنيا يا صاح سجال....
فِيخِيلُ لمن يقرأ قصيدته (أضحى التثائي)
أن كل بيت سطره بمداد قلبه، وجعل منه
لحروفه محبرة، فيقول:

وَيَتَابِعُ قصيدته بأسلوب سلس رقيق،
يثير في النفس الشجن، حيث يعاتب
معاتبة المحب الوامق، وكأنه الذليل أمام
قوة جبارة، فيتلطف في لومه محبوبته،
أَضْحَى التَّثَائِي بِدِيلاً عَنْ تَدَانِيْنَا
وَنَابَ عَنْ طَيْبِ لُقْيَانَا تَجَافِيْنَا
ألا ما أفساه من نائب، وما أنعسه من

إذ، كيف تقرّ عين حاسد، وتُبْهَجْ عدو متربص
جاحد، فيقول بلغة استعطاف:

مَا حَقًّا أَنْ تُقَرُّوا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ

بِنا، وَلَا أَنْ تُسْرُوا كاشِحاً فِينَا
ويصف حاله بعد البين، وهيجان الشوق، علها
ترأف وتحن، إذ يصبح القرب أثرا بعد عين، ولا
معين، إلا الله، فقد ربط على قلبه، ثم الصبر
الذي نفذ، لكنه يجتره اجترارا بالتأسي، كما جاء
في الحديث (من يتصبر يصبره الله) فيقول:
نَكَادُ، حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا،
يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى لَوْلَا تَأْسِينَا

فيتجلد بالصبر إذ أيقن بالفراق، إذ شد
الوثاق، وبلغت القلوب الأعناق، فهو مكتوب وواقع
لا محالة في ذلك أو شقاق، فيقول:

إِنَّا قَرَأْنَا الْأَسَى، يَوْمَ النَّوَى، سُوراً

مَكْتُوبَةً، وَأَخَذْنَا الصَّبْرَ تَلْقِينَا
أبعد هذا الصبر صبيرا... آه من زمن لا تؤمن
بوائقه، يتلون كتلون الحرباء، من البياض إلى
السواد، ويحيل الخضرة والاخضرار إلى يباس
فيقول:

حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيَّامَنَا، فَغَدَّتْ

سُوداً، وَكَانَتْ بِكُمْ بَيْضاً لِيَالِينَا
وكان الأيام ضنت عليهما واستكثرت، وساءها ما
نالاه من فنون الوصل، وعذب القبل، حيث يقول:
وَإِذْ هَصْرْنَا فُنُونِ الْوَصْلِ دَانِيَةً
قَطَافُهَا، فَجَنِينَا مِنْهُ مَا شِينَا

فتجول بخاطره الذكريات الجميلة، حيث لم
يبق غيرها، فيتذكر لحظات الوصال الحميمة،
ويدعو لذلك العهد، عهد الصفاء ويكاد يهلكه
الحنين لعهد السرور والرياحين فيقول:

لَيْسَقَ عَهْدِكُمْ عَهْدَ السَّرُورِ فَمَا

كُنْتُمْ لِأَرْوَاحِنَا إِلَّا رِيَّاحِينَا

ويسترسل في الدعاء ويناجي وميض البرق،
وحبات المطر، يستحتهما ليغدقا على منزل
يسكنه الحبيب الذي كان يسقيه خالص الود،
وإن تبدل وتغير،



فهو ما زال يحمل
جميل صنعه،
ويرجو عوده
فيقول:

يَا سَارِي الْبَرِّقِ غَادِ
الْقَصْرِ وَأَسْقِ بِهِ

مَنْ كَانَ صِرْفَ الْهَوَى وَالْوُدِّ يَسْقِينَا

ويناجي ويعابث حتى هبوب النسيم، ولذكرى
سلام الأحبة وتحياتهم يستتيم، فيقول:

وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا

مَنْ لَوْ عَلَى الْبُعْدِ حَيًّا كَانَ يَحْيِينَا
ولكن هذا هو الزمان، والويل لمن يأمن تقلباته
وأحداثه المفزعة، ويأنس ويركن لأيامه السعيدة
المقنّعة، فها هو بعد الفرح والأنس يبكيه لوعة
على أطلال الأمل:

أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي مازَالَ يُضْحِكُنَا

أُنْسًا بِقُرْبِهِمْ قَدْ عَادَ يُبْكِينَا
ويذكرني حاله ببيت ابن زريق البغدادي الذي
يقول فيه:

قَد كُنْتُ مِنْ رِيْبِ دَهْرِي جازِعاً فَرَقَا

فلم أوق الذي قد كنت أجزعه
ويستطرد ابن زيدون.. ويبدو له كأن الزمان
يتحالف ويتآمر مع أعدائه ضده، فيقول:

غِيْظُ الْعِدَا مِنْ تَسَاقِينَا الْهَوَى فِدَعُوا

بِأَنْ نَعَصَّ، فَقَالَ الدَّهْرُ آمِينَا

المرء مع من أحب، فيستسلم لقضاء الله وقدره
فيقول:

إِنْ كَانَ قَدْ عَزَفِي الدُّنْيَا اللِّقَاءُ بِكُمْ

فِي مَوْقِفِ الحَشْرِ نَلْقَاكُمْ وَتَلْقَوْنَا

آه.. أي حياة هذه.. أي عذاب.. لكنه القدر،
أن يتعلق قلبك بمخلوق، فلا يهناً لك عيش بدونه،
ولا يطمئن لك مضطجع ببعده، ولا تنتشي روحك
الكئيبة إلا بذكراه وطيّفه.

لله در ذاك الشاعر الذي تمنى الموت والعدم

لحب كهذا، فقال:

عدمتك من حب أما منك راحة

وما بك عني من توان ولا فتر

ومن طريف المتبّي في هذا الموضوع دعاؤه

على الحسان من النساء، إذ قال:

أَلَا خَدَدَ اللّٰهُ وَرَدَ الخُدُودَ

وقد قدود الحسان القدود.

نهر عذب فرات.. تدفق حبا ولوعة ووفاء..
عاش على أمل التلاقي بعد الفراق.. وعودة
المياه إلى مجاريها بعد تشتتها.. فجاءت أشعاره
تعبر عن حاله.. إنه ابن زيدون.. الشاعر العاشق
الذي لم ينس أبدا ذكرى حبيبته وأيامه الجميلة
معها.. إنها ولادة بنت المستكفي المحبوبة التي
سحرتة فعاش لحبها.. ومات على ذكراها..

أَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلَّغْ تَحِيَّتَنَا

مَنْ لَوْ عَلَى البُعْدِ حَيًّا كَانَ يَحْيِينَا

وَفِي الجَوَابِ مَتَاعٌ، إِنْ شَفَعَتْ بِهِ

بِيضُ الأَيَادِي، الَّتِي مَا زِلْتَ تُؤَلِّينَا

إِلَيْكَ مَنَا سَلَامٌ اللّٰهُ مَا بَقِيَتْ

صَبَابَةٌ بِكَ نُخْفِيهَا، فَتُخْفِينَا

وَكأن (الزمن) قد استجاب لدعاء حلفائه،
فوجد «غراب البين» ضالته بفراق الأحبة فيقول:
فَآنَحَلْ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِنَا؛

وَأَنْبَتَ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا

ويصور في البيت التالي لوعة الفقد والحرمان،
بعد الوصل، وبأسه من اللقاء كيأس الليل من
مصاحبة النهار، وقنوط الشمس من سهر
ليلة بجوار القمر، حيث لا رجاء ولا جدوى من
المحاولة:

وَقَدْ نَكُونُ، وَمَا يُخَشَى تَفَرُّقُنَا،

فَالْيَوْمَ نَحْنُ، وَمَا يُرْجَى تَلَاقِينَا

وبعد كل ذلك الوجد، يرسل نغما جنازيا

يحرك وجدان الوله ويستعطف الحبيبة أن تدوم
على عهدها، ويذكرها بصفات الحر المنصف
فيقول:

دومي على العهد، مادُمنا، مُحَافِظَةً،

فَالْحَرُّ مَنْ دَانَ إِنْصَافًا كَمَا دِينَا

ويطلب منها الوفاء له ولو على النأي والبعد،

فهو يقنع منها بالذكر والطيّف إن عز اللقاء
فيقول:

أُولِي وَفَاءً، وَإِنْ لَمْ تَبْدُلِي صِلَةً،

فَالطَّيْفُ يُقْنِعُنَا، وَالدَّكْرُ يَكْفِينَا

يذكرني وجعه واستسلامه واكتفاؤه بالذكرى

وطيف الحبيبة بالبيت:

والنفس راغبة إذا رَغَبْتَهَا

وَأَنْ تَرِدَ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

ويسترسل بمنجاة تهيج الوجد، وتقطع نياط

القلب، ويعترف أنه قد لا يلتقي مع من أحب،
فيعزي نفسه بلقاء الآخرة، عوضاً عن الدنيا،
فما عند الله أوسع وأسمح وأرحب، حيث يحشر

* القريات - الجوف.

موقع الشويحية

اكتشاف أقدم موقع أثري في الجزيرة العربية

د. خليل إبراهيم المعقل*



تلك الأدوات من قبل عدد من المتخصصين بالعصور الحجرية القديمة، والذين أكدوا أن الأدوات ربما تعود إلى عصور حجرية مبكرة جداً، وتحديدًا لفترة الألدوان.. وهي أقدم فترات الاستيطان في العصور الحجرية، وتؤرخ لفترة تفوق المليون عام.

ونظراً لما أبداه العلماء من أهمية لهذا الموقع، فقد قامت وكالة الآثار والمتاحف بتشكيل فريق عمل متخصص من علماء العصور الحجرية القديمة لدراسة الموقع، وقد قضى الفريق عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م مدة شهرين في الموقع، وقد جاءت نتائج العمل أكثر مما كان متوقعاً، إذ تم تسجيل (١٦) موقعاً تعود لفترة حضارية واحدة، جمع منها أكثر من (١٨٠٠) أداة حجرية مختلفة؛ مثل السواطير، وأدوات منشوريه وكروية الشكل، وأقراص ذات وجهين، ومكاشط، وأزاميل، ومطارق حجرية، ورقائق.. ومن بين تلك الأدوات هناك (١٥١٧) أداة تعود إلى عصر مبكر جداً، تمثل فترة الاستخدام الأول للموقع، بينما (٣٦٧) أداة تعود إلى عصر أحدث من السابق، وقد صنعت تلك الأدوات - بالنسبة القديمة منها - من حجر الكوارتز، ومن حجر الكوارتز والصوان، أو الحجر الجيري للأدوات التي تعود لعصر أحدث.

وقد توصلت نتائج دراسة المواقع والأدوات الحجرية إلى أن موقع الشويحية يعود لمرحلة عصر الألدوان

الموقع

يوجد موقع الشويحية بالقرب من قرية الشويحية الواقعة على مسافة ٤٠ كم إلى الشمال من مدينة سكاكا في منطقة الجوف.

قصة اكتشافه

في عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٧م بدأت وكالة الآثار والمتاحف في المملكة العربية السعودية تنفيذ خطة شاملة للمسح الأثري في أراضي المملكة، وتهدف هذه الخطة إلى تسجيل المواقع الأثرية المنتشرة فوق أراضي المملكة العربية السعودية، وذلك بهدف حمايتها وصونها من الاندثار أو التخريب، وإجراء الدراسات العلمية حولها، لتحقيق الفهم الأعمق لتاريخ وحضارة الجزيرة العربية، ودور الإنسان العربي في بناء الحضارة الإنسانية.

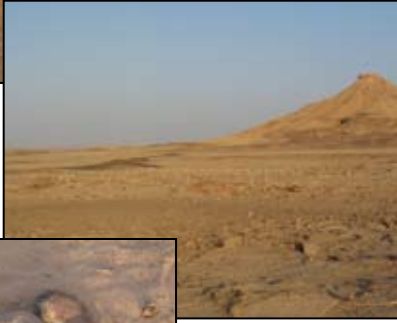
وفي عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، زار فريق علمي متخصص منطقة الجوف لاستكمال أعمال المسح التي بدأت في العام الفائت، وخلال الموسم الثاني للمسح الشامل، زار الفريق العلمي وادي الشويحية القريب من القرية، وقد لوحظ تركيز مجموعات كبيرة من الأدوات الحجرية القديمة على ضفاف أحد روافد الوادي، وقد تم جمع عدد من الأدوات، وسجلت المعلومات الأولية حول المواقع، وتبين قدم تلك الأدوات، وعدم دقة صناعتها، وكبر حجمها، وكونها تختلف عن الأدوات التي جمعت من مواقع أخرى في منطقة الجوف. وقد صنفت مبدئياً على أنها تعود إلى العصر الأشولي الأسفل، ولربما قبل الأشولي.. لكنها بالتأكيد ترجع إلى العصر الحجري القديم الأسفل.

بعد ثلاثة أعوام من ذلك التاريخ، تم إعادة فحص

يستخدمها الجيولوجيون للتاريخ عن طريق القياس الإشعاعي لعنصر أرغون البوتاسيوم والانشطار الذري.

عبور الإنسان الأول من أفريقيا إلى آسيا

إن اكتشاف موقع الشويحطية يدعم النظريات التي ترى أن الإنسان الأول عبر من شرق أفريقيا عبر مضيق باب المندب، واتجه شمالاً نحو بلاد الشام، واستقرت جماعات منهم في وادي الشويحطية لفترة من الزمن امتدت لمئات من السنين، ثم هاجرت شمالاً مرة أخرى بسبب تغيرات بيئية.. دفعت تلك الجماعات إلى البحث عن



مكان أكثر ملاءمة للعيش.. حيث يعتقد أن سكان الشويحطية هاجروا إلى بلاد الشام ووادي الرافدين.

(ب) المتطور، وأن الفترة الزمنية التي يمثلها تراوح بين (٢,١-١) مليون سنة مضت، وهذا يجعل موقع الشويحطية أقدم موقع أثري يتم تسجيله في أراضي المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية، كما يعد أقدم المواقع الأثرية في منطقة غربي قارة آسيا، مسجلاً الظهور الأول للإنسان في الجزيرة العربية.

إن طبوغرافية وادي الشويحطية مثلت بيئة مناسبة لاستيطان الإنسان الأول في هذا الجزء من الجزيرة العربية، وذلك لتوافر أحجار الكوارتز لصناعة أدواته الحجرية، وكذلك فإن هذه البيئة لا بد أنها وفرت لسكانها مقومات العيش الذي يعتمد على توفر الصيد والمنتجات النباتية البرية.

أن كثافة انتشار الأدوات الحجرية في مواقع الشويحطية تشير إلى أن هناك نشاطاً صناعياً للأدوات الحجرية استمر لفترات زمنية طويلة.

تحديد تاريخ الموقع

ربما يتساءل القارئ عن آلية تحديد تاريخ الموقع لهذه الفترة الموعلة في القدم. وقد أشار دارسو الموقع إلى أن الدراسات المقارنة التي تم إجراؤها على أدوات الشويحطية، مع مواقع متشابهة خاصة مع موقع جادب في أثيوبيا، ومواقع العبيدية على بحيرة طبرية في فلسطين، وحيث أن تلك المواقع قد جرت فيها دراسات معمقة وأرخت أدواتها لفترة الالدوان (ب) التي تعود لأكثر من مليون عام، فقد تطابقت أدوات الشويحطية مع أدوات موقع العبيدية، وقد استخدمت تقنيات القياسات الإشعاعية لتحديد تاريخ تلك الأدوات، وهي تقنية

* عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود، عضو مجلس الشورى بالمملكة.

المراجع:

- خليل إبراهيم المعقل، بحوث في آثار منطقة الجوف، ١٤٢١هـ، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.
- حسن سندي ((الدراسات الجيولوجية الأثرية للحياة البشرية القديمة خلال عصر ما قبل التاريخ في منطقة الشويحطية بالمملكة العربية السعودية)) أطلال، العدد العاشر، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م ص ص ١٢٧-١٣٣.
- عبدالرحمن السديري، الجوف وادي النفاخ، ط٢، مراجعة د. خليل المعقل، الجوف، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- نورمان والين وآخرون، ((تقرير عن موقع يعود للعصر الحجري الحديث الأدنى (البليستوسيني)، قرية الشويحطية في شمال المملكة العربية السعودية))، أطلال، العدد العاشر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ص ص ١١٥-١٢٣.

التصوير الفوتوغرافي.. علمٌ وفنٌ.

■ أيمن السطام*

التصوير الفوتوغرافي.. عالمٌ واسعٌ تتباين فيه الآراء وتختلف فيه وجهات النظر أكثر منها في أي مجال فني أو ثقافي آخر؛ فالنظرة من خلال العدسة تختلف باختلاف الأعين والأذواق، وكذلك كل ما يتعلق بالتصوير وخصائصه وميزاته وعدساته وأنواع أداة التصوير (الكاميرا).



على أن هذا الاختلاف دائماً ما تنتج عنه فوائد لا تحصى، يتمكن من خلالها المبتدئون وغيرهم من استسقاء الآراء وتشكيل مدرسةٍ خاصةٍ بهم، بحيث يتم تجميع المعلومات عن طريق الاستماع إلى حوارٍ ما، أو الحديث مع محترفٍ لديه خبرته الفوتوغرافية؛ لنصل بعد ذلك إلى الخلاصة، وهي نتائج هذا الاختلاف في الآراء.

والغالب لدى محترفي وهواة التصوير أن يكون لديهم فِكْرٌ أو تصور معين تجاه

آخرون برأى مغاير اكتسيوه عن سابق خبرة، فتشكلت لديهم رؤية أخرى، وقد يجد الكاتب نفسه أيضاً يواجه تساؤلاً مفاده: كيف تتعدم فنية المصور في أول المُقتبس، بينما نجدها جليةً في آخره عندما قلت «إلا في حالات يكون فيها للمصور تدخل واختيار للقطعة معينة» والغالب في هذا أن تدخل المصور واختياره هما المكونان الرئيسان للعمل.

وأسوق نموذجاً من الآراء المعاكسة للمقطع الأول من مقال العنزي، وهو تفسيرٌ منطقي إلى حدٍ كبير، إذ يرى بعض الخبراء والمهتمين أنه في حال إيجاد العناصر المتكاملة (أشجار - نهر - شمس - أرض...) يأتي هنا دور المصور وما يملكه من حسٍ فني وفوتوغرافي، بحيث يتمكن وبكل مهارة ودقة من ترتيب وتكوين العناصر المتوافرة «وإن قلتُ بشكلٍ مُبهر، واختيار زاويةٍ تتناسب مع ما تراه العين، ليخرج بعد ذلك بعملٍ يليق بالذائقة العامة».

وعلى ضوء بعض التوجهات الأخرى في علم التصوير فإننا نجد أيضاً اختلافاتٍ أوسع وأعمق في طرق التصوير ذاتها، وتتحصر هذه الاختلافات بأنواع التصوير المُتعارف عليها والمتداولة، ولكنها تتسع وبشكلٍ ملحوظ حين نصل إلى الطريقة والكيفية في الالتقاط.

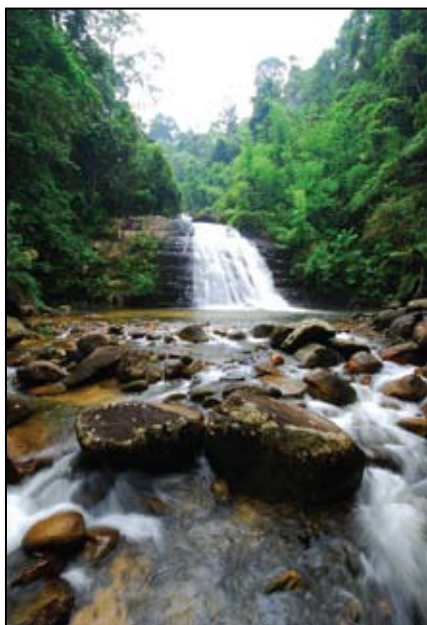
ونتيجةً لما سبق فإن عالم التصوير يظل

التقاط الصور، وكيفية إعداد الكاميرا للالتقاط، وهنا يكمن الهدف، وهو الاستزادة من جعبة المحترفين والتمكنين في هذا العلم.

وللتأكيد على حقيقة ما تناولته في البداية، سأعرض وجهات نظرٍ متباينة، يمكن تطبيقها على جميع ما يتعلق بالتصوير وفنونه. فالكاتب عبدالرحمن العنزي يسوق رؤيته في إحدى مقالاته⁽¹⁾ فيقول: «وحيث أن بعض المشاهد كانت تحتاج إلى انتظارٍ يصل إلى عدة أيام، وفي مواقع غير مؤكدة، فقد اعتمد تصوير المشهد أحياناً على عدة كاميرات مركبة في أماكن مختلفة تقوم بالتصوير تلقائياً من خلال التحكم عن بعد. والحقيقة أنه في جميع المشاهد تقريباً يكاد لا يكون لـ «فنية» المصور أي دور يذكر، بل يكفي أن تكون عدسة الكاميرا مصوبة بالاتجاه الصحيح في ظروف إضاءة جيدة حتى يكون المشهد الخلاب قد تم التقاطه بالفعل»، ثم يختم قوله

بأنه: «لا حرج في القول إن بعض أصحاب الرأي في التصوير الضوئي لا يعدون تصوير الطبيعة «فنّاً فوتوغرافياً» بالمعنى الفعلي للكلمة، إلا في حالاتٍ يكون فيها للمصور تدخل واختيار للقطعة ذات ملامح واضحة وظاهرة».

وجهة النظر هذه قد توافقت ما يدور في خلد الكثيرين تجاه هذه النقطة، وقد يعارضه



بعدسة معصم العوده



بعدهة عبدالله العتيق

بحراً لا شاطئ له، يتسع يوماً بعد يوم وتزداد مياهه بازدياد التجارب والخبرات الفوتوغرافية، والجميل في هذا البحر، وجود مساحةٍ كبيرةٍ وواسعة، وفي متناول اليد لكسب المزيد من الخبرة والمهارة.

وخلاصة القول إن التصوير الفوتوغرافي (الضوئي) وسيلةٌ لإحياء مشاهد الحياة بكل أشكالها، ورسالةٌ تحمل في طياتها معانٍ سامية لا يدركها كثيرون، إلا من تشرب حاسة تذوق الصور والفنون البصرية بكل أنواعها.



بعدهة أيمن السطام

* سكاكا - الجوف.

(١) مجلة القافة: المجلد ٥٧، العدد ٥.

الجوبة - ربيع ١٤٣٠هـ

النص المسرحي العربي

يخلو من الإبداع ويعجز عن تجاوز أزمات المجتمع غير المتحول

أزمة المسرح جعلت كتاباً مسرحيين يهجرون

الكتابة المسرحية لصالح فنون أخرى

■ تحقيق: مهند صلاحات



المخرج المسرحي نبيل الخطيب

يرى مخرجون مسرحيون أردنيون أن تراجع المسرح في المنطقة العربية لحساب وسائل التعبير الأخرى كالسينما والتلفزيون، مرده مشكلة واقعية في النص المسرحي العاجز عن التطور، الذي يخلو من الإبداع الحقيقي، كما يرى بعضهم أن التقدم يجري في مجالات أخرى كالشعر الذي بنى مدارس شرقية عربية له، استطاع روادها مواكبة التطور فيها، بينما عجز الكتاب المسرحيون العرب عن إيجاد مدارس مسرحية قادرة على التجاوز عن البطء في

التحولات الاجتماعية التي هي - بحسبهم - شرط لتطور النص المسرحي.

الثقافية والسياسية، فمن الطبيعي أن لا تحدث تحولات على صعيد الكتابة.. ما يجعل الكتابة المسرحية التي هي جزء لا يتجزأ من الكتابة الإبداعية رهينة العجز عن التطور.

وهنا نكون بحاجة للإبداع الذي وصفه الخطيب بأنه القدرة على تجاوز المجتمع غير المتحول في الكتابة. والإبداع إحدى أبرز مشاكل كتابة النص لدينا في الأردن والمنطقة العربية، حيث لدينا نص مسرحي مكتوب.. لكنه يفتقد إلى الإبداع، إضافة إلى مشكلة لا تقل أهمية عن الإبداع؛ وهي مشكلة أن شروط الكتابة المسرحية لدينا في جزء كبير منها متأثر بالضرورة بمتغيرات المجتمعات الغربية، فمثلاً

فالمخرج المسرحي نبيل الخطيب يرى أن شروط كتابة النص المسرحي هي شروط متغيرة ومتطورة، لأن الشرط الاجتماعي في الأصل متغير ومتحول، وهذه التحولات في أي مجتمع هي بالنتيجة تنتج معايير أساسية يقوم عليها نص الكتابة المسرحية، وتصبح نمطية مع الزمن حتى تأتي عبقرية كاتب ينفي هذه المعايير ويبني نصوصه المسرحية بمرتكز أساسي هو الخلق، وهذا ما يدل عليه تاريخ كتابة النص المسرحي كما في شكسبير، صموئيل بكت، برنارد شو وغيرهم.

أما في مجتمعنا الذي اعتبره الخطيب بطيئاً وقليل التحول، ولا تحدث فيه كل التحولات الجذرية الحقيقية في البنية

عام عربيّاً؛ ولعل مشاكل النص المكتوب قد تكون أحد أبرز أسباب هذا التراجع، إضافة إلى أنه أصبح كذلك أقل أهمية مقارنة مع وسائل التعبير الأخرى كالسينما والتلفزيون.

وفي الأردن تحديداً، وبحسب دروزة، هنالك الكثير من المخرجين الذين يحملون كاميراتهم ويخرجون إلى الشارع للتصوير. فهناك أكثر من ٢٠٠ مخرج تلفزيوني وسينمائي، ومخرج أفلام وثائقية خلال السنتين الأخيرتين؛ في مقابل أنه منذ خمس سنوات لم يتم تخريج كاتب مسرحي واحد مبدع، وهذا يشير إلى معطيات خطيرة. إضافة إلى أن هناك أزمة أخرى، هي أزمة التدريس؛ ففي جامعاتنا التي تخرج يومياً مخرجين وممثلين، لا يوجد أي قسم للنقد المسرحي، أو لتدريس كتابة النص المسرحي، أو الدرامي أو السينمائي، بينما لدينا عدد كبير من المخرجين والممثلين؛ وفي المقابل ليس هناك من يكتب لهم.

وتستغرب دروزة من كيفية استمرار المسرح حتى هذه اللحظة؛ فالمخرج إن لم يكن ملماً بكيفية كتابة النص المسرحي، كيف يمكنه أن يعيد صياغة النص الذي بين يديه؟ وبخاصة أن معظم النصوص المسرحية العربية الجيدة قد استنفذت مسرحياً لكتاب مبدعين من أمثال ممدوح عدوان، سعد الله ونوس، محمد الماغوط، وغيرهم.

وعملت مقارنة بسيطة بين الحالة العربية والنموذج الأوروبي؛ فتقول: إنه في ألمانيا وحدها ظهر في العام الماضي أكثر من ٢٠ نصاً مسرحياً لكتاب شباب تقل أعمارهم عن الأربعين عاماً.

وفي سياق مختلف.. فإن الكاتب المسرحي الأردني هزاع البراري يرى أن مشكلة النص المسرحي الأردني والعربي، هي ذاتها إشكالية



من مسرحية «أحلام مقيدة»

«برخت» على سبيل المثال في أوروبا.. جاء من بعده كتاب تأثروا به وتبنوا تقنيته في الكتابة؛ بينما نجد في منطقتنا العربية العديد من الكتاب يميلون لمدارس غربية في الكتابة المسرحية، ولا نجد من يتبنى مدرسة عربية يعمل عليها، وهذا ما يعلل تفوق التقدم في الشعر على حساب المسرح في البلدان العربية.

وفي سياق متصل، اعتبرت المخرجة المسرحية سوسن دروزة، أن المشكلة الأساسية في النص المسرحي الإبداعي في الأردن والمنطقة العربية على حد سواء.. هي مشكلة وجود نص واقعي، يلامس محيطه بشكل حقيقي، فالنص المسرحي كما وصفته.. هو فقط نص أدبي مجرد من الواقعية والرؤية أكثر من كونه نصاً مكتوباً للخشبة، وهذا ما يضطر المخرج لإعادة كتابة النص مرة أخرى.. ليتناسب مع الواقع، ويبدو أكثر مواءمة للخشبة.

لكن المشكلة هنا في تمكّن المخرج ذاته من القيام بإعادة صياغة النص، فالعديد من المخرجين المسرحيين الجدد، أو غير المتمكنين.. يقعون في هذه المشكلة، ما يمنعهم من الخروج بعمل مسرحي متكامل.. من حيث النص والرؤية الإخراجية؛ ما يضعف العمل المسرحي ويهبط في مستواه.

كما ترى دروزة أن المشكلة هذه لا تكمن في النص وحده؛ فالمسرح ككل بدأ بالتراجع بشكل

مشكلة التعامل معه، وهذه نتيجة قلة الخبرة لدى المخرجين المسرحيين؛ فكثير منهم يكون في ذهنه رؤية إخراجية معينة.. لكن النص الذي تم إجازته من قبل وزارة الثقافة أو أمانة عمان، لا يتناسب مع الرؤية الموضوعية مسبقاً؛ فيحاول المخرج ليّ عنق النص ليتناسب مع رؤيته، رغم أن الأجدر به كان إعادة الاشتغال على رؤيته من جديد.

ويتفق البراري مع ما قالتها دروزة في أن هنالك مشكلة أيضاً في تدريس النص المسرحي من جهة، ومن جهة أخرى حول قداسة وسطوة النص المسرحي، حيث أن العمل المسرحي هو عمل جماعي، ولكن المخرج يفرض سطوته على النص وليس العكس، فيقوم هو بإعداده، وإخراجه، ولعب أحد أدواره، ويصمم له الديكور والإضاءة، متجاوزاً بذلك العمل التشاركي، دون الرجوع للكاتب أحياناً.

وهناك مشكلة لا بد من الوقوف عليها بجدية.. وهي مشكلة «الدراماتورك»، وهي معتمدة أوروبياً.. لكن عليها إشكالاً عربياً، وهو الوسيط بين الكاتب والمخرج والممثلين، الذي يقيم التوازن بين النص والرؤية الإخراجية.. ولكن للأسف عدم تفعيله، وعدم تدريسه عربياً.. زاد من إشكالية التعاطي مع النص الأدبي المسرحي وتحويله بشكل منطقي مسرحاً.



من عروض فرقة «الحنونة»

المسرح، لأن المسرح لا يمكن أن يجرأ، فهو قائم بعناصره المختلفة من نص ومخرج وممثلين.

فعلى صعيد الإنتاج المسرحي، يرى البراري أن في الأردن والمنطقة العربية عدد كبير من المخرجين الأكاديميين ومخرجي الخبرة؛ لكن العدد الفاعل منهم محدود، في حين الكم الآخر خامل أو غير فاعل، أو انسحب باتجاه نشاطات أخرى غير المسرح.

ومن جهة أخرى يقر البراري أن كتاب المسرح العرب قلة متناقصة مع الأيام؛ فمن خلال تجربته الشخصية، وتجربة المسرح الأردني الذي يعده الأكثر نشاطاً عربياً، حمل البراري جزءاً من المسؤولية للمخرج المسرحي العربي.. والأردني على وجه الخصوص، لكونه أسهم بقصد أو من غير قصد في تهجير الكاتب المسرحي؛ ودلّل على ذلك بكتاب مسرحيين مثل الدكتور وليد سيف، وهاشم غرايبة، وجمال أبو حمدان وغيرهم؛ وهؤلاء توقفوا عن الكتابة المسرحية أو امتنعوا عن إعطائها للمخرج الأردني، لأسباب تعود لتجارب سابقة لديهم.

فالمخرج الأردني حين يأخذ النص المسرحي الأدبي للاشتغال عليه، ينسف النص.. بدعوى تحويل النص الأدبي إلى مسرحي، وهنا يطرح السؤال نفسه: هل المخرج قادر على إعادة كتابة النص مرة أخرى دون أن يحدث خلل في رؤيته، وبنية شخصياته؟ فالعديد من النصوص التي تم الاشتغال عليها مسرحياً تم قتلها، بشكل أو بآخر، انتصاراً للشكل المسرحي.

وبذلك يرى البراري أن المشكلة الأساسية لا تكمن في النص المسرحي، رغم قلته، إنما هي

* كاتب من الأردن.

ثلاث حقائق غائبة يكشفها الإقتصاد الإسلامي في ضوء الأزمة المالية الراهنة

■ أحمد محمد نصار*

كشفت الرؤية الإسلامية للأزمة المالية الراهنة عن الكثير من الحقائق التي كان الإقتصاد الإسلامي يتحدث عنها صراحة، أو ضمن رؤيته للنظام الاقتصادي؛ إلا أن هناك ثلاث حقائق أساسية غابت عن الكثيرين في مداولات الأزمة: الحقيقة الأولى، تغيير هيكل النظام المالي والمصرفي؛ والثانية، ملكية النظام المالي لنفسه؛ أما الثالثة، فهي نظام شفافية ومصادقية المعلومات المالية.

الالفلسفة والمؤسسية. وهناك الكثير من المقترحات التي اقترحها علماء الإقتصاد الإسلامي بهذا الصدد، مثل: فصل النشاط المصرفي عن النشاط الاستثماري، وإضعاف سلطة المصارف والحد من تأثيرها. لكن هذه المقترحات لم تلق قبولاً في البداية، لأنها كانت تصطدم مع هيكل النظام المالي الحالي، التي من النادر ما تجد أحداً ينتقدها في ذاتها؛ لأنها ترجمة لأسس وفلسفة الرأسمالية في فصل النظام المالي عن الإقتصاد الحقيقي.

أما الحقيقة الثانية التي نتحدث عن ملكية النظام المالي، فقد أشار إليها مؤخراً تقرير آفاق الإقتصاد العالمي الصادر عن صندوق النقد الدولي، وهو ضرورة انسحاب القطاع المالي من ملكية النظام المالي. وهي إستراتيجية تحمل رؤية إسلامية ابتداءً، ولا يستطيع أحد إنكار ذلك، لأن القطاع المالي في النظام الاقتصادي الإسلامي لا يملك نفسه، ويتحكم فيها لاهناً وراء إشباع رغباته الخاصة، وتعويض ذلك، بما يسمى بتوليد أو اشتقاق النقود، كما هو معروف في النظام المصرفي money creation؛ وهذه الحقيقة أيضاً لا يمكننا تجاهلها، وخاصة بعد وقوع الأزمة، لأن الفجوة بين المتداول النقدي والمتداول السلعي كبيرة. وما يثبت ذلك أيضاً أن

أما بالنسبة للحقيقة الأولى، فإن هيكلية النظام المالي الحالي لا تساعد الحلول المقترحة للخروج من الأزمة؛ لأن هناك إصلاحات جوهرية يجب الاعتراف بها أولاً، ومن ثم اقتراح بدائل مؤسسة تخدم تلك الإصلاحات، لأن الخلل في الأزمة الحالية لا يمكن تجاوزه باقتراح حلول طارئة، وخطط انقاذ تعالج المشكلة في أعراضها، ولا تعالج المشكلة من أسسها





سياسات السلطات الإشرافية والرقابية المصرفية تسعى دائماً إلى الحد من الإسراف في توليد النقود من خلال الإئتمان المصرفي. وإذا ترجمنا هذه الرؤية على شكل سياسات، فهو اعتراف منا بأثرها السلبي حتى ولو تم تطبيقه بشكل جزئي؛ ولذلك تجد عقود التمويل الإسلامي متنوعة، وشروطها مختلفة، وأحكامها مفصلة حسب وظيفة العملية من الناحية الاقتصادية. وليس مقبولاً في النظام الاقتصادي الإسلامي أن تترجم كل الأنشطة الاقتصادية، ويتم اختزالها في نشاط ائتماني واحد، بصيغة القرض بفائدة، لأن فيه سماح بتجاوز الأهداف الاقتصادية للفرد والمجتمع على حد سواء.

أما الحقيقة الثالثة والأخيرة، وهي نظام شفافية المعلومات ومصداقيتها، وقد سمعنا كثيراً عنها في مداورات الأزمة، لكن أيضاً كانت مقترحاتها تعالج المشكلة في أعراضها، وكانت الرؤية الإسلامية واضحة ومعالجة لجزور هذه المشكلة؛ فلم يتدخل الإسلام أصلاً في آلية السوق من عرض وطلب، وهذا ما يثبته حديث التسعير الذي رواه الترمذي، فيقول: حدثنا أنس ابن مالك قال: «غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا يا رسول الله، سَعَّرَ لنا، فقال: إن الله هو المسعِّر القابض الباسط الرزاق، وإني لأرجو أن ألقى ربي وليس أحداً منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال»؛ وهو كما تقدم إثبات لحرية التعامل في الأسواق من حيث الآلية، ومراعاة وسائل تحصيلها، من حيث الكلفة والجهد. لكن الإسلام تدخل وبشكل مباشر وأساسي في هيكل السوق وضوابطه المؤسسية، والأجهزة التي تكفل تطبيق ذلك بالشكل المطلوب (جهاز الحسبة).

إن هذه الرؤية الإسلامية المتدخلة في هيكل السوق وغير المتدخلة في آليته تعطينا بلا محالة نظاماً

معلوماتياً يتصف بالدقة والموضوعية والمصداقية، يساعد في كشف السوق لدى البائعين والمشتريين لاتخاذ القرارات المناسبة من بيع وشراء؛ لأنه يضمن عدم التلاعب والسيطرة غير المشروعة على آلية تكوين الأسعار؛ وهذا بخلاف الرؤية الرأسمالية التي تسرف في التنظير بحرية الأسواق، وضرورة توافر الشفافية في المعلومات، دون تقديم هيكل يضمن ذلك.. وفي المقابل التقريط في آليات التطبيق غير المعبرة عن حقيقة السوق، والوصول في النهاية إلى نتيجة واحدة، وهي تجديد الآلية، مع عدم الاعتراف بتجديد الهيكل الذي هو الأساس في هذه العملية.

لا يمكن في ظل هذه الحقائق الثلاث إلا أن ندرك أن هذه الأزمة جاءت في وقتها لتثبت للعالم أن ما يقوله الاقتصاد الإسلامي يجب أن لا يقابل بالاستهتار، حتى لو لم يعجب ذلك أصحاب القرار والمستفيدين، وهذا يعطينا نتيجة أن الاقتصاد الإسلامي أصبح خياراً لا بديل له بعد أن كان خياراً يمكننا قبوله.

* باحث في الاقتصاد والمصارف الإسلامية، منسق في المجموعة العالمية للباحثين في الاقتصاد والمصارف الإسلامية.



الكتاب : «كافكا»، في الجزء الأول من أعماله الكاملة
(الذودة الهائلة): قصص استبطانية وسرد
جهنمي عن إنسان في عالم مضطرب
الناشر : الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة.

■ عصام أبوزيد

قصص كافكا، باهرة.. استبطانية، كالهبوط إلى القوى المظلمة، تصف العزلة وتغترب عن الواقع إلى حد الانشقاق: فتهرب إلى عدمية النبذ والصراع مع الرعب، في سرد غريب لا تدرك معه هل أنت في واقع أم كابوس؟ نقرأ: «... وبعد اجهاد عنيف، لم أعد قادراً على التفكير، فقد كان رأسي يتطوح، هبطت تاركاً الباب مفتوحاً في ذهولي. وهكذا استلقيتُ أخيراً، فوق الأتربة المصطبغة بدمائي، وصار في وسعي الآن أن أحقق رغبتني في النوم».

كان كافكا يستعين في كلامه بأعضاء جسمه ووجهه، وإن استطاع أن يكتفي بحركة فعل، وكان بسيطاً خجولاً، فكانما يقول لمحدثه: أرجوك، إنني أقل كثيراً مما تظن، وإنك لتستطيع أن تُسدي لي خدمة كبرى إذا ما تجاهلتني.

هو اليأس، الصامت، المعذب، المريض، وأحياناً المجنون. سمة حياته البارزة هي الغضب، الذي يولده القلق، والذي يحيل نفسه إلى أبخرة سامة عند ملاستها الحياة.

مقلق وجد نفسه في سيره قد تحول إلى حشرة هائلة»، عندئذٍ أغلقت الكتاب مرتعداً قائلاً لنفسه «يا للهول هل يمكن أن يحدث هذا، وفي اليوم التالي مباشرة كتبت أول قصة لي»⁽¹⁾. هكذا يتضح لنا مدى التأثير العميق الذي تركه كافكا في الأجيال الكتابية التي جاءت من بعده.

وبخصوص الحداثة وموقع كافكا

الأثر العميق

يقول غابرييل غارثيا ماركيز في المحادثات التي أجراها معه صديقه بلينو منيدوسا ونشرت عام ١٩٨٢م: لقد بدأ اهتمامي بفن القصة ذات ليلة، كنت أقرأ فيها قصة (التحول) لكافكا، فقرأت في أولها هذه الجملة: عندما استيقظ غريغور سامسا ذات صباح، بعد حلم

هي: التحول؛ سور الصين العظيم؛ أبحاث كلب؛ الجحر؛ في مستعمرة العقاب؛ الدودة الهائلة». قصة «التحول» تقدم حالة من حالات الفشل تؤدي إلى الموت، وهي قصة تجسد أزمة وجود، وتشير في وضوح إلى انقسام يقع نتيجة لتراكمات، فيفصل بين الوعي واللاوعي. ويتمثل هذا الانقسام في بقاء الذات الحقيقية (المنسحبة في عجز من المواجهة) في البيت على هيئة حشرة هائلة الحجم تسترخي في الفراش. بينما الجسد الذي يرتدي ملابس تلك «الذات»، أي حرفياً تلك الواجهة الخارجية لتلك «الذات»، تترنح خارجة إلى اضطراب الدنيا الخارجية، وتقوم بالعمل كبائع متجول.

ومن خلال «التحول» الذي يتأسس على الاغتراب عن الذات يكون هذا «الانقسام» هو المبدأ الذي يقوم عليه بناء القصة. ويقوم مبدأ الانقسام كذلك، نتيجة للاغتراب أساساً في قصص أخرى لكافكا تتفق مع قصة «التحول» في اتخاذها لموضوع «العقاب» أرضية لها، وهي قصة «في مستعمرة العقاب».

أما «سور الصين العظيم» ففيها يعبر السور عن إرادة لإقامة مملكة الرب، أو إرادة تتشوق نحو الاكتمال الدنيوي، إلا أن هذا الاكتمال لا يتاح له أن يتحقق مباشرة، وإنما يتحقق فقط في صورة (أبنية أو إنشاءات جزئية). فهذه الانشاءات الجزئية هي (الاكتمالات) المنعزلة، الاكتمالات الخاصة، والتحققات النوعية الجزئية. وأنه ليس للانسان سوى أن يحقق فقط أهدافاً فردية (شخصية/ خاصة) ومحدودة.

بالنسبة منها، «فإن الحداثة هي آخر هموم كافكا. يهيمه بالأحرى، حسب الصيغة الواردة في برنامجه الخاص، أن «يثير العالم ليجعله يرتاد الحقيقي، الطاهر، الثابت»، وهو ما أنجزه بالفعل باعتماده لا على فوضى الطليعة المعاصرة، وإنما على الأشكال القديمة - الخرافة، الحكمة، الحكاية، الملحمة - التي نقلتها إلينا الثقافة الكونية.

وإذا كان قد انقاد بقوة الأشياء، لكي يصور بأمانة وضعيته الشخصية بكل تفرداها، إلى رسم واقع مضطرب بكيفية حاذقة، فإنه يفعل ذلك عبر محكي منظم بصرامة، مراعيًا في تركيبه كما في أسلوبه، أكثر ما يمكن من الانتظام الدقيق. وبسبب قران هذا (الكل الجديد) الناتج من حياة داخلية فريسة للتناقضات والصراعات. مع «ما سبقت رؤيته»، «وما سبقت قراءته» «الموحي بالثابت، فإن كافكا، الحداثي على الرغم منه بطريقة ما، هو كما قيل كثيراً، الكاتب الذي يتأبى على المقولات. إنه، اذاً، غير قابل لأن يصنف ضمن أية حركة، بل هو، بمعنى عميق خارج الزمن»^(٣).

الترجمة العربية

ومنذ فترة قصيرة صدر الجزء الأول من أعمال كافكا الكاملة تحت عنوان: «الدودة الهائلة»، بترجمة من الدسوقي فهمي - أول مترجمي كافكا عربياً في الستينيات - وعن الهيئة المصرية لقصور الثقافة، في ٢٩٦ صفحة من القطع المتوسط، وضمن سلسلة «آفاق الترجمة».

يحتوي «الدودة الهائلة» على ست قصص

عن الوجود البشري

أما «الجحر» التي كتبها كافكا في السنة الأخيرة من حياته، فالراوي (أنا) في هذه القصة، هو حيوان منعزل، وحيد، عصبي المزاج، أسلوبه في الحياة والطابع النفسي لشخصيته يذكر القارئ بـ «الحفار» أو ما يسمى بـ «الغريز»، وهو حيوان ثديي يحضر لنفسه في باطن الأرض أوكاراً وممرات. فهو في القصة يعيش داخل جحر يتألف من ممرات ممتدة، ومخازن وحفرات للنوم ونقاط دفاع، كان حفرها كلها، عندما كان صغيراً، بعد أن قضى فترة تجوال بائسة.

وفي إحدى المناسبات، يسمع هذا الحيوان ضوضاء تتكرر، صادرة.. لا بد من عدو ما، ويتبدى له حينذاك عقم كل إجراءات الدفاع التي كان أعدها ضد هذا العدو المجهول.

و (الجحر) هو رمز للأمان عندما يتحقق في الدنيا. فهو ليس مجرد فجوة يمكن اللجوء إليها، بل هو التعبير عن طبيعته الخاصة (طبيعة الجحر) التي لا يمكن فقدانها.

وبهذا يصبح الصراع في الدنيا جحيماً متحرك الزوايا، تتبادل فيه الحقائق أماكنها وأوضاعها، وتلتبس في كثافة حالكة مراوغة، متسلحة بكلمات ملتبسة متشابهة.. لهذا يصبح الصراع صراعاً صلباً جهنمياً له منطوق وحوار الخنجر ذي الحدين.

ويبدو العالم في قصة «أبحاث كلب» عالمياً بالياً، متكرراً على نحو ما، والمعنى المباشر لهذه القصة (الأمثلة) هو العالم الذي يتعلق بوجود (الكلاب) كتشخيص - بين السطور - يجد احتقاراً للذات، ويعكس إحساساً بالخزي من الوجود (البشري) وطبيعته التي لم تبلغ بعد مرتبة الإنسانية. وانسياقاً مع ذلك تبدو الكلاب الحقيقية لكافكا، بعاداتها العتيقة التي تشبثت بها، وتلتصق بها في شغف زائد، وقد تضافرت مع تلك العادات العتيقة، خيالات وأوهام غريبة، كأنما تجسد للقارئ صورة هنيئة، ربما تنعكس على مرآتها أشكال أخرى للوجود البشري، تختلف عن صورته الحالية النكدية. إن الجو الذي تتحرك الكلاب في إطاره، هو جو تصويره (القصة) على أنه عالم يخلو من الفرح، عالم تحكمه الغرائز، وتتسلط عليه العادة الروتينية. كما أن ثمة خاصية تتمثل في قصص كافكا اتخذ فيها السرد صيغة الجمع (نحن)، بدلاً من السرد من زاوية رؤية المفرد المتكلم (أنا)؛ فهذه ال (نحن) تظهر في قصة «سور الصين العظيم» وهي صيغة صريحة حميمية مفتوحة، فقد أحس «الراوي» بحاجته إلى الحماية التي تكمن في هذه ال (نحن)، في غمار التوحد المنعزل في صيغة الراوي والسرد بضمير المتكلم الفرد.

* شاعر وقاص من مصر مقيم في السعودية.

(١) من مقدمة ترجمة رواية «من قتل موليرود؟» لماريو فارغاس إيوسا، ترجمة: د. حامد أبو أحمد، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٨ - ص ٩.

(٢) من «إعادة ابتكار الحداثة»، مارت رويبر، ترجمة: محمد برادة، مجلة «أدب ونقد»، العدد ٢٠ - مارس ١٩٨٦، ص ١٤٠.

الكتاب : مفاجآت قديمة في أغنية الشمس

المؤلف : إبراهيم الزيد

الناشر : نادي الطائف الأدبي

■ د. علي محمد هندواوي

تتزاخم المفاجآت والانطباعات والمشاعر، وتتنوع ردود الفعل لدى متصفح ديوان «أغنية الشمس» للشاعر إبراهيم الزيد؛ فالشمس التي يغنيها أو يغني لها فيجعلها عنواناً لديوانه ولإحدى قصائده هي مصدر النور في هذا الكون، بل مصدر الدفء والحياة؛ وهي كذلك رمز الكشف والوضوح، وفضح الزيف والضلال؛ وهي في ذات الوقت شمس الإسلام والعروبة التي يحمل الجميع همّ غروبها، وإن كانت هناك دلالات متكاثرة على أنها تكاد تؤذن بالمغيب مع تداعي الأمم علينا ظلماً واستضعافاً.

ولعل اختيار الشاعر قصيدته «موكب النصر» ليفتح بها ديوانه ما يدل بوضوح صارخ ومفاجئ على أنه يعيش مع أمته أفراحها وأتراحها، مهما نأت ببلادها المسافات؛ فهو يوجه قصيدته إلى الجزائر الظافرة والى شعبها الحبيب.. إلى الأمة العربية وهي تعيش أفراح النصر.. بانتصار الحرية في أرض الأحرار.. عبارات كادت تتسينا إياها غصص، صرنا نتجرعها صباح مساء، مما نعاني من عدوان وظلم وفرقة والتباس وحيرة، بخلاف ما كانت تتسم به مرحلة تاريخية سابقة قريبة في عمر الزمن كان الصراع فيها واضح الطرفين إلى حد كبير.

ولا يلبث أن يطل علينا في قصائد آخر عن: «أحمدو بيلو»، و«جزيرة العرب»، و«المجد للعرب»، و«يا فتية العرب» و«يا حزيان شكراً»، و«صلاة لشعب اليمن»، و«العام وشبح يونيو»، و«الزاحفون»، و«نشيد بلادي».

ويتنوع الوعاء الموسيقي الذي يصب فيه الشاعر قريضه بين قصيدة التراث الأصيل العمودية، وبين شعر التفعيلة، أو السطر الشعري، وهو أمر يواكب به أقرانه من شعراء تلك المرحلة في العالم العربي عامة، مثلما تتقارب الهموم وتتراسل المشاعر.

وليست القصيدة الافتتاحية للديوان وحيدة في نوعها، فشعور صاحبنا بالاندماج في قضايا أمته بكل ما تعنيه كلمة الأمة، وعلى الرغم من النزعة الخطابية في قصيدة الافتتاح، فإنها لا ينقصها الصدق والشعور الدافق، الذي ربما ترك أثره في

لجوء الشاعر إلى مخالفات لغوية مثل إسقاط «أن» في قوله: وأبى يكون من الأصاغر، واستعمال جمع المؤنث والمقصود المذكر في قوله الموت حوم بالكوافر، واستعمال الثلاثي غير المسموع في قوله: ومناضل فحم المخاطر، بدل «اقتحم» وغير ذلك.

غير أن هذا وإن شاع مثله في سائر الديوان لا ينفي صدق الشعور الذي ولد نفساً طويلاً في أكثر من قصيدة، ومنها قصيدة الافتتاح التي نختار منها قوله:

النصر أقبل يا جزائر	الفجر شعشع بالبشائر
النور أشرق في الدنيا	فأماط داجية الستائر
وأطل من خلف الهيب	على البوادي والحواضر
فجر جديد مشرق	عهد جديد من مفاخر
أمل تقدسه الشعو	ب وتفتديه بكل ثائر
عرفت فرنسا صدقنا	في كل ساح في الجزائر
لو تسألون ضميرها	إن كان شيء من ضمائر
سبعون شهراً في الكفا	ح ونحن نصمد أو نصابر
جيلاً قوياً راسخاً	بالموت بالأعداء ساخر
ومواكب الشهداء را	حت للخلود إلى المقابر
أبنت الحياة بذلة	ويموطن يحميه غادر

وتحمل قصيدة العبقرية المظلومة ضرباً آخر من ضروب اندماج الشاعر في قضايا أمته، إذ ينبري فيها مدافعاً عن أهل الفكر وحملة اليراع، ويذكر بفضلهم الذي لا تعدله مكافأة، وأي مكافأة توفي من يقدم بعض روحه ورحيق فكره لأمته؟ فيقول:

مَن للأديب العبقرى يكرم؟	مَن للمفكر في الحياة يعظم؟
مَن للنبوغ يعزه ويجله؟	أو ليس حقاً ما أقول؟ تكلموا!
الرافعين مشاعلاً في ظلمة	الذائدين الشرعنا مَن هم؟
الناذرين حياتهم من أجلنا	ولأجلنا تلقى الصعاب فتبسم
الواقفين مشاعراً مشحونة	ومواهباً جلي.. تجيش وتخضم
وعواطفاً حاسة ورهيفة	هي- لا أقول- كريمة.. بل مرهم

وتكشف عبارات الشاعر - مع صدق حسه ونبل مقصده- مأخذ لغوية مثلما سبق أن أشرنا، ومنها هنا ما نحسه من قلق تركيبى وفى المعنى في الشطر الثاني من البيت الثالث، وكذلك في لفظ «جلي»، وال فعل «تخضم» إذ الخضم نوع من مضغ طعام فيه ليونة، وهو معنى غير مراد بطبيعة الحال، بل المقصور لفظ يؤدى معنى التأجج أو الاجتماع، ولعل كلمة «خضم» كانت في ذهن الشاعر فاشتق منها فعلاً غير مستعمل بهذا المعنى؛ وقد أحسن الشاعر في قوله:

بسوى الرصاص دفاعهم ونضالهم
لا يحملون مدافعاً رشاشاً
خسيء الرصاص شريعة تتكلم
باللين بالحسنى حديث يفهم

وسواء كان الفعل «يفهم» مبنياً للمعلوم أم للمجهول فإنه يؤدي المعنى المقصود أداءً حسناً؛
ويفيض الشاعر في تبيان الآثار الحميدة للمفكرين والأدباء والشعراء، وهو يستلهم التراث في حديثه
عنهم، فيقول:

هذا ينافح في صمود هائل
رزق البراعة في حديث سائغ
وأخوه في دنيا المعارف حجة
إن كن حربا فالصواعق لفظه
هو للسلام حمامة محبوبة
أو غصن زيتون يعانق صنوه
و في السياسة -لا أقول- معلم
السحر كل السحر فيما يلهم
في الشعر في نثر البيان ينعم
نار على الأعداء دوما ترجم
بيضاء تسجع بالهديل وتبسم
أمل تقده الشعوب وتلثم

ويبين صاحبنا أثر الشعر في هدمه المشاعر وتهديئة الخواطر:

كم مهجة حري تذوب مرارة
كم أكبد كادت تموت من الأسى
كم فتية كادت تتيه بدربها
وجدت بظلك بسمه لا تهرم
أنقذتها من هوة لا ترحم
فهديتها فيما نراك تقدم

ولا يمنعا الاسترسال هاهنا من التثنيه إلى هنات لغوية للشاعر كاستعمال الفعل «تتيه» بدل
«تتوه» ولو استعمل «تضيغ» لأفاد المعنى وهذا لفظ سائغ في الفصحى شائع في العامية السعودية
وفي غيرها؛ ويختم الشاعر بقوله:

لك يا أديب مكانة مرموقة
لك يا مفكر ما تشاء فمهجتي
عندي وإن جار الزمان المعتم
لك بالولاء المحض دوما تفعم

وتبدو قصيدة شرع أشبه شيء بحديث من الشاعر إلى نفسه، بما يضطرب فيها من أفكار ورؤى
يرضى عنها حيناً ويأنس بها، وتعصف به حيناً آخر، فيكاد يفرق؛ وهو مع ذلك يخرج نفسه من نفسه
ليجرد منها إنساناً آخر، يراه يكافح الموج، ولا يظهر منه إلا شرع يتجه إلى أعلى، محاولاً الوصول
إلى السماء، ولكن أتى له ذلك؟

وجلست في الشط القريب..

على الصخور..

والموج من تحتي يمور..

وسحبت في المد الكبير..

وقد ترفق في دلال..

والموجة النشوى تيمس على الرمال..

ومن بعيد..
دوى النداء..
إني لفي شك.. ولكن لا محال..
إني سمعت نداء قلب.. يستغيث..
في اللجة الزرقاء..
في لج المحيط..
بين الرياح..
زارة مثل الأسود..
هدارة مثل الرعود..
وهناك في الجو الرهيب..
ومن بعيد..
لاح الشراع..
وأتى يشق طريقه..
ويغالب الموج المرير..
نحو السماء..
أنى يطير.. (في الديوان: أنا يطير)
حتى تدانى للحضيض..

إن شاعرنا تداعبه بل تَوَّرَقه فكرة الموت التي يخرجها من داخله ليراها ويعرضها، فيقول في آخر القصيدة/ المعركة/ المرحلة:

ومضى القدر..
بالزورق المكدود..
يدفعه سريعاً للخطر..
وأتى المساء..
والبحر ممتلئ دماء..
فاهتز قلبي بالشجن..
والليل يومئ بالكفن..
وجيوشه السوداء ترقص في الفضاء..
ألا مناص من الفناء..
فشرقت بالدمع الغزير.. وقد همر..
ألا أراه إلى الأبد.. !

ويبدو عنوان مقطوعته القصيرة «ضباب» موحياً، فبرغم كونها أبياتاً وصفية، فإن الشاعر لا يلبث أن يعبر من خلالها عن نفس تكابد ما تكابد أمتها من ضيق، ويصير الضباب معادلاً موضوعياً لهذا الضيق، بل يحاول الشاعر أن يستعين به على دفع ما تقاسيه أمته:

زد في ضبابك - يا ضباب
انثره فوق سنابل
انفضه في وجه الفضا
واضح بممدك ظلمة
وامدد رواقك كالسحاب
توج به هام الهضاب
وانثره في جوف العباب
كادت تجنبنا الصواب

ثم يختم بما يجب أن تكون عليه أمته:

واجعل ربوعي صفحة
إنني ليحزنني الوجو
إنني لأخجل من حيا
بيضاء انصع من كتاب
د وقد تدثر باكتئاب
ة، لا يزال بها اضطراب

ومثلما يحلم برفع ضبابات الحزن والانكسار عن أمته، يدعو ابنة وطنه في المقطوعة التالية «بنت الجزيرة» إلى الانطلاق إلى آفاق العلم والنور الحق، وان تنزع عنها لباس الجهل والتخلف عن الركب، فيقول:

«بنت الجزيرة، أسرعي
هالانظرت لعالم
فتيانه فتياته
إيياك أن تترددي
منه الجهول بلاغد
يتدافعون لمعهد

وبعد أن يقارن تخلف امتنا بتقدم غيرها يعود مستحثاً ابنة وطنه، فيقول:

من جاء نحوك داعياً
يكفي ضياعك حقية
يكفي اندحارك أعصراً
للجهل.. دونك فارده
في ظل ليل أسود
خلف الجدار الأنكد

ويبدو أن طبيعة المناسبة التي صاغ فيها الشاعر قصيدته لم تمهله وقتاً يراجع فيه لغتها، فندت منه هنات منها استعماله الفعل «يطل» بدل «يطلال»، وترك نصب الحال وصفتها في قوله:

إني رأيت نديهم بالعام مخضر ندي

وكذلك ترك نصب لفظ «مبلد» الذي وقع نعمتاً منصوباً للمفعول به المنصوب «فكراً»، ويبدو أن انشغال الشاعر بالقافية وروبيها المكسور جعله يهمل مراعاة القاعدة النحوية.



الكتاب : مجلس الشورى - قراءة في تجربة تحديته.
المؤلفون : زهير السباعي، زياد السديري، صالح المالك،
عبدالرحمن الجعفري، عبدالرحمن الشبيلي،
عبدالعزيز النعيم، فالح الفالح، محمد الشريف،
عبدالرحمن الشبيلي.
المحرر : د. عبدالرحمن الشبيلي.

■ د. نواف بن ذويبان الراشد*



من يستعرض كتاب «مجلس الشورى: قراءة في تجربة تحديته»، الصادر في ديسمبر ٢٠٠٨م، في (٢٣٨) صفحة من الحجم المتوسط، وتضمن مقدمة وسبعة فصول؛ شارك في إعداده ثمانية من أعضاء المجلس الذين استمروا ثلاث دورات متتالية - يلاحظ تدرج تشكيل المجلس منذ بدايته وحتى وقتنا الحالي.. فقد كانت البداية عام ١٩٤٣هـ بمجلس استشاري، ثم بمجلس أهلي، ثم بمجلس شورى عام ١٣٤٦هـ، والذي تشكل من ثمانية أعضاء، ثم وصل عددهم إلى ٢٠ عضواً في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله، ثم ٢٥ عضواً في عهد الملك سعود، ثم تناقص تدريجياً بعد ذلك، وظل جامداً، حتى أمر الملك خالد بتشكيل لجنة عام ١٤٠٠هـ لوضع نظام جديد للمجلس، وعندما صدرت حزمة من الأنظمة الرئيسية للبلاد، في عهد الملك فهد رحمه الله جميعاً، كان منها نظام مجلس الشورى.

المجلس، وآليات العمل فيه.. كما يورد تجربة المشاركين فيه. ويتكون الكتاب من سبعة محاور، هي:

المحور الأول: السلطة التنظيمية، فوظيفة المجلس شورية، إذ يطالب المشاركون بالمجلس بأنه لكي تتحقق حكمة الشورى ومقاصد الديمقراطية، لا بد من أن تكون قرارات المجلس إلزامية، وأن يعطى سلطة الرقابة السابقة واللاحقة على أداء الحكومة، وعلى ميزانية الدولة؛ وهم يطالبون بأن يعطى مجلس الشورى السلطة التنظيمية (التشريعية). وان يكون لمجلس الوزراء السلطة التنفيذية.

المحور الثاني: نظام المجلس ولوائحه.. فقد تم زيادة عدد أعضائه من ستين إلى تسعين ثم إلى مائة

وعى الرغم من إيراد بعض التفصيلات عن مسيرة المجلس منذ عام ١٣٤٣ هـ وحتى عام ١٤١٢هـ، إلا أن الأهم فيها كان الأنظمة الرئيسية الصادرة عام ١٤١٢هـ؛ ومن أبرز موادها نص المادة الثامنة من النظام الأساسي للحكم وهو: (يقوم الحكم في المملكة على أساس العدل والشورى والمساواة وفق الشريعة الإسلامية). كما نصت المادة الرابعة والأربعون على أن تتكون السلطات في الدولة من السلطة القضائية، والسلطة التنفيذية، والسلطة التنظيمية، وان تتعاون في أداء وظائفها.. وأن الملك هو مرجع هذه السلطات.

كما أوضح الكتاب آراءً متباينة لأعضاء المجلس، واختلافاً في وجهات النظر بشأن مستوى أداء

بسبب عدم كفاءة النسب، في حين نجح في دراسة تداعيات أحداث ١١ سبتمبر والتعامل معها، ودراسة قضايا الإرهاب، ودراسة تعزيز النزاهة ومحاربة الفساد.

المحور الخامس: المجلس والمجتمع، يرى الأعضاء تفاوت نظرة المجتمع السعودي إلى مجلس الشورى، فمنهم من يرى نجاحه في أداء الدور المطلوب منه، ومنهم من عقد عليه آمالا واسعة تفوق إمكاناته.

المحور السادس: المجلس والهيئات المحلية والخارجية، ويرى الأعضاء باختصار نجاح المجلس في مد جسور التعاون مع الهيئات الخارجية، وضعف العلاقة مع مجالس المناطق كافة، ويرى بعض المشاركين ضرورة التنسيق بين اللجان والهيئات التنظيمية في البلاد مع مجلس الشورى. ويرى بعضهم ضرورة أن يكون رئيس مجلس الشورى عضواً في هيئة البيعة مثلاً، ويؤكد الجميع أن الزيارات المتبادلة لمجلس الشورى مع المجالس البرلمانية في العالم منحت المجلس نافذة للاطلاع على تجارب العالم.

المحور السابع: تجارب شخصية لثمانية من أعضاء المجلس وهم د. زهير السباعي، د. زياد السديري، د. صالح المالك، د. عبدالرحمن الجعفري، د. عبدالرحمن الشبيلي، د. عبدالعزيز النعيم، د. فالح الفالح، والأستاذ محمد الشريف، وقد أورد السادة الأعضاء بعض تجاربهم وآرائهم الشخصية في المجلس حول المحاور المذكورة آنفاً.

وينتهي المؤلفون إلى أن المجلس - بلا شك - قام بدور فاعل على مستوى الوطن، وأن الأنظمة التي صدرت عنه كانت جيدة، وأن أداءه أسهم في ترسيخ قواعد الحكم والأنظمة، كما أن دوره كان كبيراً في تحسين الأداء لمعظم الأجهزة الحكومية، وأن أثره واضح على الصعيدين الداخلي والخارجي.

وعشرين.. وأخيراً إلى مائه وخمسين عضواً، وكان نظام المجلس يعالج مسألة عدم توافق رأي مجلس الوزراء مع ما يصدر من مجلس الشورى.. بأن الأمر يعود إلى تقدير الملك وقراره، وتم تعديل ذلك بأن يعاد طرح الأمر بين مجلس الشورى ومجلس الوزراء، فإذا استمر الخلاف بينهما يرفع لأنظار الملك، وكان النظام في بداياته ينص على أن مجلس الشورى لا يبحث في اقتراح أي نظام جديد، أو تعديل نظام قائم إلا بعد استئذان مسبق من الملك، ثم أعطيت الصلاحية للمجلس دون استئذان.

ويرى بعض الأعضاء انه بعد مرور تلك السنوات الطويلة.. فإن المجلس بحاجة إلى تعزيز بأن تكون قراراته إلزامية، وأن لا تصدر أي أنظمة إلا عبر مجلس الشورى.

المحور الثالث: عضوية المجلس.. يبلغ عدد أعضاء المجلس ١٥٠ عضواً بمن فيهم النائب والمساعد، إضافة إلى صوت الرئيس، وجميعهم يعيّنون مباشرة. ويعتقد بعض أعضاء المجلس بضرورة مجازات بعض دول الخليج بالمرج بين التعيين والانتخاب، ويؤكد بعض الأعضاء أن لا محاذير تجلبها عملية الانتخاب لنصف أعضاء المجلس، فتجربة الانتخابات البلدية كانت ناجحة، وأنه لا بد من تمثيل جميع فئات المجتمع وجميع مناطق المملكة، ويطالب بعضهم بتمثيل المرأة في مجلس الشورى لأنها نصف المجتمع.

المحور الرابع: أداء المجلس، قيادة المجلس رباعية تتمثل في الرئيس ونائبة ومساعدته والأمين العام، وقد نجحت هذه القيادة في جميع الجوانب لتحقيق الكفاءة الإدارية والفنية وحسن الأداء، ويعتقد بعض الأعضاء أن المجلس أدى وظيفته المطلوبة منه بنجاح. وأشار الكتاب إلى إن المجلس اخفق في تقديم حلول لبعض المشاكل الاجتماعية مثل قضية قيادة المرأة للسيارات، وقضية الفصل بين الأزواج

الأنشطة الثقافية بالمؤسسة

■ كتب عماد المغربي

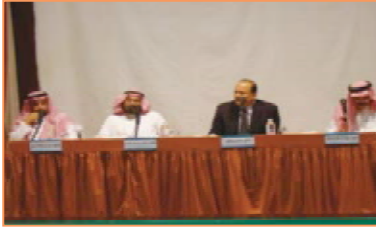
وثائق الجوف وأهمية المحافظة عليها

استؤنفت الأنشطة الثقافية للمؤسسة (للعام ١٤٢٩/١٤٣٠هـ) بمحاضرة عن: «وثائق الجوف وأهمية المحافظة عليها»، ألقاها الأستاذ الباحث فائز بن موسى الحري، في قاعة العرض والمحاضرات بدار الجوف للعلوم يوم الاثنين ٢٦/٣/١٤٣٠هـ، قدم لها الأستاذ أحمد ابن ناصر الشمري، حضرها جمع من أهالي المنطقة



ومنسوبو الإدارات الحكومية.. وقد تم نقلها إلى القسم النسائي عبر الدائرة التلفزيونية المغلقة.

الترجمة ودورها في تواصل الحضارات ونقل التقنية



أقيمت يوم الأربعاء ١٩/٤/١٤٣٠هـ في قاعة العرض والمحاضرات بدار الجوف للعلوم ندوة عن: «الترجمة ودورها في تواصل الحضارات ونقل التقنية، شارك فيها الدكتور عبدالله إبراهيم المهيدب، وكيل كلية الهندسة للدراسات العليا وضبط الجودة بجامعة الملك سعود، والدكتور أحمد عبدالله البنيان، رئيس مجلس إدارة

الجمعية العلمية السعودية للغات والترجمة، والدكتور ميجان حسين الرويلي، عضو هيئة التدريس بقسم اللغة الانجليزية بجامعة الملك سعود، وأدارها الدكتور عاطف أبو المعاطي، المحاضر بقسم اللغة الإنجليزية بجامعة الجوف. حضرها عدد من أهالي المنطقة والمتقنين فيها. وقد تم نقلها للقسم النسائي عبر الدائرة التلفزيونية المغلقة.

أهمية أدب الطفل وتحديات كتابته له

أقيمت يوم الثلاثاء ١٧/٥/١٤٣٠هـ في قاعة العرض والمحاضرات بدار الجوف للعلوم محاضرة عن: «أهمية أدب الطفل وتحديات كتابته له»، ألقاها الأستاذ الأديب يوسف بن إبراهيم المحميد، وقدم لها الأستاذ قبيل بن تركي بداي الشمري، المعلم بثانوية اليرموك، حضرها عدد من أهالي المنطقة ومتقنيها.



وقد تم نقلها للقسم النسائي عبر الدائرة التلفزيونية المغلقة.